



المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين
قسم القرآن وعلومه

التحصين الفكري في ضوء القرآن الكريم

من الشرك والإلحاد والتكفير والفُرقة

دراسة موضوعية

إعداد

سعود بن خالد بن سعود الكبير آل سعود

إشراف فضيلة الشيخ

د. فهد بن فرج الجهني

الأستاذ المشارك بقسم القرآن وعلومه

العام الجامعي

١٤٤٥ هـ

المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمد عبده ورسوله، أما بعد:

فقد أولى القرآن العقول والأفكار عناية عظيمة، وبين أنه لا قيام لدنيا ولا دين إلا بعقول سليمة، ومما يشهد بذلك تلك الآيات العديدة التي ختمت بـ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، والفواصل التي نطقت بـ ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

وبين ﷺ أنه أنزل القرآن ليُخرج الناس به من الظلمات إلى النور، من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، ومن ظلمات الإلحاد إلى نور الإيمان بالله، ومن ظلمات التكفير والتشدد إلى نور الوسطية والحنيفية السمحة، ومن ظلمات الفرقة والتحزب إلى نور جمع الكلمة ووحدة الصف، وهكذا في كل ظلمة، فالقرآن الكريم يُخرج منها إلى نور الحق والخير، وكلما ارتفعت ألوية الباطل وعلت شعاراته قَبِضَ اللهُ ﷻ من هذه الأمة في كل زمان من يصدع بالحق في وجه الباطل، ويدحض شبهاته، ويكشف زيوفه، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ١٨] وإن من أخطر ما يهدد فكر شبابنا في عصرنا هذا فتن أربع:

١ - شرك لا يغفره الله تعالى، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [سورة النساء: ١١٦].

٢ - تكفير للنفوس المعصومة، يسير على خطى شرار الخلق، أقصد الخوارج كلاب أهل النار.

٣ - إلحاد بل ظلمات، يسقط بها الفكر إلى الحضيض، فيتخبط مكباً على وجهه في عذاب الدنيا والآخرة.

٤ - حزية مقيتة، استمدت جذورها من الغرب، تفرق ولا تجمع.

ولما كان هذا الموضوع من الأهمية بمكان استعنتُ بالله ﷻ ثم استشرت أهل الفضل من ذوي الاختصاص، ومنهم المرشد العلمي فلقيت التأييد والتشجيع للكتابة في هذا الموضوع، فعقدت العزم متوكلاً على الله، ورأيت أن يكون موضوع رسالتي في مرحلة الدكتوراه: "التحصين الفكري في ضوء القرآن الكريم" - دراسة موضوعية -، سائلاً الله العليّ القدير العون والتوفيق والسداد، وأن يجعل عملي خالصاً لوجه الكريم.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

- ١ - خطورة التوجهات الفكرية التي تلوث فكر الشباب المسلم كالشرك والإلحاد والتكفير والتحزب.
- ٢ - اهتمام القرآن الكريم وعنايته بالكشف عن الشبهات وبيان العلاج، ليتحصن فكر المسلم منها.
- ٣ - عظيم النعمة التي منّ الله علينا بها بولاة أمرنا الذين يحاربون تلك الفتن بتحكيم القرآن وتشجيع أهله.
- ٤ - سرعة است شراء هذه الشبهات الفكرية والترويج لها عبر وسائل التواصل الحديثة.

أسئلة البحث:

- ١ - كيف حذر القرآن من الشرك، وكيف بين الوقاية منه؟
- ٢ - ما أساليب القرآن في التحذير والوقاية من الإلحاد؟
- ٣ - ما منهج القرآن في التحذير من التكفير وسبل الوقاية منه؟
- ٤ - ما منهج القرآن في التحصين من الفرقة والاختلاف؟
- ٥ - ما آثار لزوم البيعة في الإسلام في دفع الفتن والوقاية منها؟

أهداف البحث:

- ١ - جمع الآيات القرآنية في هذه الموضوعات المتعلقة بالشرك والكفر والإلحاد والتحزب ودراستها في ضوء كلام المفسرين.
- ٢ - بيان علاج القرآن وهدايته من كل ضلال بالتحصين من الأفكار الضالة.
- ٣ - كشف تلبس أصحاب الضلالات الفكرية على عموم المسلمين، ونقض استدلالاتهم بالقرآن الكريم.
- ٤ - توضيح الطريق القويم والمنهج الفكري السليم، الذي ينبغي أن يكون عليه المسلم وفق القرآن الكريم.
- ٥ - بيان الأدلة النقلية والعقلية في دحض شبهات الشرك والإلحاد والتكفير والفرقة.
- ٦ - إبراز موقف القرآن من البيعة والوطنية وآثار ذلك.

حدود البحث:

تقوم حدود البحث على جمع الآيات القرآنية المتعلقة بالتحصين الفكري في ضوء القرآن الكريم، ودراستها دراسة موضوعية، وقد بلغ مجموع ما وقفتُ عليه من الآيات القرآنية حول الموضوع: مائتي آية.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتقصي، وسؤال أهل الاختصاص، لم أجد - حسب علمي - دراسات سابقة تناولت هذا الموضوع كما هو بشموليته وماهيته، غير أن هناك دراسات قد يكون فيها نوع اشتراك في بعض مباحثها، ومن ذلك ما يلي:

- ١ - " الأمن الفكري في ضوء القرآن الكريم "، للطالب: نذير نبيل، وهي رسالة علمية لمرحلة الدكتوراة، قدّمت لجامعة اليرموك، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأردن عام

٢٠١١م، وقد كان عنوانها: منهج القرآن الكريم في تحقيق الأمن الفكري، وتم اقتراح تعديل العنوان في المناقشة.

ركزت هذه الدراسة على الأمن الفكري بصفة عامة، فتحدثت عن مقومات الأمن الفكري، وعن منهج القرآن الكريم في بناء الأمن الفكري، وأيضاً عن معوقات الأمن الفكري وعلاجها في ضوء الآيات.

٢ - "منهج القرآن في دحض شبهات الملحدين"، للباحثة: أفنان حمد الغماس، وهي رسالة علمية مطبوعة لنيل درجة الماجستير في العقيدة من كلية أصول الدين والدعوة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة عام ١٤٣٧ هـ، وقد تحدثت الرسالة عن مسألة تعرض القرآن الكريم لشبهات الإلحاد، ومنهج الرد عليها، وما إذا كان الإلحاد لفظاً عاماً يشمل كل ميل عن المنهج الحق والدين، والطريقة التي تناول فيها القرآن مختلف صور الإلحاد.

٣ - "مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر الأسباب - الآثار - العلاج" لعبد الرحمن بن معلا اللويحق، وهي رسالة دكتوراة مطبوعة، قدّمت لقسم الثقافة الإسلامية بكلية الشريعة جامعة الإمام محمد بن سعود عام ١٤١٨ هـ، وقد تحدثت الرسالة عن أسباب مشكلة الغلو في الدين وآثارها في العصر الحاضر، ثم تطرقت لعلاج مشكلة الغلو، العلاج العقدي والعلمي، والعلاج التربوي والاجتماعي.

٤ - "منهج القرآن في تقرير حماية الأفكار"، للباحث: سمير مثنى الأبارة، وهي رسالة دكتوراة، قدمت لقسم التفسير بكلية علوم القرآن، جامعة أم درمان بالسودان عام ١٤٣٤ هـ، وقد تحدثت الرسالة عن الحكمة من خلق الإنسان، ومنهج القرآن في تربية العقل وفي حماية الأفكار، وأيضاً عن دور المؤسسات العلمية في التربية، وأخيراً عن المذاهب الهدامة وأساليب الغزو الفكري.

٥ - "منهج القرآن في تقرير حماية الأفكار والديار"، وهو بحث للدكتورة/ هند بنت محمد سردار، أستاذ تفسير القرآن وعلومه المساعد كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بمكة

المكرمة، وقد نُشر البحث بمجلة كلية الشريعة والقانون، جامعة الأزهر، عام ٢٠٢٠م، وقد ركزت في بحثها على منهج القرآن في تنظيم عملية التفكير، مع ذكر مصادر التفكير السليم وأهميته ومجالاته، ثم أخيرا أهمية القرآن في إصلاح المجتمع.

٦- " منهج القرآن في التحصين الفكري "، د. عبدالله أحمد الزيوت، و د. محمد مجلي رابعة، قسم أصول الدين، كلية العلوم الإسلامية بالجامعة الأردنية ٢٠١٦م، تحدث البحث عن معالم المنهج القرآني المتميز في تحصين الفكر، وأيضا عن تنظيم القرآن لعملية التفكير وضبط التفاعل الفكري مع غير المسلمين.

٧- " الآيات القرآنية التي يستدل بها التكفيريون والرد عليهم "، د. عبدالله العزيز الدغثير، الأستاذ المشارك بن بقسم القرآن وعلومه في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٤٠ هـ، وهو بحث متميز مطبوع، تحدث فيه الدكتور عبدالله عن تعريف التكفير ونشأته وشروطه وموانعه ثم ذكر شبهات الفئة الضالة في تكفير ولالة الأمور ورجال الأمن والمعاهدين والمستأمنين واستباحة قتلهم، مع بيان الآيات التي استدلو بها، ثم دحض شبهاتهم وكشف تلبيسهم ونقض استدلالهم من خلال الرجوع إلى كلام أهل العلم والتحقيق من مفسري السلف والخلف، وبيان التفسير الصحيح للآيات القرآنية الموافق لأصول أهل السنة والجماعة.

ومن خلال الاطلاع على الدراسات السابقة، تبين أن أهم ما يميز هذه الرسالة ما يلي:

- الدراسة الشمولية للموضوع من خلال القرآن الكريم وكلام مفسري السلف والخلف والمحققين من أهل العلم.

- التركيز على دراسة أمهات الفتن: (الشرك والكفر والإلحاد والتحزب)؛ لعظمتها وخطرها وعموم البلوى بها، وبيان علاج القرآن الكريم لما دونها من الفتن وتحصينه منها من باب أولى.
- تسليط الضوء على أهمية لزوم البيعة لولي الأمر وأثره على الفرد والمجتمع من خلال القرآن الكريم، مع بيان مفهوم الوطنية ولوازمها من خلال القرآن الكريم.
- ربط الموضوع بالقضايا المعاصرة.

منهج البحث:

سأسلك في هذا البحث المنهج الاستقرائي الموضوعي، وذلك وفق الآتي:

- ١- جمع الآيات القرآنية التي لها صلة بالموضوع، سواء أكان ذلك لفظاً أم تضميناً.
- ٢- دراسة أقوال المفسرين في بيان معنى الآيات حول هذا الموضوع، والاعتضاد إلى ما ورد في السنة الصحيحة، وأقوال أئمة السلف.
- ٣- بيان هدايات الآيات التي جمعتها في الموضوع ودراستها دراسة موضوعية، مع الربط بينها والتعليق على ما يحتاج إلى تعليق.
- ٤- إظهار الجوانب التي عاجلها القرآن في موضوع البحث، وبيان أهميتها وتأثيرها في التحصين الفكري من الفتن.
- ٥- ربط البحث بالواقع الذي نعيشه اليوم، خصوصاً في تأثير تلك الفتن وعظم ضرورها وكيفية التحصين منها بالقرآن.
- ٦- كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني على رواية حفص عن عاصم، مع ترقيمها وعزوها إلى سورها من القرآن.
- ٧- تخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية، فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما أكتفي بذلك، وإن كانت في غيرهما عزوتها إلى مصدرها، وأما الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين فأكتفي بعزوها إلى مصادرها الأصلية.
- ٨- عدم الاستشهاد بالأحاديث الموضوعة أو الضعيفة، أو الأخبار الواهية.
- ٩- نسبة الأقوال إلى قائلها مع عزوها إلى موضعها مكتفياً باسم الكتاب وجزئه وصفحته.
- ١٠- توثيق النقل مع العزو إلى من نقلت عنه، والإحالة إلى المصدر مباشرة.
- ١١- العزو إلى المصدر في حال النقل منه بالنص: بذكر اسمه والجزء، والصفحة وفي حال النقل بالمعنى: أصدر ذلك بكلمة " ينظر ".

- ١٢ - نسبة الأبيات الشعرية إلى قائلها مع عزوها إلى مصادرها.
- ١٣ - التعريف الموجز في الحاشية بغير المشهور من الأعلام والفرق والأماكن والبلدان التي يرد ذكرهم في متن البحث في أول موضع.
- ١٤ - الضبط بالشكل لما يُظن التباسه، وإيضاح الغريب من الألفاظ والمصطلحات من خلال المعاجم اللغوية.
- ١٥ - تطبيق قواعد البحث العلمي واللغوي، والرسم الإملائي وعلامات الترقيم.

خطة البحث:

وتشتمل على مقدمة، وتمهيد وخمسة أبواب وخاتمة وثبت المصادر والفهارس العلمية اللازمة:

- المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع وأسباب اختياره وأسئلة البحث وأهدافه وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهج البحث وخطته.

• التمهيد وفيه:

- تعريف التحصين الفكري وبيان أهميته.
- التعريف بمصطلحات البحث: الشرك، الإلحاد، التكفير، الفرقة، البيعة.
- الباب الأول: التحصين الفكري في القرآن الكريم من الشرك، وفيه فصلان:
الفصل الأول: تحذير القرآن الكريم من الشرك وبيان سوء عاقبة أهله، وفيه خمسة مباحث:

- المبحث الأول: تحذير القرآن الكريم من الشرك بأنواعه.
- المبحث الثاني: دعوة الرسل إلى توحيد الله تعالى والتحذير من الشرك.
- المبحث الثالث: أُولو الألباب هم أبعد الناس عن الشرك مع خوفهم من الوقوع فيه.
- المبحث الرابع: الحكم على المشركين بالخلود في نار جهنم.
- المبحث الخامس: الحكم بعدم فلاح من أشرك بالله تعالى.
- الفصل الثاني: الوقاية من الوقوع في الشرك، والاعتبار بمآلات المشركين في القرآن الكريم، وفيه ستة مباحث:

- المبحث الأول: خضوع الكون كله لله ﷻ.
- المبحث الثاني: الأدلة الشرعية في القرآن الكريم على التوحيد وبطلان الشرك.
- المبحث الثالث: الأدلة العقلية في القرآن الكريم على التوحيد وبطلان الشرك.
- المبحث الرابع: أثر تحقيق التوحيد في النجاة من الشدائد.
- المبحث الخامس: افتقار المخلوقين إلى الله تعالى، وغناه عنهم من كل وجه.

المبحث السادس: براءة من عُبد من دون الله يوم القيامة ممن أشرك به.

• الباب الثاني: التحصين الفكري في القرآن الكريم من الإلحاد، وفيه فصلان:

الفصل الأول: تحذير القرآن الكريم من الإلحاد وبيان سوء عاقبة الملحدين، وفيه ثلاثة

مباحث:

المبحث الأول: أساليب القرآن الكريم في التحذير من الإلحاد.

المبحث الثاني: تدبير الله تعالى للأمور ورجوعها إليه سبحانه.

المبحث الثالث: سوء عاقبة الملحدين في الدنيا والآخرة.

الفصل الثاني: الوقاية من الفكر الإلحادي وعلاجه في القرآن الكريم، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الوقاية من الفكر الإلحادي على مستوى الفرد والأمة في ضوء القرآن الكريم.

المبحث الثاني: الأدلة النقلية والعقلية على إثبات وجود الله تعالى في ضوء القرآن الكريم.

المبحث الثالث: الأدلة النقلية والعقلية على إثبات وقوع البعث والقيامة في القرآن الكريم.

المبحث الرابع: الاعتبار بحال الملحدين ومآلهم.

• الباب الثالث: التحصين الفكري في القرآن الكريم من التكفير وفكر الخوارج،

وفيه فصلان:

الفصل الأول: تحذير القرآن الكريم من الغلو والإفساد في الأرض، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التحذير من الغلو في الدين.

المبحث الثاني: النهي عن الإفساد في الأرض.

المبحث الثالث: الوعيد الشديد لمن قتل الأنفس المعصومة.

الفصل الثاني: الوقاية من التكفير وبيان سوء عاقبته وعلاجه في القرآن الكريم، وفيه أربعة

مباحث:

المبحث الأول: الوقاية من التكفير وفكر الخوارج، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحث على الوسطية والابتعاد عن الغلو.

المطلب الثاني: التحذير من صحبة السوء.

المطلب الثالث: الحث على طلب العلم ولزوم العلماء.

المبحث الثاني: سوء عاقبة التكفير في الدنيا والآخرة.

المبحث الثالث: الشفاء من التكفير وفكر الخوارج على مستوى الفرد والجماعة.

المبحث الرابع: الاعتبار بمآل الخوارج وأهل التكفير في الماضي والحاضر.

• الباب الرابع: التحصين الفكري في القرآن الكريم من الفرقة والاختلاف، وفيه

فصلان: الفصل الأول: عناية القرآن الكريم بالاجتماع وتحذيره من الفرقة

والاختلاف: وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الأمر بالجماعة ولزومها في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: تحذير القرآن الكريم من الفرقة والاختلاف وبيان سوء عاقبتهما.

الفصل الثاني: الوقاية من الفرقة والاختلاف وعلاج ذلك في القرآن الكريم، وفيه أربعة

مباحث:

المبحث الأول: سبل الوقاية من الفرقة والاختلاف في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: التنفير من مشابهة أهل الفرقة والاختلاف في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: العبرة والعظة من مآل أهل الفرقة والاختلاف.

المبحث الرابع: الثناء والحث على وحدة الصف واجتماع الكلمة والاعتصام بالله في القرآن

الكريم.

• الباب الخامس: الوطنية ولزوم البيعة في القرآن الكريم وأثرهما في دفع الفتن، وفيه

فصلان:

الفصل الأول: الوطنية في القرآن الكريم، مفهومها وحقوقها، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مفهوم الوطنية في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: حقوق الوطنية وأثرها في دفع الفتن.

الفصل الثاني: أهمية البيعة في القرآن الكريم والأخذ بلوازمها وبيان آثارها، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: البيعة في القرآن الكريم ولوازمها.

المبحث الثاني: أهمية البيعة وأثرها في دفع الفتن

● الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

● ثبت المصادر.

● الفهارس.

التمهيد وفيه:

- تعريف التحصين الفكري وبيان أهميته.
- التعريف بمصطلحات البحث: الشرك، الأحاد، التكفير
الفرقة، البيعة.

التمهيد

المطلب الأول: تعريف التحصين الفكري مفرداً ومركباً.

معنى التحصين:

الإحصان في اللغة المنع، وكذلك الحصانة، يقال: مدينة حصينة ودُرْعُ حصينة، أي مانعة صاحبها من الجراحة، قال ربنا ﷺ عن نبيه داود عليه السلام: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٨٠].

معناه: لِيَمْنَعَكُمْ وَتَحْرِزَكُمْ، وَالْحِصْنُ الْمَوْضِعُ الْحَصِينُ لِمَنْعِهِ مَنْ يُرِيدُهُ بِالسُّوءِ، وَالْحِصَانُ بِالْكَسْرِ الْفَرَسُ الْفَحْلُ، لِمَنْعِهِ صَاحِبَهُ مِنَ الْهَلَاكِ، وَالْحِصَانُ بِالْفَتْحِ الْمَرْأَةُ الْعَفِيفَةُ لِمَنْعِهَا فَرْجَهَا مِنَ الْفَسَادِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَرْيَمَ أَبْتَنَى عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [سورة التحريم: ١٢].^(١)

وأصل الكلمة وجذرهما: ح ص ن "والحصن: المكان المحمي المنيع، وجمعه حصون، قال ربي ﷺ: ﴿وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ [سورة الحشر: ٢] وحصنه تحصيناً: جعله حصيناً منيعاً، قال سبحانه: ﴿لَا يَقْتُلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحْصَنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ [سورة الحشر: ١٤] وأحصنه إحصاناً: جعله في المواضع الحصينة التي تجري مجرى الحصن"^(٢).

(١) انظر: مفاتيح الغيب؛ للرازي (٣٣/١٠)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦ هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

(٢) انظر: مخطوطة الجمل (٤٠٦/١)، - معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن لحسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد الجمل، الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ - ٢٠٠٨ م.

ومما سبق يتضح أن أصل معنى التحصين المنع، فإن حصّنت شيئاً أو أمراً فقد أحرزته ومنعت من وصول الضرر إليه.

وقد وردت مادة "حصن" في القرآن الكريم تسع عشرة مرة بصيغ مختلفة، جميعها لا يخرج عن المعنى الأصلي اللغوي، وهو المنع والوقاية والحفظ، منها ما دلّ على المنع والحفظ المادي كما في قوله تعالى: ﴿لَا يَقْتُلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ [سورة الحشر: ١٤] ومنها ما دلّ على المنع والحفظ المعنوي، كما جاء في الآيات التي تحدثت عن المحصنات من النساء، كقوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [سورة النساء: ٢٤] (١).

معنى الفكر:

جاءت مادة "فكر" في لسان العرب بمعنى: "إعمال الخاطر في الشيء"، وفي المعجم الوسيط: "الفكر مقلوبٌ عن الفك، لكن يستعمل الفكر في الأمور المعنوية، وهو فرك الأمور وبحثها للوصول إلى حقيقتها" (٢).

وقد وردت مادة "فكر" في القرآن الكريم في مواضع عدة، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ [سورة المدثر: ١٨]، وفي موضع آخر قال سبحانه: ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٥٠] بل لقد أثنى الله تعالى على من يستعمل الفكر فيما خلّق له، وأولئك هم الصفوة من عباده، فالتفكر في آيات الله المقروءة في القرآن والمبثوثة في الكون حولنا يُورث القلب زيادةً في الإيمان، ويقيناً بقاء ربنا الرحمن ﷻ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربّنا ما خلقت هذا بطلاً سبحانه] فَقَدْ عَلَّمْنَا النَّارَ [سورة آل عمران: ١٩٠-١٩١].

(١) انظر: بحث بعنوان: منهج القرآن في التحصين الفكري، د. عبدالله الزبيوت و د. محمد رابعة (ص ٥).

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور: (مادة/ فكر)، المعجم الوسيط، لإبراهيم أنيس وآخرون، (مادة/ فكر) (٢/ ٦٩٨).

تعريف التحصين الفكري:

بعد البحث والاستقصاء في كتب اللغة والفكر وغيرها لم أجد تعريفاً شافياً للتحصين الفكري؛ ولعل الالتفات المستجد لهذا الموضوع يكون السبب، فقد كان التركيز سابقاً على إصلاح العقائد أو الأخلاق وغيرهما، ولكن اليوم دعت الحاجة بعد بروز الشبهات الخطيرة لتحصين وحماية فكر الشباب المسلم منها.

وقد اجتهد بعض الباحثين في تعريف التحصين الفكري فقالوا: "هو مجموعة الإجراءات التي تحفظ المسلم من الميل عن التوحيد الخالص، وتمنع فكره من مخالفة الكتاب والسنة"^(١). ومن المعلوم أنه ببيان أدلة الحق وظهورها جلياً، يتبين أن كل ما سواها باطل، قال ربي ﷺ: ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [سورة يونس: ٣٢] والأفكار الضالة تُحرقها نور العلم الصحيح النافع، فهي لا تستشري إلا مع الجهل بأدلة الحق والصدق، فإذا أردنا تحصين الفكر على الحقيقة، فيجب أن يكون ذلك بالأدلة الدامغة العقلية والنقلية التي تُبين الحق وتُظهر عوار وضلال الأفكار الهدامة، لنحفظ بذلك سلامة الفكر والعقل، فالفكر لا يُجابه إلا بالفكر، لذلك اجتهدت في تعريف "التحصين الفكري" على النحو التالي:

"هو حماية الفكر ببيان شواهد الحق وأدلته التفصيلية النقلية والعقلية، التي تمنع فكر المسلم من التأثر بالأفكار الهدامة، وتحفظ ذلك الفكر من الزيغ عن صراط الحق في العقيدة والعبادة والسلوك والأخلاق".

وقد اتضح جلياً في الآونة الأخيرة ومع انتشار فتن الشبهات - خصوصاً في وسائل التقنية - أهمية التحصين الفكري، فتلوث فكر الشاب المسلم بأفكار ضالة قد يقوده إلى الشرك، أو تفجير نفسه والإفساد في الأرض، بل قد ينكر وجود خالقه والعياذ بالله، وقد يتشرب أفكار الأحزاب المتناحرة، فيكون معول هدم في جسد وطنه وأمته، وقد عقد والداه وأهله وولاة أمره

(١) انظر: منهج القرآن في التحصين الفكري، للدكتور عبدالله الزبوت، و الدكتور محمد رابعة (ص ٧).

عليه الآمال سابقاً ليساهم في الرقي والتطور، كل ذلك بسبب فكرة ضالة تسرّبت من خلال أسلاك التقنية، أو أثير الهواء إلى فكره الخالي فتمكنت، لذا فإن من أهم الواجبات وأعظم المهمات في وقتنا الحالي غرس براهين الحق المستنبطة من أدلة الكتاب والسنة في عقول الشباب المسلم، حتى لا يكون فيها مجال لتشرب الباطل، حتى إذا عرضت لهم شبهة مُردية أو فكرة فاسدة مُعدية دفعوها بما معهم من نور الحق وشواهد الصدق، وبذلك تُحصّن العقول والأفكار ليعيش الشاب المسلم كما أراد الله تعالى له يبني ولا يهدم، ويجمع ولا يفرق، ويصلح ولا يفسد، وفي قلبه توحيدٌ عظيم وعقيدة سليمة تجعله يرجو بإصلاحه في الأرض رضوان الله والفوز بأعالي جنانه.

المطلب الثاني: التعريف بمصطلحات الرسالة.

الشرك لغة:

قال ابن فارس: "الشين والراء والكاف أصلاً، أحدهما يدل على مقارنة وخلاف انفرد، والآخر يدل على امتداد واستقامة، فالأول الشركة، وهو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما، ويقال: شاركت فلاناً في الشيء، إذا صرت شريكه"^(١).

وفي الاصطلاح: هو صرف نوع من أنواع العبادة لغير الله تعالى، وقد حذر القرآن الكريم منه تحذيراً شديداً، قال ربي ﷻ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة لقمان: ١٣]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة النساء: ٤٨] وبين القرآن الكريم أن من مات عليه فإن عاقبته نار جهنم خالداً فيها والعياذ بالله، قال سبحانه: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [سورة المائدة: ٧٢].

قال ابن باز^(٢) رحمه الله في بيان معنى الشرك: "الشرك على اسمه: هو تشريك غير الله مع الله في العبادة، كأن يدعو الأصنام أو غيرها، يستغيث بها، أو ينذر لها، أو يصلي لها، أو يصوم لها، أو يذبح لها، ومثل: أن يذبح للبدوي، أو للعيدروس، أو يصلي لفلان، أو يطلب المدد من الرسول ﷺ، أو من عبد القادر، أو من العيدروس في اليمن، أو غيرهم من الأموات

(١) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (كتاب الشين، مادة: شرك) (٢٦٥/٣).

(٢) هو: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، ولد سنة ١٣٣٠هـ بالرياض، تتلمذ على الشيخ محمد بن إبراهيم، وسعد بن عتيق، وحمد بن فارس وغيرهم، تولى قضاء الدلم، ورئاسة البحوث العلمية والإفتاء، وعين مفتياً عاماً للمملكة العربية السعودية ورئيساً لهيئة كبار العلماء، وشغل العديد من المناصب، له من المؤلفات: الأجوبة المفيدة على بعض مسائل العقيدة، والأدلة الكاشفة لأخطاء بعض الكتاب، والتحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة، وحاشية على فتح الباري وغيرها، توفي سنة ١٤٢٠هـ، انظر: مجموع فيه ترجمة عبدالعزيز بن باز وعبدالحق الهاشمي؛ لعبدالعزیز القاسم (ص ٩-٢٣٩).

والغائبين فهذا كله يسمى شركاً، وهكذا إذا دعا الكواكب، أو الجن، أو استغاث بهم، أو طلبهم المدد، أو ما أشبه ذلك، فإذا فعل شيئاً من هذه العبادات مع الجمادات، أو مع الأموات، أو الغائبين صار هذا شركاً بالله ﷻ، قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٨٨] ، وقال سبحانه:

﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ

وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة الزمر: ٦٥] ومن الشرك: أن يعبد غير الله عبادةً كاملة،

فإنه يسمى: شركاً، ويسمى: كفراً، فمن أعرض عن الله بالكلية وجعل عبادته لغير الله كالأشجار، أو الأحجار، أو الأصنام، أو الجن، أو بعض الأموات من الذين يسمونهم بالأولياء يعبدهم أو يصلي لهم، أو يصوم لهم، وينسى الله بالكلية فهذا أعظم كفراً وأشد شركاً، نسأل الله العافية" ١.

الإلحاد:

الإلحاد في اللغة: الميل والعدول عن الشيء، (٢) وفي الاصطلاح: هو الميل عن الشرع القويم إلى جهة من جهات الكفر، ومن الإلحاد الطعن في الدين مع ادعاء الإسلام، أو التأويل في ضرورات الدين لإجراء الأهواء (٣)، لذلك أثنى القرآن على المؤمنين بالغيب في مطلع كتابه، وجعلها أول صفة للمتقين الذين يهتدون بآيات القرآن العظيم قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ لَا رَيْبَ فِيهِمْ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٢ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ ٣ ۝﴾ [سورة البقرة: ١-٣]، ثم أكد ذلك بعدها بقليل قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ ٤ ۝﴾ [سورة البقرة: ٤].

(١) انظر: بيان التوحيد الذي بعث الله به الرسل جميعاً؛ لعبد العزيز بن باز (ص ٩٦-٩٧).

(٢) انظر: لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منطور الأنصاري الرويفي

الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة، (٣/٣٨٩).

(٣) انظر: حاشية ابن عابدين ٣ / ٢٩٦، وتفسير القرطبي ١٥ / ٣٦٦.

قال الشيخ السعدي ^(١) رَحِمَهُ اللهُ: "وقد نبغت في هذه الأزمان المتأخرة فرقة خبيثة، هم من أضل الخلق وأجهلهم وأعظمهم غروراً، وهم الماديون الملحدون"، وقال رَحِمَهُ اللهُ: "إن هؤلاء الملحدين حصروا العلوم المدركة في دائرة ضيقة، فما أدركوه بحواسهم وتجاربهم أثبتوه، وما لم يدركوه بذلك نفوه وأنكروه، فأنكروا من أجل ذلك علوم الغيب كلها وجحدوا ربوبية الله وأفعاله، وعطلوه من صفاته إذ لم يدخل ذلك تحت مداركهم القاصرة، وهذا باطل شرعاً وعقلاً: أما الشرع: فجميع الكتب السماوية وجميع الرسل تبطل قولهم وحصروا العلوم بمدركات الحس الظاهرة، ونفيهم لما عداها، وتثبت بالبراهين اليقينية من علوم الغيب ومن العلوم التي لا تدرك إلا بالوحي من الحقائق النافعة الصحيحة والمعارف الصادقة ما لا نسبه لعلومهم كلها إليها من أولها إلى آخرها.

وأما العقل: فجميع العقلاء المعتبرين يثبتون للعلوم مدارك غير مدارك الحس، فإن مدارك العلوم: الحس والعقل والأخبار الصادقة، فالأخبار الصادقة أعلاها وأصدقها، وأحقها بالحق خبر الله تعالى وخبر رسله ﷺ ففيهما تبيان لكل شيء، وهدى للخلائق وتوضيح للحقائق" ^(٢).

(١) هو: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ولد سنة ١٣٠٧ هـ في عنيزة، تتلمذ على الشيخ علي أبو وادي، وصالح القاضي، وتأثر بالشيخ محمد الأمين الشنقيطي، له من المؤلفات: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، والقواعد الحسان لتفسير القرآن، ومنهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين، والقواعد الفقهية نظم وشرحه، ونظم في أحكام الفقه وغيرها، توفي رَحِمَهُ اللهُ سنة ١٣٧٦ هـ، انظر: مقدمة: مجموع مؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ترجمة موسعة ٢١/١ - ٣٥١.

(٢) انظر: الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة؛ للشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر (٧٦- ٧٧).

التكفير:

لغة: أصل الكفر من الستر والتغطية، يقال: كفر الشيء إذا ستره^(١)، والكفر ضد الإيمان، والتكفير هو الحكم على معين بكفره لسبب موجب صريح لخروجه من دائرة الإسلام، بعد توفر شروط التكفير وانتفاء موانعه.

قال صاحب كتاب أصول في مسائل العقيدة: "التكفير: هو الحكم على أحد من الناس بأنه قد خرج من الإسلام، ووصفه بوصف الكفر؛ لإتيانه بما يوجب كفره"^(٢).
والتكفير أمره عظيم وخطره جسيم، بل هو بغْيٌ وظلْمٌ وعدوان، يقول ابن أبي العز الحنفي^(٣): "فإنه من أعظم البغي أن يشهد على معين أن الله لا يغفر له ولا يرحمه، بل يخلده في النار".

والحكم على معين بالكفر يترتب عليه أمور في الدنيا والآخرة:

أما أمور الدنيا: فيترتب عليه قطع الأخوة الدينية بينه وبين إخوانه المسلمين، وفسخ نكاحه، ومنع التوارث بينه وبين قرابته من المسلمين، كما يوجب شرعاً قتله للردة؛ لقوله ﷺ

(١) انظر: تاج العروس (فصل الكاف مع الراء) (٥٤/١٤)، مقاييس اللغة (كتاب الكاف، مادة: كفر) (١٩١/٥).

(٢) انظر: أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة، (٤٦/٢)، سعود بن عبد العزيز الخلف، الطبعة: ١٤٢٠ هـ-١٤٢١ هـ.

(٣) هو: أبو الحسن علي بن علاء الدين علي بن أبي عبد الله محمد بن شرف الدين أبي البركات محمد بن عز الدين أبي العز صالح الحنفي، المعروف بابن أبي العز، ولد ٧٣١ هـ، وقد نبغ في العلم، فتولى التدريس وهو في السابعة عشرة من عمره، وولي قضاء الحنفية بدمشق في آخر سنة ٧٧٦ هـ، له من المؤلفات: شرح العقيدة الطحاوية، والتنبيه على مشكلات الهداية، والاتباع، توفي سنة ٧٩٢ هـ، انظر: إنباء الغمر (٩٨-٩٥/٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٣٢٦/٦).

«لا يحل دم امريء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني؛ والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»^(١).

أما أمور الآخرة فهي أخطر وأعظم، وهي حرمان الإنسان من رحمة الله تعالى والخلود في النار، وقطع رجائه من الخروج منها، وعدم استحقاقه للشفاعة.

كما قد ورد الوعيد الشديد لمن وصف أحداً من المسلمين بالكفر، وهو ليس بكافر، وذلك كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «أما امريء قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال وإلا رجعت إليه»^(٢). وفي حديث آخر: «من دعا رجلاً بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه»^(٣) أي: عاد عليه.

فهذا وعيد شديد لمن وصف أحداً من الناس بالكفر وهو ليس بكافر.

ومذهب أهل السنة في ذلك أنهم لا يكفرون بالذنوب، فقد روي ((أن رجلاً سأل جابر بن عبد الله رضي الله عنه: هل كنتم تدعون أحداً من أهل القبلة مشركاً؟ قال: معاذ الله، ففزع لذلك قال: هل كنتم تدعون أحداً منهم كافراً؟ قال: لا))^(٤).

كما قال الطحاوي^(٥) رحمه الله: "ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنوب ما لم يستحله".

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٨٧٨) (٥/٩) كتاب الديات، باب قول الله تعالى: ﴿أَنَ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾، ومسلم برقم (١٦٧٦) (١٣٠٢/٣) كتاب القسامة والحاربين والقصاص والديات، باب ما يباح به دم المسلم.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦١٠٤) (٢٦/٨) كتاب الأدب، باب من كفر أخاه من غير تأويل فهو كما قال، ومسلم برقم (٦٠) (٧٩/١) كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر، واللفظ له.

(٣) أخرجه مسلم برقم (٦١) (٧٩/١) كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أبو يعلى في المسند برقم (٢٣١٧) (٢٠٧/٤)، قال في إتحاف الخيرة المهرة (٤١٩/٧): "رواه أبو يعلى موقوفاً بسند صحيح"، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٧/١): "رواه أبو يعلى والطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح".

(٥) هو: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، ولد سنة ٢٣٨هـ، انتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة بمصر، أخذ العلم عن أبي جعفر ابن أبي عمران، وعن أبي خازم وغيرهما، وتفقه على مذهب الشافعي على أبي إبراهيم المزني، له من المصنفات: العقيدة الطحاوية، ومعين الأمة على معرفة الوفاق والخلاف بين الأئمة، وشرح مشكل الآثار، وشرح

بمعنى: أن الذنوب التي هي الوقوع فيما حرم الله من شرب الخمر أو القذف أو الزنا لا توجب الكفر، حتى وإن كانت من الكبائر، إلا في حالة أن يستحلله الإنسان، فيرى أنه حلال له ذلك الذنب، أو تلك المعصية، فهذا يُخرج من الإسلام؛ لأن استحلاله يعني تكذيبه لكلام الله ورسوله ﷺ في تحريمه، وهو أعظم جرماً من الفعل نفسه^(١).

والاستحلال عمل قلبي لا يعلمه إلا الله، ثم لا يجوز أن يطلق آحاد الناس التكفير على من أرادوا وإن رأوا ما يُوجب ذلك، فهناك شروط يجب توافرها وانتفاء موانع، وأمور قلبية، ثم المؤهل للقيام بذلك ولي الأمر، أو القضاء الموكل بهذه الأمور، ولو تُرك الأمر على حسب أهواء الناس لفسدت الأرض وظهرت الفتن وانتفى الأمن، نسأل الله السلامة.

أما من يتساهل في موضوع التكفير كالخوارج وأتباعهم، فيكفرون المؤمنين بالمعاصي، فقد جاءوا ظلماً مبيناً، وافتروا إثماً عظيماً، وسيكون الحديث في جزء من هذه الرسالة عنهم، في بيان خطرهم وتحصين الفكر من أباطيلهم بإذن الله وعونه.

الفرقة:

الفرقة لغة: من الافتراق نقيض الاجتماع، يقال افترق القوم إذا فارق بعضهم بعضاً^(٢)، وهي سبب الخلاف والشر، وتراها واضحة في الأحزاب المتناحرة، قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [سورة الروم: ٣٢] وقد حذّر القرآن الكريم أشد التحذير من الافتراق وبين سوء عواقبه، قال الله ﷻ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ

معاني الآثار، توفي سنة ٣٢١هـ، انظر: طبقات الفقهاء؛ للشيرازي (ص ١٤٢)، إكمال الإكمال (٥١/٤)، وفيات الأعيان (٧١/١).

(١) انظر: أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة؛ لسعود الخلف (٤٦/٢-٤٧).

(٢) انظر: الجاسوس على القاموس (٦٢٤)، المعجم الوسيط (باب الفاء) (٦٨٥/٢).

عَنْ سَبِيلِهِ ﴿١٥٣﴾ [سورة الأنعام: ١٥٣] وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَنْزَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [سورة الأنفال: ٤٦].

قال الشيخ عبد الرزاق عفيفي^(١): " وقد أمر الله - تعالى - في كتبه، وعلى ألسنة رسله بوحدة الكلمة، والاعتصام بشرعه، وحذر من الفرقة والاختلاف، وبين عاقبة ذلك بما ذكر من أحوال الأمم الماضية، وما حاق بها من الدمار، وأصابها من الهلاك، وحثهم على البلاغ والبيان، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ نُصرة للحق؛ وإزالة للشبهة؛ وإحباطاً لكيد دعاة السوء واستهوائهم النفوس الضعيفة.

قال الله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢] وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٩] " ^(٢).

البيعة:

قال ابن منظور: «البيعة عبارة عن المعاهدة والمعاهدة، كأن كل واحد منهما باع ما عنده من صاحبه، وأعطاه خالصة نفسه، وطاعته، ودخيلة أمره»^(٣)، وهي ميثاق يُؤخذ لولي الأمر من الناس بطاعته بالمعروف، وهي التي عبر القرآن الكريم عنها في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاتَّقْتُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [سورة المائدة: ٧]، قال

(١) هو: عبد الرزاق عفيفي عطية، ولد بشنشور، وهي قرية تابعة لمحافظة المنوفية في مصر سنة ١٣٢٣ هـ، انتدب للتدريس بالملكة العربية السعودية سنة ١٣٦٨ هـ، وعين عضواً في هيئة كبار العلماء، من مؤلفاته: مذكرة التوحيد، وتعليق على الإحكام في أصول الأحكام، توفي سنة ١٤١٥ هـ، انظر: تنمة الأعلام ٢٨٦/١-٢٨٧.

(٢) انظر: مذكرة التوحيد؛ لعبد الرزاق عفيفي (ص ١٠٧-١٠٨).

(٣) انظر: لسان العرب (كتاب العين، فصل الباء) (٢٥/٨).

ابن كثير^(١): "وهذه هي البيعة التي كانوا يبايعون رسول الله ﷺ عليها عند إسلامهم، كما قالوا: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة، في منشطنا ومكرهنا، وأثرة علينا، وألا ننازع الأمر أهله» (٢) (٣)".

(١) هو: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، ولد سنة ٧٠١ هـ بالشام، وتلمذ على علم الدين البرزالي، وشيخ الإسلام ابن تيمية وقرأ عليه كثيراً، والحافظ الذهبي وغيرهم، له من المؤلفات: تفسير القرآن العظيم، والبداية والنهاية، والباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، وطبقات الشافعية، وغيرها، توفي سنة ٧٧٤ هـ بدمشق، انظر: الدرر الكامنة (٤٤٥/١) طبقات المفسرين؛ للداودي (١١١/١-١١٣).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧٠٥٦) كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ سترون بعدي أموراً تنكرونها، ومسلم برقم (١٧٠٩) (٣/١٤٧٠) كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم؛ لابن كثير (٦١/٣-٦٢)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤ هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠ هـ-١٩٩٩ م

الباب الأول:

التحصين الفكري في القرآن الكريم من الشرك

وفيه فصلان:

الفصل الأول: تحذير القرآن الكريم من الشرك وبيان سوء عاقبة أهله.

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: تحذير القرآن الكريم من الشرك بأنواعه.

المبحث الثاني: دعوة الرسل إلى توحيد الله تعالى والتحذير من الشرك.

المبحث الثالث: أولوا الألباب هم أبعد الناس عن الشرك مع خوفهم من الوقوع فيه.

المبحث الرابع: الحكم على المشركين بالخلود في نار جهنم.

المبحث الخامس: الحكم بعدم فلاح من أشرك بالله تعالى.

المبحث الأول

تحذير القرآن الكريم من الشرك بأنواعه

أنزل الله تعالى القرآن الكريم نوراً وهدى للعالمين، مُرشداً الخلق إلى كل خير، مُبيناً سُبُل الهداية والرشاد، وموصلاً إلى السعادة في الدنيا ويوم المعاد، ومن تمام ذلك البيان التحذير من أضرار ذلك، من الشرور والفساد، ومن طُرُق الغواية الموصلة إلى الهلاك في الدنيا والآخرة، وأعظم خير دلّ عليه القرآن هو التوحيد، وأكبر شر حذرنا منه هو الشرك، فتعبد الصالحون بهم بالتوحيد ففازوا، ووقع غيرهم في وحول الشرك فخسروا وخابوا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [سورة فصلت: ٤٦] .

لقد حذر القرآن الكريم المسلمين من الشرك بأنواعه، والمقصود هنا هو الشرك الأكبر، فحذر من الشرك في الربوبية، ومن الشرك في الألوهية، ومن الشرك في الأسماء والصفات.

التحذير من الشرك في الربوبية:

الله ﷻ هو رب العالمين، وهو الخالق الرازق المدبر وحده لا شريك له، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، قال ربنا جل في علاه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة الروم: ٤٠]، سبحانه ربّاهم بالتّعم، خلقهم ورزقهم وسخر لهم جميع ما في السموات وما في الأرض، بل يقول تعالى: ﴿وَأَتَذَكَّرُ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٤] قال السعدي رحمه الله في الآية الأولى: "يُنْخَبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ وَحْدَهُ الْمُنْفَرِدُ بِخَلْقِكُمْ وَرِزْقِكُمْ وَإِمَاتَتِكُمْ وَإِحْيَائِكُمْ، وَأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الشُّرَكَاءِ الَّتِي يَدْعُوهُمْ الْمُشْرِكُونَ مِنْ يَشَارِكِ اللَّهُ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، فَكَيْفَ يَشْرِكُونَ بِمَنْ انْفَرَدَ بِهَذِهِ الْأُمُورِ مِنْ لَيْسَ لَهُ

تصرف فيها بوجه من الوجوه؟! فسبحانه وتعالى وتقدس وتنزه وعلا عن شركهم، فلا يضره ذلك وإنما وبألمهم عليهم" (١).

وقال الشنقيطي (٢) في الأضواء: "ولا شكَّ أنَّ الجواب الذي لا جواب لهم غيره هو: لا، أي: ليس من شركائنا من يقدرُ على أن يفعل شيئاً من ذلك المذكور من الخلق والرزق والإماتة والإحياء، فلما تعين اعترافهم وبخهم منكرًا عليهم بقوله: ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة الروم: ٤٠]، والآيات بنحو هذا كثيرةٌ جداً، ولأجل ذلك ذكرنا في غير هذا الموضع أنَّ كلَّ الأسئلة المتعلقة بتوحيد الربوبية استتفهامات تقريرية، يراد منها أنهم إذا أقروا ربَّ لهم التوبيخ والإنكار على ذلك الإقرار؛ لأنَّ المُقرَّ بالربوبية يلزمه الإقرار بالالوهية ضرورة؛ نحو قوله تعالى ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ [سورة إبراهيم: ١٠]، وقوله: ﴿قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْنَى رَبًّا﴾ [سورة الأنعام: ١٦٤] (٣).

فالقرآن في هذه الآية استدل على ربوبية الله ﷻ بأنه خالق الخلق ورازقهم، وأنه يميتهم ثم يحييهم، وأن الشركاء الذين عُبدوا من دونه ضعفاء عاجزين أذلاء لا يقدرّون على شيء من ذلك، وفي هذا دليل واضح على بطلان الشرك والتنفير منه، وفي موضع آخر من القرآن استدل الله تعالى على توحيده في الربوبية وبطلان الشرك بخلقه للسموات والأرض، وبعجز الشركاء عن نفع أنفسهم أو ضررها، قال سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَتَتَّخِذُونَ

(١) انظر: تفسير السعدي (ص ٦٤٣)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦ هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

(٢) هو: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر بن محمد الشنقيطي، ولد سنة ١٣٢٥ هـ بشنقيط وتعلم بها، وحج سنة ١٣٦٧ هـ واستقر مدرساً في المدينة المنورة، له من المؤلفات: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، وآداب البحث والمناظرة، ومذكرة في أصول الفقه، وغيرها، توفي سنة ١٣٩٢ هـ، انظر: الأعلام (٤٥/٦) مع صاحب الفضيلة والدنا محمد الأمين الشنقيطي؛ لعطية محمد سالم (ص ٢٠-٥٦) معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر (٢/٤٩٦).

(٣) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (٢/٢١) للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣ هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾
[سورة الرعد: ١٦].

وفي موضع آخر بين القرآن الكريم خلق الله العظيم في الآفاق حولنا ثم تحدى المشركين أن يظهروا ما خلق شركاؤهم إن كانوا صادقين، وصدق ربي جل في علاه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [سورة الحج: ٧٣] وفي الآيات قبل والتي ستأتي إثبات صريح على بطلان الشرك وضلال أهله، قال الله ﷻ: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْأَرْضَ فِي أَرْبَعِ رَوَاسٍ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [سورة لقمان: ١٠-١١].

وحذر القرآن الكريم من شرك النصارى واليهود وكل من زعم أن لله ولداً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فقال سبحانه: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَخُزُّ الْجِبَالِ هَدًّا ﴿٩٠﴾﴾ [سورة مريم: ٨٨-٩٠]، وقال عز وجل: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [سورة المؤمنون: ٩١]، وقال سبحانه في سورة يونس: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [سورة يونس: ٦٨]، وقال ﷺ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة آل عمران: ٥٩] وبعدها قال: ﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا

وَيَنْبَغِيكُمْ إِلَّا تَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ [سورة آل عمران: ٦٤].

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله: "يخبر تعالى محتجاً على النصارى الزاعمين بعيسى عليه السلام ما ليس له بحق، بغير برهان ولا شبهة، بل بزعمهم أنه ليس له والد استحق بذلك أن يكون ابن الله أو شريكاً لله في الربوبية، وهذا ليس بشبهة فضلاً أن يكون حجة؛ لأن خلقه كذلك من آيات الله الدالة على تفرد الله بالخلق والتدبير وأن جميع الأسباب طوع مشيئته وتبع لإرادته، فهو على نقيض قولهم أدل، وعلى أن أحداً لا يستحق المشاركة لله بوجه من الوجوه أولى، ومع هذا فآدم عليه السلام خلقه الله من تراب لا من أب ولا أم، فإذا كان ذلك لا يوجب لأدم ما زعمه النصارى في المسيح، فالمسيح المخلوق من أم بلا أب من باب أولى وأحرى، فإن صح ادعاء النبوة والإلهية في المسيح، فادّعاؤها في آدم من باب أولى وأحرى، فلهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٥٩﴾ [آل عمران: ٥٩] أي: هذا الذي أخبرناك به من شأن المسيح عليه السلام هو الحق الذي في أعلى رتب الصدق؛ لكونه من ربك الذي من جملة تربيته الخاصة لك ولأمتك أن قص عليكم ما قص من أخبار الأنبياء عليهم السلام. ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُؤْمَرِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٦٠]، أي: الشاكين في شيء مما أخبرك به ربك، وفي هذه الآية وما بعدها دليل على قاعدة شريفة وهو: أن ما قامت الأدلة على أنه حق وجزم به العبد من مسائل العقائد وغيرها، فإنه يجب أن يجزم بأن كل ما عارضه فهو باطل، وكل شبهة تورده عليه فهي فاسدة، سواء قدر العبد على حلها أم لا، فلا يوجب له عجزه عن حلها القدح فيما علمه؛ لأن ما خالف الحق فهو باطل، قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [سورة يونس: ٣٢].

وبهذه القاعدة الشرعية تنحل عن الإنسان إشكالات كثيرة يوردها المتكلمون ويرتبها المنطقيون، إن حلها الإنسان فهو تبرع منه، وإلا فوظيفته أن يبين الحق بأدلتها ويدعو إليه^(١). وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [سورة آل عمران: ٦٤]، "أي: قل لأهل الكتاب من اليهود والنصارى هلموا نجتمع عليها وهي الكلمة التي اتفق عليها الأنبياء والمرسلون، ولم يخالفها إلا المعاندون والضالون، ليست مختصة بأحدنا دون الآخر، بل مشتركة بيننا وبينكم، وهذا من العدل في المقال والإنصاف في الجدل، ثم فسرنا بقوله: ﴿ٱلَّا نَعْبُدُ ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِۦ شَيْئًا﴾ فنفرد الله بالعبادة، ونخصه بالحب والخوف والرجاء ولا نشرك به نبياً، ولا ملكاً، ولا ولياً، ولا صنماً، ولا وثناً، ولا حيواناً، ولا جماداً ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ ٱللَّهِ﴾ بل تكون الطاعة كلها لله ولرسله، فلا نطيع المخلوقين في معصية الخالق؛ لأن ذلك جعل للمخلوقين في منزلة الربوبية، فإذا دُعي أهل الكتاب أو غيرهم إلى ذلك، فإن أجابوا كانوا مثلكم، لهم ما لكم وعليهم ما عليكم، وإن تولوا فهم معاندون متبعون أهواءهم فأشهدوهم أنكم مسلمون، ولعل الفائدة في ذلك أنكم إذا قلتم لهم ذلك وأنتم أهل العلم على الحقيقة، كان ذلك زيادة على إقامة الحجة عليهم كما استشهد تعالى بأهل العلم حجة على المعاندين، وأيضاً فإنكم إذا أسلمتم أنتم وآمنتم فلا يعبأ الله بعدم إسلام غيركم لعدم زكائهم ولخبث طويتهم، كما قال تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُواْ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [سورة الإسراء: ١٠٧].

وأيضاً فإن في ورود الشبهات على العقيدة الإيمانية مما يوجب للمؤمن أن يجدد إيمانه ويعلن بإسلامه، إخباراً بيقينه، وشكراً لنعمة ربه^(٢).

(١) انظر: تفسير السعدي (ص ١٣٣).

(٢) انظر: تفسير السعدي (ص ١٣٣).

وقد بين القرآن الكريم عقوبة من تجرأ وادعى الربوبية، وأوضح أن عاقبته ومآله الخزي العظيم، والعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، فحين ادعى فرعون ذلك أخبرنا بخزيه وعذابه، قال سبحانه: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقَدَ لِي يَهْمُنُ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أُطْلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ٣٨﴾ وَأَسْتَكَبرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَلُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ٣٩ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَأُنْظِرُ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ٤٠﴾ [سورة القصص: ٣٨-٤٠].

وحين قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ٢٤﴾ [سورة النازعات: ٢٤] جاء العقاب سريعاً بحرف الفاء التي تفيد ذلك: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْأَخْزَقِ وَالْأُولَى ٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى ٢٦﴾ [سورة النازعات: ٢٥-٢٦].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: "يخبر تعالى عن كفر فرعون وطغيانه وافتراءه في دعوى الإلهية لنفسه القبيحة -لعنه الله - كما قال تعالى: ﴿فَأَسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ٥٤﴾ [سورة الزخرف: ٥٤] وذلك لأنه دعاهم إلى الاعتراف له بالإلهية، فأجابوه إلى ذلك بقله عقولهم وسخافة أذهانهم؛ ولهذا قال: ﴿يَتَأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾ [سورة القصص: ٣٨]، [و] قال تعالى إخباراً عنه: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى ٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْأَخْزَقِ وَالْأُولَى ٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى ٢٦﴾ [سورة النازعات: ٢٣-٢٦] يعني: أنه جمع قومه ونادى فيهم بصوته العالي مصرحاً لهم بذلك، فأجابوه سامعين مطيعين؛ ولهذا انتقم الله تعالى منه، فجعله عبرة لغيره في الدنيا والآخرة" (١).

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢٣٨/٦)

والآيات في هذه السياق في القرآن كثيرة، وأيضاً في النهي عن باقي أنواع الشرك، ونكتفي بضرب بعض الأمثلة التي تدل اللبيب على المراد.

التحذير من الشرك في الألوهية:

توحيد الألوهية هو توحيد العبادة لله ﷻ، والله تعالى يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات: ٥٦].

من هنا يتبين عظم شأن توحيد الألوهية، فما خلق الله الخلق إلا لأجله، وفي المقابل يتبين شناعة الشرك في الألوهية، وقد كانت العرب قبل الإسلام تصرف العبادة للأصنام وللآلهة، وقد وضعوها حول الكعبة، حتى فتحها الله تعالى لنبيه ﷺ، فحطمها وأعلن التوحيد الخالص في ربوع مكة، وهذا الشرك لا يغفره الله تعالى لمن مات عليه، قال ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة النساء: ٤٨].

قال شيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب^(١) رحمه الله: "وصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله كصرف جميعها؛ لأنه سبحانه أغنى الشركاء عن الشرك ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾ ٢ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ٣ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ٤﴾ [سورة الزمر: ٢-٣].

(١) هو: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي، ولد سنة ١١١٥هـ بالعينة، تتلمذ على عبد الله بن إبراهيم بن سيف، ورحل إلى البصرة وتلمذ على شيوخها، وكان عالماً مصلحاً ودعوته الإصلاحية في نجد أشهر من أن تذكر، له من المؤلفات: كتاب التوحيد، وكشف الشبهات، ومختصر السيرة النبوية، ومختصر زاد المعاد، وغيرها، توفي سنة ١٢٠٦هـ، انظر: الأعلام (٢٥٧/٦) معجم المؤلفين (٢٦٩/١٠).

فأخبر سبحانه أنه لا يرضى من الدين إلا ما كان خالصاً لوجهه، وأخبر أن المشركين يدعون الملائكة والأنبياء والصالحين ليقربوهم إلى الله زلفى ويشفعوا لهم عنده، وأخبر أنه لا يهدي من هو كاذب كفار فكذبهم في هذه الدعوى وكفرهم فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ ، وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة يونس: ١٨].

فأخبر أن من جعل بينه وبين الله وسائط يسألهم الشفاعة فقد عبدهم وأشرك بهم، وذلك أن الشفاعة كلها لله، كما قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ [سورة الزمر: ٤٤]، فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه كما قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [سورة طه: ١٠٩]، وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [سورة الأنبياء: ٢٨]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ [سورة الشورى: ٢٢]، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لِمَنِ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ [سورة سبأ: ٢٢-٢٣]، فالشفاعة حق ولا تطلب في دار الدنيا إلا من الله تعالى كما قال ﷺ: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الجن: ١٨]، وقال: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة يونس: ١٠٦].

فإذا كان الرسول ﷺ وهو سيد الشفعاء، وصاحب المقام المحمود، وآدم فمن دونه تحت لوائه لا يشفع إلا بإذن الله لا يشفع ابتداء بل "يأتي فيخر ساجداً فيحمده بمحامد يعلمه إياها، ثم يقال ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعط، واشفع تشفع، ثم يحد له حداً فيدخلهم الجنة". فكيف بغيره من الأنبياء والأولياء.

وقد أجمع على ذلك السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم ممن سلك سبيلهم ودرج على منهجهم.

وأما ما صدر من سؤال الأنبياء والأولياء الشفاعة بعد موتهم وتعظيم قبورهم ببناء القباب عليها والسرَج، والصلاة عندها واتخاذها أعياداً وجعل السدنة والنذور لها، فكل ذلك من حوادث الأمور التي أخبر بوقوعها النبي ﷺ وحذر منها، كما في الحديث عنه ﷺ أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان»^(١)، و قد حمى النبي ﷺ جناب التوحيد أعظم حماية، وسد كل طريق يوصل إلى الشرك، فنهى أن يخصص القبر، وأن يبنى عليه، كما ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر^(٢)، وثبت فيه أيضاً أنه بعث علي بن أبي طالب ﷺ وأمره أن لا يدع قبراً مشرفاً إلا سواه، ولا تمثالاً إلا طمسه^(٣)، ولهذا قال غير واحد من العلماء: يجب هدم القبب المبنية على القبور لأنها أسست على معصية الرسول ﷺ^(٤).

والشرك أعظم ذنب عُصي الله تعالى به، لذلك كانت العقوبة عظيمة لمن مات على الشرك، وهي الخلود في نار جهنم والعياذ بالله، ولذا وُصف الشرك بأنه ظلم عظيم كما قال ربنا ﷺ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة لقمان: ١٣]، والظلم وضع الشيء في غير موضعه، فكيف يوضع المخلوق الضعيف الذليل العاجز موضع الخالق جل في علاه، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ

(١) أخرجه أبو داود برقم (٤٢٥٢) (٣٠٥/٦) وابن ماجه برقم (٣٩٥٢) (٩٧/٥)، وصححه الحاكم في المستدرک (٤٩٦/٤)، وقال الذهبي: "على شرط البخاري ومسلم".

(٢) أخرجه مسلم برقم (٩٧٠) (٦٦٧/٢) كتاب الجنائز، باب النهي عن تخصيص القبر والبناء عليه، عن جابر قال: "نهى رسول الله ﷺ أن يخصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه".

(٣) أخرجه مسلم برقم (٩٦٩) (٦٦٦/٢) كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر، من طريق سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ "أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته".

(٤) انظر: دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب سلفية لا وهابية؛ لأحمد بن عبد العزيز الحصين (ص ١٩-٢٠).

الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾
 [سورة الأنعام: ١]، وقال سبحانه في سورة الفرقان: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا
 وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾
 [سورة الفرقان: ٣].

وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ
 شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْتَبِهُونَ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
 عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة يونس: ١٨].

قال الشوكاني^(١) رحمه الله: "وبهذا تعرف أنَّ المشركين لم يتخذوا الأصنام والأوثان ولم يعبدوها،
 ولم يتخذوا المسيح وأمه، ولم يتخذوا الملائكة شركاء لله تعالى، لأجل أنَّهم أشركوهم في خلق
 السموات والأرض، وفي خلق أنفسهم؛ بل اتخذوهم لأنَّهم يقربونهم إلى الله زلفى، كما قالوه،
 فهم مقرُّون بالله في نفس كلمات كفرهم، وأنَّهم شفعاء عند الله، فجعل الله تعالى اتِّخاذهم
 للشفعاء شركاً، ونزَّه نفسه عنه؛ لأنَّه لا يشفع عنده أحدٌ إلاَّ بإذنه، فكيف يُثبتون شفعاء لهم
 لم يأذن الله لهم في الشفاعة، ولا هم أهل لها، ولا يُغنون عنهم من الله شيئاً؟! "^(٢).

التحذير من الشرك في الأسماء والصفات:

الشرك في الأسماء والصفات هو تسوية الله تعالى بال مخلوقين، إما في الأسماء كمسيلمة حين
 تسمى برحمن اليمامة، فأخزاه الله ثم اشتهر بعدها بمسيلمة الكذاب، وإما أن تكون في الصفات

(١) هو: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ولد سنة ١١٧٣هـ، تولى القضاء سنة ١٢٢٩هـ، وله من المصنفات: نيل
 الأوطار، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، وفتح القدير في التفسير، وغيرها، توفي سنة ١٢٥٠هـ، انظر: التاج
 المكلل (ص ٤٣٦)، فهرس الفهارس (١٠٨٣/٢)، الأعلام (٢٩٨/٦).

(٢) انظر: شرح الصدور في تحريم رفع القبور (ص ٥١)، لمحمد بن إسماعيل الصنعاني، محمد بن علي بن محمد الشوكاني،
 المحقق: عبد المحسن بن حمد العباد البدر، الناشر: مطبعة سفير، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤

كادعاء السحرة والكهنة علم الغيب - تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً-، قال ربنا ﷺ: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [سورة النمل: ٦٥].

ومن الآيات الجامعة المانعة في هذا السياق قول ربنا جل في علاه: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٨٠].

أمر الله ﷻ أن ندعوه بأسمائه الحسنى التي سمى الله نفسه بها في كتابه، أو سمّاه بها نبيه ﷺ في السنة الصحيحة، ثم حذر من الإلحاد في أسمائه.

والإلحاد هو: الميل، والمقصود -والله أعلم- الميل بها عما أراد الله من الإيمان الصحيح بها، ودعاؤه بالأسماء كما أمر.

قال الشوكاني في تفسيره: "الإلحاد: الميل وترك القصد، يقال: لحد الرجل في الدين وألحد: إذا مال، ومنه اللحد في القبر لأنه في ناحية، والإلحاد في أسمائه سبحانه يكون على ثلاثة أوجه، إما بالتغيير كما فعله المشركون، فإنهم أخذوا اسم اللات من الله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان أو بالزيادة عليها بأن يخترعوا أسماء من عندهم لم يأذن الله بها، أو بالنقصان منها، بأن يدعوه ببعضها دون بعض" (١).

وجاء في تفسير الطبري (٢) قوله: "وكان إلحادهم في أسماء الله تعالى، أنهم عدّلوا بها عما هي عليه، فسمّوا بها آلهتهم وأوثانهم، وزادوا فيها ونقصوا منها، فسمّوا بعضها (اللات) اشتقاقاً

(١) انظر: فتح القدير (٣٠٥/٢) لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠ هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.

(٢) هو: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، ولد سنة ٢٢٤ هـ، لقب بإمام المفسرين، طوف الأقاليم، وسمع من أحمد بن منيع، وأبي كريب، وهناد بن السري، وغيرهم، له من المؤلفات: تفسيره المسمى جامع البيان عن تأويل آي القرآن، وصريح السنة، وتاريخ الطبري المسمى تاريخ الأمم والملوك، استقر أواخر عمره أمره ببغداد، توفي سنة ٣١٠ هـ، انظر: سير أعلام النبلاء (٢٦٧/١٤ - ٢٨٢)، طبقات المفسرين للسيوطي (ص ٩٥-٩٧)، طبقات المفسرين؛ للدواودي (١١٠/٢ - ١١٨).

منهم لها من اسم الله الذي هو (الله) وسموا بعضها (العزى) اشتقاقاً لها من اسم الله الذي هو (العزى) " (١).

وعن مجاهد (٢): ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ قال: "اشتقوا (العزى) من (العزى) واشتقوا (اللات) من (الله)" (٣).

وفي الآية تحذير من الشرك في أسماء الله تعالى والميل بها عما أراد ربنا ﷻ، ومعرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلى على الوجه الصحيح، والإيمان بها باب عظيم يقود العبد إلى الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة، فكلما عرف العبد ربه ﷻ بأسمائه وصفاته ازداد له محبة وقرباً، وطاعة ورضاً، وخوفاً ورجاء، فتقبل عليه حينئذ وفود الخيرات من كل مكان، أما من ألحد وأشرك فسينال العقوبة والعذاب نسأل الله العافية.

قال السعدي رحمه الله في قوله: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: "أي: عقوبة وعذاباً على إلحادهم في أسمائه، وحقيقة الإلحاد الميل بها عما جعلت له، إما بأن يسمى بها من لا يستحقها، كتسمية المشركين بها لألهتهم، وإما بنفي معانيها وتحريفها، وأن يجعل لها معنى ما أراده الله ولا رسوله، وإما أن يشبه بها غيرها، فالواجب أن يحذر الإلحاد فيها، ويحذر الملحدون فيها" (٤).

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٨٢/١٣)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠ هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م..

(٢) هو: مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، ولد سنة ٢١ هـ في خلافة عمر بن الخطاب، روى عن ابن عباس وقرأ عليه القرآن ثلاث عرضات، وروى عن عائشة رضي الله عنها، توفي بمكة سنة ١٠٤ هـ وهو ساجد، روى عنه عكرمة، وطاووس، وعطاء بن السائب، وسليمان الأعمش، وغيرهم، انظر: سير أعلام النبلاء (٤/٤٤٩-٤٥٧) طبقات المفسرين للداوودي (٣٠٨/٢).

(٣) انظر: المرجع السابق (٢٨٢/١٣).

(٤) انظر: تفسير السعدي (ص ٣٠٩).

المبحث الثاني

دعوة الرسل إلى توحيد الله والتحذير من الشرك

مما اتفقت عليه دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم؛ الدعوة إلى توحيد الله تعالى والتحذير من الشرك، قال ربنا ﷺ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [سورة النحل: ٣٦] وقال ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٥].

فدين الله واحد وهو الإسلام، وهو ما بعث به جميع أنبيائه ورسله، والإسلام بمعناه العام هنا: الاستسلام لله تعالى وتوحيده وإفراد العبادة له وحده بلا شريك أو ند أو شبيه؛ لذلك كان من أركان الإيمان أن يؤمن العبد بجميع رسل الله تعالى، وأن دينهم ورسالتهم واحدة، وهذا الوضوح وعدم التعقيد من أعظم نعم الله على خلقه، فالإسلام والتوحيد يتفقان مع الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها، فالإله واحد والدين واحد، وجميع الرسل أتوا برسالة واحدة وهي الإسلام، اختلفت شرائعهم حسب ما تقتضيه حكمة الله البالغة في أوقاتهم وما يناسب تلك المراحل من التاريخ، ولكن أصل الدين وهو الإسلام وتوحيد الله تعالى والإيمان بالبعث كل ذلك قد اتفقت عليه دعوة الأنبياء جميعاً، وكان خاتمهم نبينا محمد ﷺ الذي أكمل الله الدين برسالته، وبالقرآن الذي أنزله على قلبه، وشريعته قد نسخت ما قبلها وهي الباقية إلى قيام الساعة، ولعل الوضوح في عقيدة دين الإسلام واليسر في شريعة نبينا محمد ﷺ هو ما يفسر الانتشار السريع للإسلام في الأرض، وكثرة دخول الناس فيه، رغم تقصير أهله في الدعوة إليه، فالحمد لله على الهداية لهذا الدين العظيم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بيان أن الإسلام هو دين الأنبياء جميعاً: "وكان نوح وإبراهيم وموسى والمسيح وسائر أتباع الأنبياء عليهم السلام على الإسلام قال الله تعالى عن نوح: ﴿وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة يونس: ٧٢] وقال عن إبراهيم: ﴿وَمَنْ يَرْغُبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [سورة ١٣٠] إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَتَسْمِتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ [سورة البقرة: ١٣٠-١٣٢] وقال عن موسى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمُ إِن كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَاجِيهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [سورة يونس: ٨٤] وقالت السحرة: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٢٦] وقال يوسف: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [سورة يوسف: ١٠١] وقال تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ [سورة المائدة: ٤٤] وقال عن الحواريين: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [سورة المائدة: ١١١].

فكل من لم يعبد الله بعد مبعث محمد ﷺ بما شرعه الله من واجب ومستحب فليس بمسلم. ولا بد في جميع الواجبات والمستحبات أن تكون خالصة لله رب العالمين؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [سورة البينة: ٤-٥].

وقال تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [سورة ١] إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ [سورة الزمر: ١-٣].

فكل ما يفعله المسلم من القرب الواجبة والمستحبة كالإيمان بالله ورسوله، والعبادات البدنية والمالية، ومحبة الله ورسوله، والإحسان إلى عباد الله بالنفع والمال هو مأمور بأن يفعله خالصاً لله رب العالمين لا يطلب من مخلوق عليه جزاء، لا دعاء ولا غيره^(١).

ولأن الرسل صلوات الله عليهم جميعاً رسالتهم واحدة وهي: الدعوة إلى توحيد الله ﷻ وإفراده بالعبادة، جاء الأمر في القرآن الكريم بالإيمان بهم جميعاً وعدم التفريق بينهم ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٣٦].

"اشتملت هذه الآية الكريمة -على إيجازها واختصارها- على أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، واشتملت على الإيمان بجميع الرسل، وجميع الكتب، وعلى التخصيص الدال على الفضل بعد التعميم، وعلى التصديق بالقلب واللسان والجوارح، والإخلاص لله في ذلك، وعلى الفرق بين الرسل الصادقين، ومن ادعى النبوة من الكاذبين، وعلى تعليم الباري عباده، كيف يقولون، ورحمته وإحسانه عليهم بالنعمة الدينية المتصلة بسعادة الدنيا والآخرة، فسبحان من جعل كتابه تبياناً لكل شيء، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون"^(٢).

ولما كان هذا عِظم شأن التوحيد، وأنه رسالة الإسلام التي أتى بها الأنبياء جميعاً، حذر القرآن الكريم أنه لن يقبل من أحد يوم القيامة غيره، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٨٥].

(١) انظر: مجموع الفتاوى؛ (١/١٩٠) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨ هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م..

(٢) انظر: تفسير السعدي (٦٧-٦٨).

وقد تبين لنا في المبحث الأول تحذير القرآن الشديد من الشرك والوقوع فيه، ومن أراد السلامة منه فعليه بأمور:

أولاً: بالاستعانة بالله أولاً، فإن المرء مهما اجتهد في دفع الضر، وجلب الخير لا يحصله إلا بعون الله وتوفيقه.

كما قال سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة: ٥] قال بعض السلف: الفاتحة سرُّ القرآن وسرُّها هذه الكلمة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] فالأول: تبرؤ من الشرك، والثاني: تبرؤ من الحول والقوة، وتفويض إلى الله ﷻ، وهذا المعنى ورد في غير آية من القرآن كما قال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة هود: ١٢٣] ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [سورة الملك: ٢٩] ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [سورة المزمل: ٩].

ولا يستطيع العبد الإتيان بالأولى وهي العبادة إلا بالثانية وهي الاستعانة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

لذا فليكن اللجوء والدعاء والتضرع والرجاء إلى رب الأرض والسماء ديدنا بأن يجنبنا الشرك وأن يسلمنا منه، ولنا في الخليل إبراهيم عليه السلام إمام الأنبياء أسوة، حين خاف على نفسه وبنيه من الشرك، رغم أنه هو من حطَّم الأصنام، فقال: ﴿وَأَجْبِئْنِي بِبَنِيَّ أَنْ تَعْبُدُوا الْأَصْنَامَ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٥].

ثانياً: التوبة الشاملة العامة من الشرك كلّ دقّه وجلّه، والاستغفار والانكسار بين يدي الله تعالى، والعود به واللوذ من أن يكون علق بنا شيء من الشرك في الماضي نعلمه أو لا نعلمه.

وقد كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من أن أشرك بك شيئاً أعلمه، وأستغفرك لما لا أعلمه»^(١)، فكيف بنا نحن، نسأل الله العافية والسلامة.

ثالثاً: يجب علينا أن نتعلم التوحيد، وأن نبذل جُل أوقاتنا - إن لم يكن كلها - لنحصن أنفسنا بتعلم مسائل التوحيد، وأن نعرف الشرك ومداخله بكل أنواعه وألوانه لنحذر منه، ونعلم أبناءنا وأهلينا ذلك ونحرص عليه مع سؤال الله الثبات على التوحيد والسنة حتى نلقاه.

وصدق الفاروق عمر رضي الله عنه إذ يقول: ((إِنَّمَا تُقَضُّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةُ عُروَةٍ؛ إِذَا نَشَأَ فِي الْإِسْلَامِ مَنْ لَا يَعْرِفُ الْجَاهِلِيَّةَ))^(٢).

ومن هذا الباب قول حذيفة رضي الله عنه: ((كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني))^(٣).

رابعاً: أن نطالع قصص الأنبياء عليهم السلام وكيف تثبتهم الله على التوحيد، ونتعاهد سيرة نبينا ﷺ ونتعلم أحاديثه الكثيرة التي حذرنا فيها من الشرك كبيره وصغيره، فنعمل بتلك الأحاديث وننشرها بين الناس.

إلى غير ذلك من أسباب الوقاية كالبعد عن مواطن الشرك، وعدم الاستماع إلى شبهاته، والحرص على صحبة العلماء الراسخين والأصدقاء الصالحين، فالأمر عظيم جدًّا، والاهتمام به يجب أن يكون من أولويات كل مؤمن ومؤمنة، فالخوف من سوء الخاتمة بالتلوث بشيء من الشرك هو ما أقض مضاجع الصالحين، كما أن ختام العمر على العقيدة الصحيحة والتوحيد

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٧١٦) (ص ٢٥٠) وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ص ٢٢٦).

(٢) هذا الأثر عزاه ابن تيمية في مجموع الفتاوى لعمر بن الخطاب رضي الله عنه (٣٠١/١٠) ولم أجده مسنداً في كتب السنة.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٦٠٦) (١٩٩/٤) كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ومسلم برقم (١٨٤٧)

(١٤٧٥/٣) كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر.

هو مُنتهى الآمال، ومن خاف شيئاً هرب منه، ومن أحب شيئاً تعلق به ومات عليه، ولا مُوفق
إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

المبحث الثالث

أولوا الألباب هم أبعد الناس عن الشرك مع خوفهم من الوقوع فيه

أثنى الله تعالى في كتابه الكريم على أصحاب العقول الراجحة وسمّاهم أولوا الألباب، الذين يستعملون عقولهم فيما خلقت له من التفكير في آيات الله المقروءة في كتابه والمبتوثة في كونه، فكانوا أبعد الناس عن الشرك، وأقربهم اعتناقاً للتوحيد وصدقاً في الإيمان بالغيب.

ذكر الله تعالى في أواخر سورة آل عمران وصفاً جميلاً لأولي الألباب، وبين أن الآيات في الآفاق إنما ينتفع بها على الحقيقة أصحاب العقول الذين يذكرون الله على كل أحوالهم، ويسألون خالقهم من مصالح الدنيا والآخرة، ويتفكرون في خلقه البديع فيزدادون له ذكراً وإيماناً وتوحيداً، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ۝ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَتْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّتْ مَعَ الْأَبْرَارِ ۝ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۝﴾ [سورة آل عمران: ١٩٠-١٩٤].

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي

الْأَلْبَابِ﴾ وفي ضمن ذلك حث العباد على التفكير فيها، والتبصر بآياتها، وتدبر خلقها، وأبهم قوله: ﴿آيات﴾ إشارة لكثرتها وعمومها؛ وذلك لأن فيها من الآيات العجيبة ما يُبهر الناظرين، ويقنع المتفكرين، ويجذب أفئدة الصادقين، وينبه العقول على جميع المطالب الإلهية، فأما تفصيل ما اشتملت عليه، فلا يمكن لمخلوق حصره، أو الإحاطة ببعضه، وفي الجملة فما فيها من العظمة والسعة، وانتظام السير والحركة، يدل على عظمة خالقها، وعظمة سلطانه وشمول قدرته،

وما فيها من الإحكام والإتقان، وبديع الصنع، ولطائف الفعل، يدل على حكمة الله ووضعه الأشياء مواضعها، وسعة علمه. وما فيها من المنافع للخلق، يدل على سعة رحمة الله، وعموم فضله، وشمول بره، ووجوب شكره، وكل ذلك يدل على وجوب تعلق القلوب بخالقها ومبدعها، وبذل الجهد في مرضاته، وأن لا يُشرك به سواه، ممن لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

وخصّ الله بالآيات أولي الألباب، وهم أهل العقول؛ لأنهم هم المنتفعون بها، الناظرون إليها بعقولهم لا بأبصارهم.

ثم وصف أولي الألباب بأنهم: ﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ﴾ في جميع أحوالهم: ﴿قِيَمًا وَقُعودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ وهذا يشمل جميع أنواع الذكر بالقول والقلب، ويدخل في ذلك الصلاة قائماً، فإن لم يستطع فقاعداً، فإن لم يستطع فعلى جنب، وأنهم ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: ليستدلوا بها على المقصود منها، ودلّ هذا على أن التفكير عبادة من صفات أولياء الله العارفين، فإذا تفكروا بها، عرفوا أن الله لم يخلقها عبثاً، فيقولون: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطِلاً سُبْحَانَكَ﴾ عن كل ما لا يليق بجلالك، بل خلقتها بالحق وللحق، مشتملة على الحق، ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ بأن تعصمنا من السيئات، وتوفقنا للأعمال الصالحات، لننال بذلك النجاة من النار^(١).

ولعل الحكمة -والله أعلم- في أن أول سؤالهم لربهم أن يُنجيهم من النار، هو أنهم لما تفكروا في تلك المخلوقات العظيمة استدلوا بها على قوة خالقها وعظمته، وعلموا أنهم لا طاقة لهم بعذابه بأي حال من الأحوال فأول ما سأله النجاة من النار.

(١) انظر: تفسير السعدي (ص ١٦١).

وقد توعد الله تعالى من اعتقد عبثية الخلق بالنار، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ (سورة ص: ٢٧) فخاف أولوا الألباب وأصحاب العقول من ذلك الوعيد، فاستدلوا بعظمة المخلوق على عظمة الخالق وأن وعده حق فاعترفوا بذلك وخالفوا أولئك وسألوا خالقهم النجاة من النار، وفي سؤالهم هذا طلب ضمني بدخول الجنة.

وقال تعالى: ﴿وَالْهُكْمُ لِلَّهِ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (١٦٣) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ [سورة البقرة: ١٦٣-١٦٤].

قال الطبري إمام المفسرين رحمه الله: "فمعنى قوله: ﴿وَالْهُكْمُ لِلَّهِ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾: أي: والذي يستحق عليكم أيها الناس الطاعة له، ويستوجب منكم العبادة، معبودٌ واحدٌ وربُّ واحد، فلا تعبدوا غيره، ولا تشركوا معه سواه، فإنَّ من تُشركونه معه في عبادتكم إياه، هو خَلْقٌ من خلق إلهكم مثلكم، وإلهكم إله واحد، لا مثلٌ له ولا نظير" (١)، ثم قال رحمه الله: "ثم عرّفهم تعالى ذكره على حقيقة ما نبّههم عليه من توحيده وحُججه الواضحة القاطعة عُذرهم، فقال تعالى: أيها المشركون، إن جهلتم أو شككتم في حقيقة ما أخبرتكم من الخبر: من أنّ إلهكم إله واحد، دون ما تدعون ألوهيته من الأنداد والأوثان، فتدبروا حُججي وفكروا فيها، فإن من حُججي خَلْق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار، والفلك التي تجري في البحر بما يَنْفَعُ الناس، وما أنزلت من السماء من ماء فأحييت به الأرض بعد موتها، وما بثتُ فيها من كل دابة، والسحاب الذي سخرته بين السماء والأرض، فإن كان ما تعبدونه من الأوثان والآلهة والأنداد وسائر ما تشركون به، إذا اجتمع جميعه فتظاهر أو انفرد بعضه دون

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٦٥/٣).

بعض، لا يقدر على أن يخلق نظيرَ شيء من خَلْقِي الذي سميتُ لكم، فلا عُذر لكم في اتخاذ إله سواي، ولا إله لكم ولما تعبدون غَيْرِي، فليتدبر أولو الألباب إيجازَ الله احتجاجَه على جميع أهل الكفر به والملحدين في توحيدِه، في هذه الآية وفي التي بعدها، بأوجز كلام، وأبلغ حجة وألطف معنى^(١).

وقال تعالى في وصف أولي الألباب في موضع آخر: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [سورة الزمر: ١٨].

فهؤلاء الكرام وفقهم الله بما منحهم من العقول الزاكية لاتباع أحسن القول، ولا ريب أن أحسن قول وأعظم كلمة، خلق الله الكون وما فيه من أجل تحقيقها هي " لا إله إلا الله ". جاء في تفسير الطبري: "يقول تعالى ذكره: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾، يقول: وفقهم الله للرشاد وإصابة الصواب، لا الذين يعرضون عن سماع الحق، ويعبدون ما لا يضر، ولا ينفع، وقوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [سورة الزمر: ١٨] يعني: أولو العقول والحجا.

وذكر أن هذه الآية نزلت في رهط معروفين وحَدُوا الله، وبرئوا من عبادة كل ما دون الله قبل أن يُبعث نبي الله، فأنزل الله هذه الآية على نبيه يمدحهم، حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَالَّذِينَ أَجْتَبَاوا ظُغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۖ﴾ [سورة الزمر: ١٧-١٨] حدثني أبي أن هاتين الآيتين نزلتا في ثلاثة نفر كانوا في

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٦٧/٣).

الجاهلية يقولون: لا إله إلا الله: زيد بن عمرو^(١)، وأبي ذر الغفاري^(٢)، وسلمان الفارسي^(٣)، نزل فيهم: ﴿وَالَّذِينَ أَجْتَنَبُوا الظُّلُمَاتِ أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾ في جاهليتهم ﴿وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۖ﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أولئك الذين هداهم الله بغير كتاب ولا نبي ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْأَوَّلُونَ﴾" (٤).

وفي موضع آخر بين القرآن الكريم أنهم هم الذين يعتبرون بما قصّ الله من قصص الأنبياء والأمم السابقة، وأن العقوبة فيها لأهل التوحيد والإخلاص، وأن العذاب على من أشرك وكفر، قال سبحانه في ختام سورة يوسف: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أي: الذي يعتبر بتلك القصص وينتفع بها على الحقيقة هم أولوا الأبواب وأصحاب العقول، قال السعدي: "أي: قصص الأنبياء والرسل مع قومهم، يعتبرون بها، وأن من فعل مثل فعلهم ناله ما نالهم من كرامة أو إهانة، ويعتبرون أيضا بما لله من صفات الكمال والحكمة العظيمة، وأنه الله الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له" (٥).

(١) هو: زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزي بن رياح بن عبد الله بن قرط، والد سعيد بن زيد أحد العشرة، وابن عم عمر بن الخطاب، يجتمع هو وعمر في نفيل، وكان يتعبد في الجاهلية، ويطلب دين إبراهيم الخليل ﷺ، ويوحّد الله تعالى، وخرج من مكة إلى الشام، ثم أتى الموصل والجزيرة كلها، ثم عاد إلى الشام، وجال في بلادها جميعها؛ يسأل الأخبار والرهبان عن دين إبراهيم، ودخل حلب وعملها، وآمن بالنبي ﷺ قبل أن يبعث، ورأى النبي ﷺ قبل نبوته، انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (١٤٣/٢)، تاريخ دمشق (٤٩٣/١٩)، بغية الطلب (٢٧٤/٩).

(٢) هو: أبو ذر واسمه جندب بن جنادة بن قيس بن عمرو بن مليل بن صعيبر بن حرام بن غفار، كان من كبار الصحابة قديم الإسلام. يقال: أسلم بعد أربعة، فكان خامساً، ثم انصرف إلى بلاد قومه فأقام بها حتى قدم على النبي ﷺ المدينة، توفي بالربذة سنة ٣١ هـ أو ٣٢ هـ، وصلى عليه ابن مسعود انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٦٥٢/٤)، أسد الغابة في معرفة الصحابة (٩٩/٥)، تهذيب الأسماء واللغات (٢٢٩/٢)، الإصابة في تمييز الصحابة (١٠٥/٧).

(٣) هو: سلمان الفارسي، أبو عبد الله، يقال: إنه مولى رسول الله ﷺ، ويعرف بسلمان الخير، كان أصله من فارس من رامهرمز، من قرية يقال لها جي. ويقال: بل كان أصله من أصبهان، توفي بالمدائن في أول سنة ٣٦ هـ، انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٦٣٤/٢)، تهذيب الأسماء واللغات (٢٢٦/١).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٤٧/٢١).

(٥) انظر: تفسير السعدي (ص ٤٠٧).

ومن المواطن التي أثنى القرآن الكريم فيها على أولي الألباب، وأظهر جميل خلاصهم، وعظيم خصالهم، حين وصفهم ربهم ﷻ بالتذكر والوفاء بالعهد، ووصل ما أمر الله، وخشية ربهم، والصبر ابتغاء وجهه، وإقام الصلاة، والإنفاق في القربات، ودفع السيئة بالحسنة، ثم بين عظيم الجزاء الموعّد لهم ولمن صلح من آبائهم وذرياتهم في دار النعيم الخالد.

وبهمنا هنا من هذه الصفات، الوفاء بعهد الله تعالى، ووصل ما أمر الله به أن يوصل، ولا شك أن أعظم ذلك شهادة لا إله إلا الله والعمل بموجبها، وأيضاً الصبر ابتغاء وجه ربهم لا لأي شيء آخر، صبراً على الطاعة وعن المعصية وعلى الأقدار لا يبتغون من ذلك ولا يطلبون إلا رضا الله جل في علاه، وهذا إخلاص عظيم لمولاهم جل في علاه، قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمْ أَنَّما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ ٢٤ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ٢٥ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ٢٦ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ٢٧ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ٢٨ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ٢٩ ﴾ [سورة الرعد: ١٩-٢٤].

قال السعدي: " ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ أي: أولو العقول الرزينة، والآراء الكاملة، الذين هم لبّ العالم، وصفوة بني آدم، فإن سألت عن وصفهم، فلا تجد أحسن من وصف الله لهم بقوله: ﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ ﴾ الذي عهده إليهم والذي عاهدهم عليه من القيام بحقوقه كاملة موفرة، فالوفاء بها توفيتها حقها من التتميم لها، والنصح فيها، ومن تمام الوفاء بها أنهم لا ينقضون الميثاق أي: العهد الذي عاهدوا عليه الله، فدخل في ذلك جميع المواثيق والعهود والأيمان والنذور، التي يعقدها العباد، فلا يكون العبد من أولي الألباب الذين لهم الثواب العظيم، إلا بأدائها كاملة، وعدم نقضها وبخسها.

﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ وهذا عام في كل ما أمر الله بوصله، من الإيمان به وبرسوله، ومحبه ومحبة رسوله، والانقياد لعبادته وحده لا شريك له".

ثم قال أيضا ﷺ: "﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على المأمورات بالامتثال، وعن المنهيات بالانكفاف عنها والبعد منها، وعلى أقدار الله المؤلمة بعدم تسخطها.

ولكن بشرط أن يكون ذلك الصبر ﴿أَبْتَعَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ لا لغير ذلك من المقاصد والأغراض الفاسدة، فإن هذا هو الصبر النافع الذي يجبس به العبد نفسه، طلباً لمرضاة ربه، ورجاء للقرب منه، والحظوة بثوابه، وهو الصبر الذي من خصائص أهل الإيمان، وأما الصبر المشترك الذي غايته التجلد ومنتهاه الفخر، فهذا يصدر من البر والفاجر، والمؤمن والكافر، فليس هو الممدوح على الحقيقة، فحقيق بمن نصح نفسه وكان لها عنده قيمة، أن يُجاهدها، لعلها تأخذ من أوصاف أولي الألباب بنصيب، لعلها تحظى بهذه الدار، التي هي مُنية النفوس، وسرور الأرواح الجامعة لجميع اللذات والأفراح، فلمثلها فليعمل العاملون، وفيها فليتنافس المتنافسون" (١).

وفي الآية دلالة واضحة على أن أولي الألباب هم الذين يتذكرون بل ويتيقنون أن ربنا إله واحد لا شريك له، فهم المنتفعون بآيات الله المقروءة والمبثوثة، وأيضاً فيها دلالة على أن الوظيفة الحقيقية للعقل الراجح دلالة صاحبه على وحدانية الله ﷻ، وأن من آتاه الله عقلاً فأقبل على الدنيا فقط ولم يتفكر في إلهه ومعاده، من فعل ذلك لم يستعمل هذه النعمة فيما خُلقت له، حتى وإن اخترع المخترعات واكتشف المبتكرات، فهو أراد الدنيا فإن شاء ربنا أعطاه منها وإن لم يشأ لم ينل شيئاً في الدارين، قال ربنا ﷻ: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ [سورة الإسراء: ١٨].

(١) انظر: تفسير السعدي (ص ٤١٦) بتصرف يسير.

وينطبق على من هذه حاله قول ربنا ﷻ: ﴿يَعْمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾ [سورة الروم: ٧].

أما من أوهم نفسه وغيره زوراً وبهتاناً أن العقل دلّ على الإلحاد وعلى إنكار وجود الخالق ﷻ، فالأدلة هنا تدحض افتراءه، بل والقرآن الكريم كله ينسف مزاعمه، بل وعقلاء البشرية وعباقرهم الذين دخلوا في الإسلام واعتنقوه يردّون على هذا وأمثاله، ويكفي والله هذا الدليل النقلي والعقلي للرد عليه، قال ربنا ﷻ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [سورة الطور: ٣٥-٣٦].

وقد سمع هذا الآيات جبير بن مطعم^(١) قبل إسلامه فقال: ((كاد قلبي أن يطير))^(٢) وأرضاه.

وقال الله ﷻ: ﴿هَذَا بَلَغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَحِدٌ وَلِيَذْكُرُوا أُولَئِكَ﴾ [سورة إبراهيم: ٥٢].

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: هذا القرآن بلاغ للناس، أبلغ الله به إليهم في الحجة عليهم، وأعذر إليهم بما أنزل فيه من مواعظه وعبره ﴿وَلِيُنذَرُوا بِهِ﴾ يقول: ولينذروا عقاب الله، ويحذروا به نعماته، ﴿وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَحِدٌ﴾ يقول: وليعلموا بما احتجّ به عليهم من الحجج فيه أنما هو إله واحد، لا آلهة شتى، كما يقول المشركون بالله، وأن لا إله إلا هو الذي له ما في السماوات وما في الأرض، الذي سخر لهم الشمس والقمر والليل والنهار، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لهم، وسخر لهم الفلك لتجري في البحر بأمره،

(١) هو: جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي القرشي النوفلي، يكنى أبا محمد، وقيل أبا عدي، أسلم جبير بن مطعم يوم الفتح، وقيل: عام خيبر، وكان إذ أتى النبي ﷺ في فداء أسارى بدر كافراً، ومات جبير بن مطعم بالمدينة سنة ٥٧هـ، وقيل: سنة ٥٩هـ في خلافة معاوية انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢٣٢/١)، الكمال في أسماء الرجال (٢٠٨/١)، أسد الغابة (٥١٥/١).

(٢) (أخرجه البخاري برقم (٤٨٥٤) (١٤٠/٦) كتاب تفسير القرآن، سورة والطور.

وسخر لهم الأنهار، ﴿وَلْيَذَكَّرْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ يقول: وليتذكر فيتعظ بما احتج الله به من حججه التي في هذا القرآن؛ أهل الحجى والعقول، فينزعجوا عن أن يجعلوا معه إلهاً غيره، أو يُشركوا في عبادته شيئاً سواه، فإنهم أهل الاعتبار والادّكار دون الذين لا عقول لهم ولا أفهام، فإنهم كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً^(١).

وقال الشنقيطي في الأضواء: "بيّن في هذه الآية الكريمة أن من حَكَمَ إنزال القرآن العظيم العلم بأنه تعالى إله واحد، وأن من حَكَمَهُ أن يتعظ أصحاب العقول، وبيّن هذا في مواضع أخر فذكر الحكمة الأولى في أول سورة هود في قوله: ﴿كِتَبٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ وَتُرْفُصَلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ [سورة هود: ١].

وذكر الحكمة الثانية في قوله: ﴿كِتَبٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [سورة ص: ٢٩].^(٢)

(١) انظر: تفسير الطبري (٥٧/١٧) بتصرف يسير.

(٢) انظر: أضواء البيان للشنقيطي (٢٥٠/٢).

المبحث الرابع

الحكم على المشركين بالخلود في نار جهنم

الأدلة على خلود المشركين في النار كثيرة في القرآن الكريم، وأن من أشرك بالله ومات على الشرك لا يُغفر له يوم القيامة، ومصيره الخلود في نار جهنم والعياذ بالله.

ويكفي هذا الوعيد في تنفير أصحاب العقول الراجحة من مستنقعات الشرك الآسن، والمسابقة إلى التجارة الراجحة في بستان التوحيد الآمن، قال الله تعالى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَنْتُمْ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة الأنعام: ٨٠-٨٢].

فالشرك ظلم كما بين نبينا ﷺ لأصحابه ﷺ حين سأله، فأرشدهم إلى قول ربنا ﷻ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة لقمان: ١٣] والظلم وضع الشيء في غير موضعه، وأعظم الظلم على الإطلاق أن يُعبد من دون الله تعالى من لا يخلق ولا يرزق ولا يطعم، بل هو ضعيف فقير، يموت وينام، لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، ولا غنى له طرفة عين عن رحمة وفضل خالقه ومولاه، فكيف يُساوى من هذه حاله بالسميع البصير، الخالق الرازق القدير، الحي الذي لا يموت، والقيوم الذي لا ينام، من له الأسماء الحسنى والصفات العلى، الغني من كل وجه، الذي له الكمال والجلال والجمال كله، وجميع من سواه مربوب مقهور تحت حكم ربه ومولاه ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [سورة الأنعام: ١٨].

فسبحان ربنا وتعالى عما يشركون وعمّا يصفون.

ومن الآيات الكثيرة التي تحدثت عن خلود المشركين في النار قوله تعالى:
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [سورة البقرة: ٣٩].

أوضحت الآية مصير الكافرين المكذبين بآيات الله تعالى، الذين جحدوا وحدانيته، وأشركوا في ألوهيته، فأولئك مصيرهم الخلود في العذاب الأبدي، والجحيم السرمدي.
قال شيخ المفسرين الطبري: "يعني: والذين جحدوا آياتي وكذبوا رسلي، وآيات الله: حُجَّجَه وأدلتُّه على وحدانيته وربوبيته، وما جاءت به الرُّسُل من الأعلام والشواهد على ذلك، وعلى صدقها فيما أنبأت عن ربِّها، وقد بيَّنا أن معنى الكفر، التغطية على الشيء "أولئك أصحاب النار" يعني: أهلها الذين هم أهلها دون غيرهم، المخلدون فيها أبداً إلى غير أمدٍ ولا نهاية"^(١).

وقال الشيخ ابن عثيمين^(٢) رَحِمَهُ اللهُ: "فقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: كفروا بالله، فاستكبروا عن طاعته، ولم ينقادوا لها؛ ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: بالآيات الشرعية؛ وإن انضاف إلى ذلك الآيات الكونية زاد الأمر شدة؛ لكن المهم الآيات الشرعية؛ لأن من المكذبين الكافرين من آمنوا بالآيات الكونية دون الشرعية؛ فمثلاً كفار قريش مؤمنون بالآيات الكونية مُقِرِّون بأن الله خالق السموات والأرض، وأنه المحيي وأنه المميت، وأنه المدبر لجميع الأمور؛ لكنهم كافرون بالآيات الشرعية.

(١) انظر: تفسير الطبري (٥٥٢/١).

(٢) هو: محمد بن صالح العثيمين، ولد سنة ١٣٤٧هـ بعنيزة، وتلمذ على الشيخ السعدي، له من المؤلفات: الشرح الممتع على زاد المستقنع، والقواعد المثلى في صفات الله تعالى، وفتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، وأصول في التفسير، وغيرها، توفي سنة ١٤٢١هـ، انظر: ترجمة الشيخ في موقعه الرسمي في الشبكة العنكبوتية.

قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ﴾ أي: المذكورون؛ وأشار إليهم بإشارة البعيد لاختطاط رتبهم لا ترفيعاً لهم، وتعلية لهم؛ ﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾ أي: الملازمون لها؛ والمصاحب لا بد أن يلازم من صاحبه؛ ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أي: ماكنون؛ والمراد بذلك المكث الدائم الأبدي^(١).

ومن الآيات أيضاً التي بينت خلود من كفر وأشرك في النار، قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿٦٥﴾ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٦﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٦٤-٦٥].

واللعن الطرد من رحمة الله تعالى، ويكفيهم عذاباً ذلك الطرد والإبعاد، فكيف إذا أضيف إليه الخلود في نار جهنم والعياذ بالله.

جاء في فتح القدير: "أي: طردهم، وأبعدهم من رحمته وأعد لهم في الآخرة مع ذلك اللعن منه لهم في الدنيا سعيراً، أي: نارا شديدة التسعير، خالدين فيها أبداً بلا انقطاع لا يجدون ولياً يوالِيهم ويحفظهم من عذابها ولا نصيراً ينصرهم ويخلصهم منها"^(٢).

وقال ابن كثير: "قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ﴾ أي: أبعدهم عن رحمته ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ أي: في الدار الآخرة، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ أي: ماكنين مستمرين، فلا خروج لهم منها ولا زوال لهم عنها"^(٣).

ومن الآيات أيضاً ونختم بها المبحث، وإلا فالآيات الدالة على ذلك كثيرة في كتاب الله تعالى، قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [سورة البينة: ٦].

(١) انظر: تفسير الفاتحة والبقرة؛ (١/١٤١) للشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١ هـ)، الناشر: دار

ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ .

(٢) انظر: فتح القدير للشوكاني (٤/٣٥١).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٦/٤٨٣).

لنتأمل كيف وصفهم القرآن الكريم بأنهم شر البرية على الإطلاق، وفي ذلك -والله أعلم- عذاب معنوي يُضاف إلى العذاب الحسي بالخلود في نار جهنم، وكل ذلك تحذير وتنفير من ذلك الذنب العظيم الذي لا يُغفر لمن مات عليه بلا توبة ولا أوبة.

جاء عند الطبري في تفسير الآية قوله: "إن الذين كفروا بالله ورسوله محمد ﷺ، فجحدوا نبوتَهُ، من اليهود والنصارى والمشركين جميعهم ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: ماكثين لا بثين فيها أبداً لا يخرجون منها، ولا يموتون فيها ﴿أُولَئِكَ هُمُ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ يقول جل ثناؤه: هؤلاء الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين، هم شر من برأه الله وخلقهُ" (١).

وجاء في تفسير ابن كثير قوله: "يُخبر تعالى عن مآل الفُجَّار من كفره أهل الكتاب والمشركين، المخالفين لكتب الله المنزلة وأنبياء الله المرسله، أنهم يوم القيامة في نار جهنم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي مآكثين فيها لا يُحوَّلون عنها ولا يزُولون، ﴿أُولَئِكَ هُمُ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ أي شرُّ الخَلِيقَةِ الَّتِي بَرَأَهَا اللَّهُ وَذَرَأَهَا" (٢).

(١) انظر: تفسير الطبري (٥٤٢/٢٤).

(٢) انظر: مختصر تفسير ابن كثير للصابوني (٦٦٤/٢).

المبحث الخامس

الحكم بعدم فلاح من أشرك بالله تعالى

بين القرآن الكريم في أوضح عبارة وأجمل إشارة وفي مواضع كثيرة أن من أشرك بالله تعالى ومات على إشراكه ولم يتب؛ فإنه لا يفلح، وكيف يفلح وقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار، وما للظالمين من أنصار، قال تعالى: ﴿الْأَلْبَابُ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنْ الَّذِينَ يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [سورة يونس: ٦٦-٧٠].

"ففي هذه الآيات نزه ﷻ نفسه عما نسب إليه المشركون من اتخاذ الولد؛ لأنه هو الغني عن خلقه جميعاً ولا حاجة به للولد؛ لأن الولد إنما يطلبه من كان ضعيفاً ليكون عوناً له في حياته، وذكرًا له بعد وفاته، والله تعالى غني عن ذلك فلا حاجة به لمعين يعينه على تدبيره، والله تعالى حي لا يموت فليس به حاجة لخلف بعده، وعليه فمن نسب لله تعالى الولد فهو كاذب مفترٍ عليه، ليس عنده حجة على ذلك " (١)، ثم حكم في آخر الآية أن من أشرك وافترى على الله كذباً لا يفلح.

(١) انظر: عقيدة التوحيد في القرآن الكريم؛ لمحمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي (ص ٢٧٨-٢٧٩)، الناشر: مكتبة دار الزمان، الطبعة: الأولى ١٤٠٥ هـ-١٩٨٥ م.

قال الشيخ عمر الأشقر^(١): "أخبرنا ربنا - ﷺ - أَنَّ الكفرة المشركين زعموا كاذبين أَنَّ الله تعالى اتخذ ولداً، فاليهود قالوا: عزيزُ ابن الله، والنصارى قالوا: المسيح ابن الله، وعرب الجاهلية قالوا: الملائكة بنات الله، وقد نَزَّهَ ربُّ العزة نفسه عن الولد بقوله: ﴿سُبْحَانَهُ﴾ وقوله تعالى: ﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾ أي: هو الغنيُّ عن الولد ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: له كلُّ ما في السموات والأرض، فكل من فيهما مملوكٌ خاضعٌ له، يسبِّح له ويدعوه وحده، فأنتي يكون له ولدٌ سبحانه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا﴾ أي: هل عندكم من دليلٍ وحجَّةٍ وبرهانٍ يدلُّ على أَنَّ عَزِيزَ، أو عيسى، أو الملائكة أولاد الله تعالى، إذا فدعواكم دعوى باطلة، لا تقوم على دليل ولا حجَّة ولا برهانٍ، ولذلك فإنَّ قولكم قولٌ قائمٌ على الجهل ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وهؤلاء الجهلة الضالُّون الذين يفترون على الله الكذب بنسبتهم الولد إلى الله تعالى لا يفلحون ولا يفوزون ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [يونس: ٦٩]. وقد أعلمنا ربنا - ﷺ - أَنَّهُ سَيَمْتَعُ هؤلاء الذين افتروا عليه الكذب متاعاً قليلاً في هذه الحياة، ثم يقبض أرواحهم ويصيرون إليه، ثم يُذيقهم العذاب الشديد بسبب كفرهم وضلالهم ﴿مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [سورة يونس: ٧٠] (٢).

(١) هو: عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر، ولد سنة ١٩٤٠م بفلسطين، وتلمذ على الشيخ محمد الأشقر وهو أخوه الأكبر، ومحمد ناصر الألباني، وغيرهما، له من المؤلفات: مقاصد المكلفين، أسماء الله وصفاته في ضوء اعتقاد أهل السنة، القياس بن مؤيديه ومعارضيه، توفي سنة ١٤٣٣هـ، انظر: ترجمته في موقع المكتبة الشاملة.

(٢) انظر: كتاب الله يحدث عباده عن نفسه؛ لعمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر (ص ١٥٨).

ويكفي في بشاعة الشرك أن ما في الكون من السماوات والجبال والأرض تتأثر به وبشناعته، قال الله تعالى في الآيات العظيمة في سورة مريم: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۚ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۝٨٩ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۝٩١ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِيَ الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۝٩٣ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٤ وَكُلُّهُمْ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ۝٩٥﴾ [سورة مريم: ٨٨-٩٥].

الفصل الثاني: الوقاية من الوقوع في الشرك، والاعتبار بمآلات المشركين في

القرآن الكريم، وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: خضوع الكون كله لله ﷻ.

المبحث الثاني: الأدلة الشرعية في القرآن الكريم على التوحيد وبطلان الشرك.

المبحث الثالث: الأدلة العقلية في القرآن الكريم على التوحيد وبطلان الشرك.

المبحث الرابع: أثر تحقيق التوحيد في النجاة من الشدائد في الدنيا والآخرة.

المبحث الخامس: اقتحام المخلوقين إلى الله تعالى، وغناه عنهم من كل وجه.

المبحث السادس: براءة من عبّد من دون الله يوم القيامة ممن أشرك به.

المبحث الأول

خضوع الكون كله لله ﷻ

الكون بكل ما فيه خاضع لله ﷻ، يدبره ويسخره بلطفه ورحمته، وقدرته وحكمته، وهو الغفور الرحيم، العزيز الحكيم، ما من شيء إلا ويسجد لوجهه ويسبح بحمده، قال ربنا ﷻ في كتابه: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَآتَبَعُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ ﴿٤٢﴾ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿٤٤﴾ [سورة الإسراء: ٤٢-٤٤].

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ، قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين جعلوا مع الله إلهًا آخر: لو كان الأمر كما تقولون: من أن معه آلهة وليس ذلك كما تقولون، إذن لا بتغت تلك الآلهة القربة من الله ذي العرش العظيم، والتمست الزلفى إليه، والمرتبة منه، روى الطبري إمام المفسرين عن قتادة، قوله: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَآتَبَعُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ يقول: لو كان معه آلهة إذن لعرفوا فضله ومرتبته ومنزلته عليهم، فابتغوا ما يقربهم إليه ^(١).

ثم نزه الله تعالى ذاته العلية ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾، ثم بين خضوع وتسبيح الكائنات كلها له، خضوعاً بين يديه، وذلاً وافتقاراً إليه ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾، فلا يخرج شيء عن حكمه، ولا حي عن أمره، ولا ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين.

وفي سورة الأنعام تنتظم الآيات الباهرات لتوضيح تلك الحقيقة التي لا ينكرها إلا مكابر، ظلم نفسه فاجترأ على الكفر وعصى الأوامر، فالكون كله خاضع لله، لا يخرج شيء عن

(١) انظر: تفسير الطبري (٦٠٣/١٤-٦٠٤).

علمه ومشيتته، وتدبيره وحكمته: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْجًا مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنْ النَّخْلِ مِنَ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِبَتِ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَلِكَ نَضْرِبُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [سورة الأنعام: ٩٥-١٠٧].

﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: خالقهما ومبدعهما، في غاية ما يكون من الحسن والخلق

البديع، والنظام العجيب المحكم" (١).

" ووصف الله تعالى ببديع السماوات والأرض مراد به أنه بديع ما في السماوات والأرض من المخلوقات، وفي هذا الوصف استدلال على نفي بنوة من جعلوا لله تعالى ابناً، لأنه تعالى لما كان خالق السماوات والأرض وما فيهما، فلا شيء من تلك الموجودات أهل لأن يكون

(١) انظر: تفسير السعدي (ص ٩٤٨).

ولدا له، بل جميع ما بينهما عبيد لله تعالى كما تقدم في قوله: ﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونٌ﴾ [سورة البقرة: ١١٦] ولهذا رتب نفي الولد على كونه بديع السموات والأرض في الآية بقوله: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ فَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

ثم تأتي الآية العظيمة في سورة الزمر والتي تخضع لها الرقاب، آية تنزل القلوب، وتملأ الأفئدة تعظيماً لعلام الغيوب ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة الزمر: ٦٧].
قال ابن كثير: "يقول تعالى: وما قدر المشركون الله حق قدره، حين عبدوا معه غيره، وهو العظيم الذي لا أعظم منه، القادر على كل شيء، المالك لكل شيء، وكل شيء تحت قهره وقدرته".^(١)

وأخبر ابن عمر رضي الله عنهما: "أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة الزمر: ٦٧] فقال رسول الله ﷺ بيده هكذا، وبسطها وجعل باطنها إلى السماء: «يُجَدُّ الرب نفسه: أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا العزيز، أنا الكريم" فرجف به المنبر حتى قلنا: ليخرب به»^(٢).

فمن كانت هذه عظمتها، وهذا خضوع الكون بين يديه، كيف يُشرك معه من لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً.

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١١٣/٧).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى برقم (٧٦٤٨) (١٣٩/٧)، والإمام أحمد في المسند برقم (٥٤١٤) (٣٠٤/٩)، وابن أبي عاصم في السنة برقم (٥٤٦) (٢٤٠/١)، والبخاري في المسند برقم (٥٣٩٨) (٢٦/١٢)، وهو صحيح على شرط مسلم انظر: السلسلة الصحيحة للألباني (٥٩٧/٧).

قال السعدي رحمه الله: "لقد تضاءلت لعظمته المخلوقات العظيمة، وصغرت لدى كبريائه السماوات السبع ومن فيهن، والأرضون السبع ومن فيهن ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾، وافترق إليه العالم العلوي والسفلي فقرا ذاتياً لا ينفك عن أحد منهم في وقت من الأوقات.

هذا الفقر بجميع وجوهه فقر من جهة الخلق والرزق والتدبير، وفقر من جهة الاضطرار إلى أن يكون معبودهم ومحبوبهم الذي إليه يتقربون، وإليه في كل حال يفرعون، ولهذا قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنََّّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [سورة الإسراء: ٤٤].

من حيوان ناطق وغير ناطق ومن أشجار ونبات وجامد وحي وميت ﴿إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ بلسان الحال ولسان المقال ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ أي: تسبيح باقي المخلوقات التي على غير لغتكم، بل يحيط بها علام الغيوب.

﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ حيث لم يعاجل بالعقوبة من قال فيه قولاً تكاد السماوات والأرض تنفطر منه وتخر له الجبال، ولكنه أمهلهم وأنعم عليهم، وعافاهم ورزقهم، ودعاهم إلى بابه ليتوبوا من هذا الذنب العظيم، ليعطيهم الثواب الجزيل، ويغفر لهم ذنبهم، فلولا حلمه ومغفرته لسقطت السماوات على الأرض، ولما ترك على ظهرها من دابة ^(١).

ونختم المبحث بهذه الآيات العظيمة؛ مع العلم أن القرآن الكريم مليء بالآيات الدالة على خضوع الكون كله لله تعالى وفيما ذكر هنا الغنية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، قال سبحانه: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مِمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٥٩] آمَنَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۚ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ [٦٠] آمَنَ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا

(١) انظر: تفسير السعدي (ص ٤٥٨).

وَجَعَلَ خِلَافَهَا أَنْهَرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بِلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٧﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ أَمَّنْ يَنْدُوَا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٩﴾ [سورة النمل: ٥٩-٦٤].

وفي الآيات أيضاً ما تشهد به الكائنات بلسان الحال على خضوعها لله، وعلى وحدانيته جل في علاه، السموات والأرض، المطر، والحدائق، الأشجار، والأنهار، الرياح، والنجوم، والسحاب، الإنسان، والحيوان، والطير، السموات السبع وساكنيها، والأرضين والبحار وما عليها وفيها، كل ذلك مُسَخَّرٌ خاضعٌ لله تعالى، يسجد لوجهه ويسبح بحمده، ويشهد أن: لا إله إلا الله، إلا من استكبر من بني آدم، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالْشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ ﴿٦٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٦٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٧٠﴾ [سورة النحل: ٤٨-٥٠]، وقال جل في علاه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٧٨﴾﴾ [سورة الحج: ١٨].

قال الشيخ عبد الرزاق عفيفي في آيات سورة النمل: "فأنكر - سبحانه - أن يكون معه من خَلْقٍ، ودَبَّرٍ، أو صرَّفٍ، وقَدَّرٍ، أو يُجِيبُ المضْطَرَّ إذا دعاه، ويكشف السُّوءَ، أو يولي، أو يعزل، وينصر، ويخذل، أو يُنْقِذَ من الحيرة، ويهدي من الضلالة، أو يبدئ ويعيد، ويسيطر الرزق لمن يشاء وَيَقْدِرُ، إلى غير ذلك مما استأثر الله به.

وهذا مما استقرّ في فطرتهم، ونطقت به ألسنتهم، وبه قامت الحجة عليهم فيما دعتهم إليه الرسل من توحيد العبادة.

ومن سلك طريق القرآن في الاستدلال، واهتدى بهدي الأنبياء في الحجاج اطمأنت نفسه، وقوي يقينه، وخصم مناظره (أي انتصر عليه) فإن في ذلك الحجة، والبرهان من جهتين: الأولى: أنه خبر المعصوم.

والثانية: أنه موجب الفطرة، ومقتضى العقل الصحيح^(١).

وقال سبحانه في آية عظيمة في سورة يونس: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصَوِّرُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [يونس: ٣١-٣٣]

"أي: ﴿قُلْ﴾ هؤلاء الذين أشركوا بالله، ما لم ينزل به سلطاناً - محتجاً عليهم بما أقروا به من توحيد الربوبية، على ما أنكروه من توحيد الألوهية- ﴿مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ بإنزال الأرزاق من السماء، وإخراج أنواعها من الأرض، وتيسير أسبابها فيها؟

﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ﴾ أي: من هو الذي خلقهما وهو مالكما؟ وخصهما بالذكر من باب التنبيه على المفضل بالفاضل، ولكمال شرفهما ونفعهما.

﴿وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ كإخراج أنواع الأشجار والنبات من الحبوب والنوى، وإخراج المؤمن من الكافر، والطائر من البيضة، ونحو ذلك، ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ عكس هذه المذكورات، ﴿وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ في العالم العلوي والسفلي، وهذا شامل لجميع أنواع

(١) انظر: مذكرة التوحيد؛ (ص ٤١-٤٢) لعبد الرزاق عفيفي (المتوفى: ١٤١٥ هـ)، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.

التدابير الإلهية، فإنك إذا سألتهم عن ذلك ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ لأنهم يعترفون بجميع ذلك، وأن الله لا شريك له في شيء من المذكورات.

﴿فَقُلْ﴾ لهم إلزاماً بالحجة ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ اللَّهَ﴾ فتخلصون له العبادة وحده لا شريك له، وتخلصون ما تعبدون من دونه من الأنداد والأوثان.

﴿فَذَلِكُمْ﴾ الذي وصف نفسه بما وصفها به ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ أي: المألوه المعبود الحمود، المربي جميع الخلق بالنعمة وهو: ﴿الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾.

فإنه تعالى المنفرد بالخلق والتدبير لجميع الأشياء، الذي ما بالعباد من نعمة إلا منه، ولا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يدفع السيئات إلا هو، ذو الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العظيمة والجلال والإكرام.

﴿فَإِنِّي تُصَرِّفُونَ﴾ عن عبادة من هذا وصفه، إلى عبادة الذي ليس له من وجوده إلا العدم، ولا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا.

فليس له من الملك مثقال ذرة، ولا شركة له بوجه من الوجوه، ولا يشفع عند الله إلا بإذنه، فتباً لمن أشرك به، وويحاً لمن كفر به، لقد عدموا عقولهم، بعد أن عدموا أديانهم، بل فقدوا دنياهم وأخراهم.

ولهذا قال تعالى عنهم: ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بعد ما أراهم الله من الآيات البينات والبراهين النيرات، ما فيه عبرة لأولي الألباب، وموعظة للمتقين وهدى للعالمين "(١).

فالحمد لله الذي خضع له الكون وما فيه، الذي وفق أولي الألباب للتفكر في الكائنات ليستدلوا بها عليه، فيزدادون له توحيداً، وتعظيماً، وخضوعاً، وحباً وقرباً.

تأمل سطور الكائنات فإنها من الملك الأعلى إليك رسائل

(١) انظر: تفسير السعدي (ص ٣٦٣).

وقد كان فيها لو تأملت خطّها ألا كل شيء ما خلا الله باطل^(١)

(١) البيتان لركن الدين ابن القويح المالكي في ترجمته من أعيان العصر (١٦٣/٥)، والدرر الكامنة (١٨٣/٤).

المبحث الثاني

الأدلة الشرعية في القرآن الكريم على التوحيد وبطلان الشرك

لقد نزل القرآن الكريم على قلب نبينا صلى الله عليه سلم لبيان هذه الحقيقة العظمى، التي ما خلق الكون وما فيه إلا لأجل تحقيقها والتحذير من مخالفتها، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات: ٥٦].

أي: ليعبدوا الله وحده لا شريك له، ولو تدبرنا القرآن الكريم، لوجدنا أنه لا تكاد تخلو سورة من الإشارة إلى التوحيد، والتحذير من الشرك.

ولئن كان الله تعالى في القرآن الكريم قد أمر صفوة خلقه وهم أنبياءه — عليهم الصلاة والسلام — بالتوحيد وحذرهم من الشرك، فكيف بمن دونه، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٥]. وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة الزمر: ٦٥].

والآيات في هذا الصدد كثيرة في القرآن الكريم، سأنتقي منها ما يكفي بإذن الله لدلالة أولى الأبواب على توحيد الله العزيز الوهاب، والله تعالى هو الموفق، عليه أتوكل وبه أستعين. من الآيات قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [سورة الزمر: ٣-٤].

في الآيات دلالة على الإخلاص العظيم لله تعالى، وعلى غناه عن خلقه أجمعين، وافتقارهم إليه في كل وقت وحين، وأن من أشرك به فقد افترى إثماً عظيماً، وفيها بيان وحدانيته تعالى وقهره لجميع خلقه.

قال السعدي رحمه الله: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ هذا تقرير للأمر بالإخلاص، وبيان أنه تعالى كما أنه له الكمال كله، وله التفضل على عباده من جميع الوجوه، فكذلك له الدين الخالص الصافي من جميع الشوائب، فهو الدين الذي ارتضاه لنفسه، وارتضاه لصفوة خلقه وأمرهم به، لأنه متضمن للتأله لله في حبه وخوفه ورجائه، وللإنابة إليه في عبوديته، والإنابة إليه في تحصيل مطالب عباده.

وذلك الذي يصلح القلوب ويزيكها ويطهرها، دون الشرك به في شيء من العبادة، فإن الله بريء منه، وليس لله فيه شيء، فهو أغنى الشركاء عن الشرك، وهو مفسد للقلوب والأرواح وللدنيا والآخرة، مُشَقِّقٌ للنفوس غاية الشقاء، فلذلك لما أمر بالتوحيد والإخلاص، نهي عن الشرك به، وأخبر بدم من أشرك به فقال: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ أي: يتولونهم بعبادتهم ودعائهم، [معتدلين] عن أنفسهم وقائلين: ﴿مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ أي: لترفع حوائجنا لله، وتشفع لنا عنده، وإلا فنحن نعلم أنها لا تخلق، ولا ترزق، ولا تملك من الأمر شيئاً، أي: فهؤلاء، قد تركوا ما أمر الله به من الإخلاص، وتجروا على أعظم المحرمات، وهو الشرك، وقاسوا الذي ليس كمثله شيء، الملك العظيم بالملوك، وزعموا بعقولهم الفاسدة ورأيهم السقيم، أن الملوك كما أنه لا يُوصل إليهم إلا بوجهاء، وشفعاء، ووزراء يرفعون إليهم حوائج رعاياهم، ويستعطفونهم عليهم، ويمهدون لهم الأمر في ذلك، أن الله تعالى كذلك. وهذا القياس من أفسد الأقيسة، وهو يتضمن التسوية بين الخالق والمخلوق، مع ثبوت الفرق العظيم، عقلاً ونقلاً وفطرة، فإن الملوك، إنما احتاجوا للوساطة بينهم وبين رعاياهم؛ لأنهم لا يعلمون أحوالهم. فيحتاج من يعلمهم بأحوالهم، وربما لا يكون في قلوبهم رحمة لصاحب الحاجة، فيحتاج من يعطفهم عليه، ويسترحمه لهم.

وأما الرب تعالى، فهو الذي أحاط علمه بظواهر الأمور وبواطنها، الذي لا يحتاج من يخبره بأحوال رعيته وعباده، وهو تعالى أرحم الراحمين، وأجود الأجودين، لا يحتاج إلى أحد من خلقه

يجعله راحماً لعباده، بل هو أرحم بهم من أنفسهم ووالديهم، وهو الذي يحثهم ويدعوهم إلى الأسباب التي ينالون بها رحمته، وهو يريد من مصالحهم ما لا يريدونه لأنفسهم، وهو الغني، الذي له الغنى التام المطلق، الذي لو اجتمع الخلق من أولهم وآخرهم في صعيد واحد فسألوه، فأعطى كلا منهم ما سأل وتمنى، لم ينقصوا من غناه شيئاً، ولم ينقصوا مما عنده، إلا كما ينقص البحر إذا غمس فيه المخيط.

وجميع الشفعاء يخافونه، فلا يشفع منهم أحد إلا بإذنه، وله الشفاعة كلها. فبهذه الفروق يُعلم جهل المشركين به، وسفههم العظيم، وشدة جراتهم عليه، ويُعلم أيضاً الحكمة في كون الشرك لا يغفره الله تعالى؛ لأنه يتضمن القدح في الله تعالى، ولهذا قال حاكماً بين الفريقين، المخلصين والمشركون، وفي ضمنه التهديد للمشركون: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ وقد علم أن حكمه أن المؤمنين المخلصين في جنات النعيم، ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة، ومأواه النار" (١).

وأنكر القرآن الكريم على المشركين غلوهم وإشراكهم، وحذرهم من مغبة قولهم، قال الله تعالى في سورة النساء: ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابُ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ أَنْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧٣﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٥﴾﴾ [سورة النساء: ١٧١-١٧٣].

(١) انظر: تفسير السعدي (ص ٧١٧).

فنهى الله تعالى عن الغلو ومجاوزة الحد فيما شرعه من حقوق أنبيائه وأوليائه؛ قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ ، وقال تعالى في موضع آخر: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [سورة المائدة: ٧٧]، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ فإنما أنا عبد؛ فقولوا: عبد الله ورسوله»^(١)، وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٣﴾ [سورة نوح: ٢٣-٢٤]، قال: «...أسماء رجال صالحين من قوم نوح»^(٢)، لما هلكوا زين لهم الشيطان نصب تماثيل وصور لأولئك الصالحين لتذكرهم، ثم أغوى من بعدهم بعبادتهم وأوقعهم في الشرك. قال ابن القيم^(٣): "قال غير واحد من السلف: عكفوا على قبورهم، وصوّروا تماثيلهم، فلمّا طال عليهم الأمد عُبدت"^(٤).

وقال ابن كثير: "نهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير في النصارى، فإنهم تجاوزوا حد التصديق بعيسى، حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله يعبدونه كما يعبدونه، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه، ممن زعم أنه على دينه، فادعوا فيهم العصمة واتبعوه في كل ما قالوه، سواء كان حقاً أو باطلاً،

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤٤٥) (١٦٧/٤) كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب مريم إذا انتبذت من أهلها﴾.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٩٢٠) (١٦٠/٦)، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق﴾.

(٣) هو: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الدمشقي ابن القيم الجوزية، ولد سنة ٦٩١هـ، ونشأ بدمشق، وتلمذ على شيخ الإسلام ابن تيمية وتأثر به، وله من المؤلفات: إعلام الموقعين عن رب العالمين، وزاد المعاد في هدي خير العباد، والطرق الحكيمة في السياسة الشرعية، وبدائع الفوائد، وغيرها، توفي سنة ٧٥١هـ، انظر: الوافي بالوفيات (١٩٥/٢)، سلم الوصول إلى طبقات الفحول (٦١/٣)، الأعلام (٥٦/٦).

(٤) انظر: إغاثة اللهفان في مصاديق الشيطان (٣٣٢/١)، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

أو ضاللاً أو رشاداً، أو صحيحاً أو كذباً؛ ولهذا قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة التوبة: ٣١] ^(١).

وقوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ أي: لا تفتروا عليه وتجعلوا له صاحبة وولدا - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وتنزه وتقدس وتوحد في سؤدده وكبريائه وعظمته - فلا إله إلا هو، ولا رب سواه؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُلْقِيَتْهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ أي: إنما هو عبد من عباد الله وخلق من خلقه، قال له: كن فكان، ورسول من رسله، وكلمته ألقاها إلى مريم، أي: خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل، عليه السلام إلى مريم، فنفخ فيها من روحه بإذن ربه ﷻ، فكان عيسى بإذن الله ﷻ، وصارت تلك النفخة التي نفخها في جيب درعها، ونزلت حتى ولجت فرجها بمنزلة لقاح الأب الأم والجميع مخلوق لله ﷻ؛ ولهذا قيل لعيسى: إنه كلمة الله وروح منه؛ لأنه لم يكن له أب تولد منه، وإنما هو ناشئ عن الكلمة التي قال له بها: كن فكان. والروح التي أرسل بها جبريل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [المائدة: ٧٥]. وقال تعالى: ﴿إِن مِّثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة آل عمران: ٥٩] وقال تعالى: ﴿وَأَلْقَى أَحَصَنَتَ فَرْجِهَا فَنفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [سورة الأنبياء: ٩١] وقال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحَصَنَتَ فَرْجَهَا فَنفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ فِيهَا مِنَ الْقَلَمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [سورة التحريم: ١٢] وقال تعالى إخباراً عن المسيح: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة الزخرف: ٥٩] ^(٢).

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/٥٩٠).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٢/٤٧٧-٤٧٨).

وفي سورة مريم بين القرآن الكريم القول الفصل في قصة خلق عيسى عليه السلام في أدلة ظاهرة وحجة واضحة دامغة، ثم قال سبحانه: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ٣٥ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ٣٦ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ٣٧﴾ [سورة مريم: ٣٤-٣٦].

وفي الآيات دعوة إلى توحيد الله تعالى وتنزيهه عن الشرك وعن مالا يليق، مع التحذير من الشرك وعاقبته، وكما أن فيها رداً على شرك النصارى، فهي أيضاً دامغة لكل شبهة مُبينة لكل ضلال يمس جانب التوحيد، فلا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

قال السعدي رحمه الله في الآيات: "أي: ذلك الموصوف بتلك الصفات، عيسى بن مريم، من غير شك ولا مرية، بل قول الحق وكلام الله، الذي لا أصدق منه قيلاً ولا أحسن منه حديثاً، فهذا الخبر اليقيني عن عيسى عليه السلام، وما قيل فيه مما يخالف هذا، فإنه مقطوع ببطلانه، وغايته أن يكون شكاً من قائله لا علم له به، ولهذا قال: ﴿الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي: يشكون فيمارون بشكهم، ويجادلون بخرصهم، فمن قائل عنه: إنه الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة، تعالى الله عن إفكهم وتقولهم علواً كبيراً.

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ﴾ أي: ما ينبغي ولا يليق؛ لأن ذلك من الأمور المستحيلة؛ لأنه الغني الحميد، المالك لجميع الممالك، فكيف يتخذ من عباده ومماليكه، ولداً؟! ﴿سُبْحَنَهُ﴾ أي: تنزهه وتقدهس عن الولد والنقص، ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ أي: من الأمور الصغار والكبار، لم يمتنع، عليه ولم يستصعب ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، فإذا كان قدره ومشئته نافذاً في العالم العلوي والسفلي، فكيف يكون له ولد؟

وإذا كان إذا أراد شيئاً قال له: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ فكيف يستبعد إيجاد عيسى من غير أب

ولهذا أخبر عيسى أنه عبد مربوب كغيره، فقال: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ الذي خلقنا، وصورنا، ونفذ فينا تدبيره، وصرّفنا تقديره.

﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ أي: أخلصوا له العبادة، واجتهدوا في الإنابة، وفي هذا الإقرار بتوحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، والاستدلال بالأول على الثاني، ولهذا قال: ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ أي: طريق معتدل، موصل إلى الله، لكونه طريق الرسل وأتباعهم، وما عدا هذا، فإنه من طُرُق الغي والضلال^(١).

وفي آية صريحة تدعو إلى التوحيد وإلى دعاء الله وحده، وتبين بقاء وجه الله ﷻ وهلاك كل شيء بعده؛ يأمر الله تعالى نبيه ﷺ بالإخلاص له والأمة تبع له، قال سبحانه في سورة القصص: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة القصص: ٨٨].

فإذا كان كل شيء سوى الله تعالى هالك، فكيف يدعو الإنسان ويشرك بالله من هو هالك وابن هالك: "وما الناس إلا هالك ابن هالك وذو نسبٍ في الهالكين عريق"^(٢).

وهل يدعو الهالكين إلا من لا عقل له، لذا تأمل في الدعاء الصحيح الذي كان يدعو به النبي ﷺ، يقول: «اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون»^(٣)، من تأمل هذا الحديث رأى أنه ترجمة عملية من النبي ﷺ لما أمره

(١) انظر: تفسير السعدي (ص ٤٩٣).

(٢) قاله أبو نواس الشاعر، انظر: تاريخ دنيسر (ص ٩٤) فقد أخرجه ابن اللمش في الكتاب بسنده إلى محمد بن سليمان صاحب البصري قال: حدثني أبو عمران السلمي، قال: مررت بأبي نواس... الخ، وانظر: المستطرف (ص ٥١٨) المستطرف في كل فن مستطرف، لشهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الإشبيني أبو الفتح (ت ٨٥٢هـ)، عالم الكتب بيروت - لبنان، ١٤١٩هـ.

(٣) أخرجه البخاري برقم (١١٢٠) (٤٨/٢) كتاب التهجد، باب التهجد بالليل وقوله ﷻ: ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك﴾، ومسلم برقم (٢٧١٧) (٢٠٨٦/٤) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل واللفظ له.

ربه في الآية العظيمة، فلنلزم غرضه بالإخلاص لله واتباع هديه، ففيهما والله النجاة والفلاح في الدنيا والآخرة، وفي الشرك الهلاك والخسران المبين.

ولبيان عظم شأن التوحيد وبطلان الشرك، أخبر النبي ﷺ أن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن، كما في البخاري من حديث أبي سعيد الخدري: «أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ يُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، وَكَانَ الرَّجُلُ يَتَقَالُهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»^(١)، وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة قال: «خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فَقَرَأَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ حَتَّى خَتَمَهَا»^(٢).

قال الله ﷻ في سورة الإخلاص، وفيها الخلاص من الشرك وأهله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ④﴾ [سورة الإخلاص: ١-٤].
"والتأمل فيها يجد أنها جردت في التوحيد خاصة، ولهذا عدلت ثلث القرآن، وقد تضمنت هذه السورة النفي والإثبات، أما النفي فهو للمعائب والنقائص عن الله تعالى، فكل نقص منفي عنه، كما تضمنت إثبات الكمال المطلق لله ﷻ" (٣).

"وهذه السورة الكريمة مؤلفة من أربع آيات، وقد جاءت في غاية الإيجاز والإعجاز، وأوضحت صفات الجلال والكمال، ونزهت الله ﷻ عن صفات العجز والنقص، فقد أثبتت الآية الأولى الوحدانية ونفت التعدد ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وأثبتت الثانية كماله تعالى ونفت النقص والعجز ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ وأثبتت الثالثة أزليته وبقائه ونفت الذرية والتناسل ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ وأثبتت الرابعة عظمته وجلاله ونفت الأنداد والأضداد ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا

(١) أخرجه البخاري بلفظه من حديث أبي سعيد الخدري برقم (٥٠١٣) (١٨٩/٦) كتاب فضائل القرآن، باب فضل قول هو الله أحد، ومسلم من حديث أبي الدرداء برقم (٨١١) (٥٥٦/١) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قول هو الله أحد.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٨١٢) (٥٥٧/١) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قول هو الله أحد.

(٣) انظر: نثر الورود شرح حائية ابن أبي داود؛ لعبد الرحمن العقل (ص ٤١).

أَحَدٌ. فالسورة شاملة جامعة لإثبات صفات الجلال والكمال، وتنزيه الرب بأسمى صور التنزيه
عن النقائص" (١).

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم - جزء عم؛ لعبد الملك ابن قاسم العاصمي (ص ١٧٦).

المبحث الثالث

الأدلة العقلية في القرآن الكريم على التوحيد وبطلان الشرك

بين الله تعالى في كتابه الكريم الحجج والبراهين التي تحجز كل عاقل عن الوقوع في وحل الشرك والكفر، قال الله تعالى في سورة الروم: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِمَّنْ شَيْءٌ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة الروم: ٤٠]. قال السعدي: "يُخبر تعالى أنه وحده المنفرد بخلقكم ورزقكم وإماتتكم وإحيائكم، وأنه ليس أحد من الشركاء التي يدعوهم المشركون من يشارك الله في شيء من هذه الأشياء، فكيف يُشركون بمن انفرد بهذه الأمور من ليس له تصرف فيها بوجه من الوجوه؟! فسبحانه وتعالى وتقدس وتنزه وعلا عن شركهم، فلا يضركه ذلك وإنما وبالهم عليهم" (١).

وقال الشنقيطي في الأضواء: "ولا شك أن الجواب الذي لا جواب لهم غيره هو: لا، أي: ليس من شركائنا من يقدر على أن يفعل شيئاً من ذلك المذكور من الخلق والرزق والإماتة والإحياء، فلما تعين اعترافهم وبخهم منكرهم عليهم بقوله: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. والآيات بنحو هذا كثيرة جداً؛ ولأجل ذلك ذكرنا في غير هذا الموضع أن كل الأسئلة المتعلقة بتوحيد الربوبية استفهامات تقرير، يراد منها أنهم إذا أقروا رتب لهم التوبيخ والإنكار على ذلك الإقرار؛ لأن المقر بالربوبية يلزمه الإقرار بالالوهية ضرورة؛ نحو قوله تعالى: ﴿إِنِّي اللَّهُ شَكُّ﴾ [سورة إبراهيم: ١٠] وَقَوْلِهِ: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَى رَبًّا﴾ [سورة الأنعام: ١٦٤] (٢).

ومن الآيات هنا أيضاً قوله سبحانه: ﴿أَمْ أَلْخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشُرُونَ﴾ ١١ لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهًا إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٢ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ١٣﴾ [الأنبياء: ٢١-٢٣].

(١) انظر: تفسير السعدي (ص ٦٤٣).

(٢) انظر: أضواء البيان؛ للشنقيطي (٢/٢١).

هنا يُخاطب القرآن الكريم العقول، فكما أنكم ترون في الدنيا أن كل أمرٍ مهم - كحكم دولة مثلاً - لو اشترك فيه اثنان، كلٌ له رأيه الذي يدافع عنه ويراه صحيحاً ويريد تنفيذه، لترتب على ذلك التنازع الشديد وفساد الأمور، والله تعالى المثل الأعلى، فهنا " أنكر سبحانه على من اتخذ من دونه آلهة من الأرض، سواء كانت أحجاراً أو خشباً، أو غير ذلك من الأوثان التي تعبد من دون الله، فهل هم يُحيون الأموات ويبعثونهم؟ الجواب: كلا، لا يقدر على شيء من ذلك، ولو كان في السموات والأرض آلهة تستحق العبادة غير الله لفسدتا وفسد ما فيهما من المخلوقات؛ لأن تعدد الآلهة يقتضي التمانع والتنازع والاختلاف، فيحدث بسببه الهلاك، فلو فُرضَ وجود إلهين، وأراد أحدهما أن يخلق شيئاً والآخر لا يريد ذلك، أو أراد أن يعطي والآخر أراد أن يمنع، أو أراد أحدهما تحريك جسم والآخر يريد تسكينه، فحينئذ يختل نظام العالم، وتفسد الحياة وذلك:

*لأنه يستحيل وجود مرادهما معاً، وهو من أبطل الباطل؛ فإنه لو وجد مرادهما جميعاً للزم اجتماع الضدين، وأن يكون الشيء الواحد شيئاً ميتاً، متحركاً ساكناً.

* وإذا لم يحصل مراد واحد منهما لزم عجز كل منهما، وذلك يناقض الربوبية.

* وإن وُجدَ مراد أحدهما ونفذ دون مراد الآخر، كان النافذ مراده هو الإله القادر، والآخر عاجز ضعيف مخذول.

* واتفاقهما على مراد واحد في جميع الأمور غير ممكن.

وحينئذ يتعين أن القاهر الغالب على أمره هو الذي يوجد مراده وحده غير مُمانع ولا مُدافع، ولا مُنازع، ولا مُخالف، ولا شريك، وهو الله الخالق الإله الواحد، لا إله إلا هو، ولا ربَّ سواه؛ ولهذا ذكر سبحانه دليل التمانع في قوله - ﷻ -: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ۚ عَلَيْهِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ۚ﴾ [سورة المؤمنون: ٩١-٩٢].

وإتقان العالم العلوي والسفلي، وانتظامه منذ خلقه، واتساقه، وارتباط بعضه ببعض في غاية الدقة والكمال: ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوُّتٍ﴾ [سورة الملك: ٣] وما في ذلك من التسخير والتدبير بعلمٍ وحكمة لمصالح الخلق كلّهم، كل ذلك يدل على أن مُدبّرَه واحد، وربّه واحد، وإلهه واحد، لا معبود غيره، ولا خالق سواه" (١).

وقال سبحانه: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمُ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَبِدُّ الْأَضْلَامُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ [سورة فاطر: ٤٠] "أروني أي شيء خلقوا من الأرض ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾ يقول: أم لشركائكم شرك مع الله في السماوات إن لم يكونوا خلقوا من الأرض شيئاً ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْهُ﴾ يقول: أم آتينا هؤلاء المشركين كتاباً أنزلناه عليهم من السماء بأن يشركوا بالله الأوثان والأصنام، فهم على بينة منه، فهم على برهان مما أمرتهم فيه من الإشراك بي" (٢).

فتبيّن لكل عاقل أن "الملك والتصرف كله الله ﷻ، فكيف تعبدون معه غيره، وتشركون به؟! من أرشدكم إلى هذا؟! من دعاكم إليه؟! أهو أمركم به؟! أم هو شيء اقترحاتموه من عند أنفسكم؟! ولهذا قال: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنَوِّى بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِّن عِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة الأحقاف: ٤]. أي: هاتوا كتاباً من كتب الله المنزلة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، يأمركم بعبادة هذه الأصنام ﴿أَوْ أَثَرَةٍ مِّن عِلْمٍ﴾ أي: دليل بين على هذا المسلك الذي سلكتموه ﴿إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: لا دليل لكم نقلياً ولا عقلياً على ذلك؛ ولهذا قرأ آخرون: "أو أثره من علم

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٩/ ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٣٧)

(٢) انظر: تفسير الطبري (٤٨٠/٢٠).

أي: أو علم صحيح يأترونه عن أحد من قبلهم، كما قال مجاهد في قوله: أَوْ أَتَرَوْا مِّنْ عِلْمٍ أَوْ أَحَدٍ يَأْتِرُ عِلْمًا" (١).

وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ﴾ [سورة الأحقاف: ٥] أي: لا أضل ممن يدعو أصناماً، ويطلب منها ما لا تستطيعه إلى يوم القيامة، وهي غافلة عما يقول، لا تسمع ولا تبصر ولا تبطش؛ لأنها جماد حجارة صم، وقوله: ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [سورة الأحقاف: ٦]. كقوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لَّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ [سورة الأحقاف: ٦]. ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [سورة مريم: ٨١-٨٢] أي: سيخونونهم أحوج ما يكونون إليهم، وقال الخليل: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّصِيرِينَ﴾ [سورة العنكبوت: ٢٥] (٢).

"فإن قيل: إذا كان الدليل العقلي، والنقلي قد دلّا على بطلان الشرك، فما الذي حمل المشركين على الشرك، وفيهم ذوو العقول والذكاء والفتنة؟

أجاب تعالى بقوله: ﴿بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ [سورة فاطر: ٤٠] أي: ذلك الذي مشوا عليه ليس لهم فيه حجة، فإنما ذلك توصية بعضهم لبعض به، وتزيين بعضهم لبعض، واقتداء المتأخر بالمتقدم الضال، وأماي منّاها الشيطان، وزين لهم سوء أعمالهم، فنشأت

(١) انظر: الهداية الى بلوغ النهاية (١١/٦٨١٢) في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧ هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٧/٢٧٥).

في قلوبهم، وصارت صفة من صفاتها، ففسر زوالها وتفسر انفصالها، فحصل ما حصل من الإقامة على الكفر والشرك الباطل المضمحل^(١).

وقد بين القرآن الكريم أن الفلاح والنجاة إنما تكون بلزوم التوحيد، واليقين بالله مع العمل بلا إله إلا الله، والخلوص من الشرك بأنواعه، جاءت في سورة المائدة آية عظيمة تنسف الشرك وتخلع القلوب، لمن تدبر كلام علام الغيوب، ردّ الله تعالى فيها على أهل الشرك من النصارى فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [سورة المائدة: ١٧].

فنقول إلى كل مشرك أشرك مع الله، اقرأ الآية بقلبك وبتجرد، واسأل نفسك وأنت تريد صدقاً الحق: كلام من هذا؟ من القادر على قول هذا الكلام إلا الله ﷻ الذي بيده ملكوت كل شيء، ثم اسأل الله حقاً أن يدلك على طريق النور، واسأل الله أن يهديك إلى التوحيد والإسلام.

قال السعدي رحمه الله: "ردّ الله عليهم بأدلة عقلية واضحة فقال: ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾".

فإذا كان المذكورون لا امتناع عندهم يمنعهم لو أراد الله أن يهلكهم، ولا قدرة لهم على ذلك - دلّ ذلك على بطلان إلهية من لا يمتنع من الإهلاك، ولا في قوته شيء من الفكاك.

(١) انظر: تفسير السعدي (ص ٦٩١).

ومن الأدلة قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ﴾ وحده ﴿مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يتصرف فيهم بحكمه الكوني والشرعي والجزائي، وهم مملوكون مدبرون، فهل يليق أن يكون المملوك العبد الفقير، إلها معبودا غنياً من كل وجه؟ هذا من أعظم المحال.

ولا وجه لاستغرابهم لخلق المسيح عيسى ابن مريم من غير أب، فإن الله ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ إن شاء من أب وأم كسائر بني آدم، وإن شاء من أب بلا أم كحواء، وإن شاء من أم بلا أب كعيسى، وإن شاء من غير أب ولا أم كآدم^(١)، فهو سبحانه على كل شيء قدير. وقد ضرب القرآن الكريم الأمثال على بطلان الشرك، وضرب الأمثال إنما يكون لأصحاب العقول الذين يعلمون مغزاها ومعناها، ويعملون بمقتضاها قال سبحانه: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة العنكبوت: ٤١-٤٣].

وتأمل في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا﴾ لتعلم أن أصحاب العقول السليمة والفطر المستقيمة يتعظون بهذه الأمثال، فيقبح في أذهانهم الشرك وينفرون عنه، ويقبلون على التوحيد بإيمان وعقيدة متمسكين به، أما من اتبعوا أهواءهم وعطلوا عقولهم فهم في شركهم وغيهم يعمهون.

قال ابن كثير: "هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله، يرجون نصرهم ورزقهم، ويتمسكون بهم في الشدائد، فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه ووهنه فليس في أيدي هؤلاء من آهتهم إلا كمن يتمسك ببيت العنكبوت، فإنه لا يجدي عنه شيئاً، فلو علموا هذا الحال لما اتخذوا من دون الله أولياء، وهذا بخلاف المسلم المؤمن قلبه لله، وهو

(١) انظر: تفسير السعدي (ص ٢٢٦).

مع ذلك يحسن العمل في اتباع الشرع فإنه مستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، لقوتها وثباتها" (١).

وقال السعدي في شرح المثال وبيان معناه: "العنكبوت من الحيوانات الضعيفة، وبيتها من أضعف البيوت، فما ازدادت باتخاذها إلا ضعفاً، كذلك هؤلاء الذين يتخذون من دونه أولياء، فقراء عاجزون من جميع الوجوه، وحين اتخذوا الأولياء من دونه يتعززون بهم ويستنصرونهم، ازدادوا ضعفاً إلى ضعفهم، ووهنا إلى وهنهم" (٢).

ومن الأمثال أيضاً ونختم به مبحثنا، قوله تعالى في آية عظيمة فيها الحجة الدامغة على بطلان الشرك وضلال أهله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ۗ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ [سورة الحج: ٧٣-٧٤].

في الآية نداء لجميع الناس ليستمعوا إلى هذا المثل العظيم الذي يضره لهم رب العالمين، يخاطب فيه عقولهم فيقول: هذه الآلهة التي تعبدون من دون الله لو اجتمعت؛ هل تستطيع خلق تلك الذبابة الصغيرة التي ترونها؟ وإن أخذ منهم الذباب شيئاً هل يستطيعون رده، فإذا كان الجواب حتماً: لا، إذاً فأين عقولكم، وكيف تعبدون من لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضرراً.

قال السعدي: "هذا مثل ضربه الله لقبح عبادة الأوثان، وبيان نقصان عقول من عبدها، وضعف الجميع فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ هذا خطاب للمؤمنين والكفار، المؤمنون يزدادون علماً وبصيرة، والكافرون تقوم عليهم الحجة ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ﴾ أي: ألقوا إليه أسماعكم، وتفهموا ما احتوى عليه، ولا يصادف منكم قلباً لاهية، وأسماعاً معرضة، بل ألقوا

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٦/٢٧٩).

(٢) انظر: تفسير السعدي (ص ٦٣١).

إليه القلوب والأسماع، وهو هذا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ شمل كل ما يدعى من دون الله ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ الذي هو من أحقر المخلوقات وأخسها، فليس في قدرتهم خلق هذا المخلوق الضعيف، فما فوقه من باب أولى ﴿وَلَوْ أَجْتَمَعُوا لَهُ﴾ بل أبلغ من ذلك ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾ وهذا غاية ما يصير من العجز. ﴿ضَعْفَ الظَّلْبِ﴾ الذي هو المعبود من دون الله ﴿وَالْمَطْلُوبِ﴾ الذي هو الذباب، فكل منهما ضعيف، وأضعف منهما، من يتعلق بهذا الضعيف، وينزله منزلة رب العالمين. فهذا ما قدر ﴿اللَّهُ حَقٌّ قَدْرُوءٌ﴾ حيث سوى الفقير العاجز من جميع الوجوه، بالغني القوي من جميع الوجوه، سوى من لا يملك لنفسه، ولا لغيره نفعاً ولا ضرراً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، بمن هو النافع الضار، المعطي المانع، مالك الملك، والمتصرف فيه بجميع أنواع التصريف.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [سورة الحج: ٧٤] أي: كامل القوة، كامل العزة، من كمال قوته وعزته، أن نواصي الخلق بيديه، وأنه لا يتحرك متحرك، ولا يسكن ساكن إلا بإرادته ومشيئته، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ومن كمال قوته أنه يمسك السماوات والأرض أن تزولا، ومن كمال قوته أنه يبعث الخلق كلهم أولهم وآخرهم بصيحة واحدة، ومن كمال قوته أنه أهلك الجبابرة والأمم العاتية بشيء يسير وسوط من عذابه^(١).

(١) انظر: تفسير السعدي (ص ٥٤٦).

المبحث الرابع

أثر تحقيق التوحيد في النجاة من الشدائد

للتوحيد أثر عظيم في حصول الأمن والطمأنينة والنجاة، يقول الله جل في علاه:

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحْجُونَنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَنتُمُ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة الأنعام: ٧٩-٨٢].

وقد جاء في الصحيح أنه حين نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ، وقالوا: أينما لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «ليس كما تظنون؛ إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [سورة لقمان: ١٣]»^(١). قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ أي: "هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له، ولم يشركوا به شيئاً هم الآمنون يوم القيامة، المهتدون في الدنيا والآخرة"^(٢).

(١) أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن مسعود برقم (٣٣٦٠) كتاب استتابة المسافرين والمعاندين وقتالهم، باب ما

جاء في المتأولين، ومسلم برقم (١٢٤) كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٢٩٤/٣).

وكما أن التوحيد له أثر كبير في حصول الأمن، فإن الشرك من أعظم أسباب حصول الخوف والرعب والقلق، قال الله ﷻ: ﴿سَنَلْقَى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَيُشْسِ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٥١].

قال السعدي: " ثم ذكر السبب الموجب لإلقاء الرعب في قلوب الكافرين، فقال: ﴿بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ [آل عمران: ١٥١] أي: ذلك بسبب ما اتخذوا من دونه من الأنداد والأصنام، التي اتخذوها على حسب أهوائهم وإرادتهم الفاسدة، من غير حجة ولا برهان، وانقطعوا من ولاية الواحد الرحمن، فمن ثم كان المشرك مرعوباً من المؤمنين، لا يعتمد على ركن وثيق، وليس له ملجأ عند كل شدة وضيق ^(١) .

"وتوحيد الله جل في علاه - كما قال أهل العلم " مفرج أعداء الله وأوليائه: فأما أعداؤه فينجيهم من كُرب الدنيا وشدائدها ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَاؤُ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [سورة العنكبوت: ٦٥] وأما أوليائه، فينجيهم من كُربات الدنيا والآخرة معاً وشدائدهما؛ ولذلك فرغ إليه يونس عليه السلام، فنجاه الله من تلك الظلمات، وفرغ إليه أتباع الرسل فنجوا به مما عُذِّبَ به المشركون في الدنيا وما أُعِدَّ لأهل الشرك في الآخرة من العذاب المهين، فوالله ما دُفعت الشدائد والأهوال بمثل توحيد الله ﷻ، لذلك كان دعاء الكرب بالتوحيد (لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم) ^(٢) ودعوة ذي النون أيضاً التي ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربه بالتوحيد ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾

(١) انظر: تفسير السعدي (ص ١٥١).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧٤٣١) كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ (١٢٦/٩)، ومسلم برقم (٢٧٣٠) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب دعاء الكرب (٢٠٩٢/٤).

[سورة الأنبياء: ٨٧]، فلا يُلقى في الكُرب العظام إلا الشرك، ولا يُنجي منها إلا التوحيد؛ فهو مفزع الخليقة وملجؤها وحصنها وغيائها^(١).

وهنا ينبغي أن يُعلم، كما قال ابن القيم: "أن شهادة التوحيد: لا إله إلا الله في القلب بمنزلة الروح في البدن، والأرواح أنواع، فروح ميتة، وروح مريضة إلى الموت أقرب، وروح إلى الحياة أقرب، وروح صحيحة قائمة بمصالح البدن، وفي الحديث الصحيح عن نبينا ﷺ: «إني لأعلم كلمة لا يقولها أحد عند موته إلا كانت نوراً لصحيفته، وإن جسده وروحه ليجدان لها روحاً عند الموت»^(٢)، فحياة الروح بحياة هذه الكلمة فيها، كما أن حياة البدن بوجود الروح فيه، وكما أن من مات على هذه الكلمة فهو في الجنة يتقلب فيها، فمن عاش على تحقيقها والقيام بها فروحه تتقلب في جنة المأوى وعيشه أطيب عيش، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [سورة النازعات: ٤٠-٤١] فالجنة مأواه يوم اللقاء، وجنة المعرفة والمحبة والأنس بالله والشوق إلى لقائه والفرح به والرضى به وعنه مأوى روحه في هذه الدار، فمن كانت هذه الجنة مأواه هنا كانت جنة الخلد مأواه يوم المعاد، ومن حُرِمَ الجنة فهو لتلك الجنة أشد حرماناً، والأبرار في النعيم وإن اشتد بهم العيش وضافت عليهم الدنيا؛ والفجار في جحيم وإن اتسعت عليهم الدنيا وفُتحت لهم أبوابها، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل: ٩٧] وطيب الحياة جنة الدنيا، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [سورة الأنعام: ١٢٥] فأَي نعيم أطيب من شرح الصدر، ثم قال ربي: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾

(١) انظر: الفوائد؛ (٥٣/١) لحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)، الناشر:

دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .

(٢) أخرجه ابن ماجه برقم (٣٧٩٥) (٧٠٩/٤)، والنسائي في السنن الكبرى برقم (١٠٨٧٤) (٤٠٤/٩) وصححه شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لسنن ابن ماجه.

[سورة الأنعام: ١٢٥] وأي عذاب أُمُرٌ من ضيق الصدر، وقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٦﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٧﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٨﴾﴾ [سورة يونس: ٦٢-٦٤]، فالمؤمن المخلص لله من أطيب الناس عيشاً، وأنعمهم بالاً، وأشرحهم صدرًا، وأسرهم قلباً، وهذه جنة عاجلة قبل الجنة الآجلة^(١).

وقال شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية وصدق: "كلما قوي التوحيد في قلب العبد، قوي إيمانه وطمأنينته وتوكله وبقينه"^(٢).

والقرآن الكريم أوضح بأجمل بيان هذا الأمر وجلّاه، وهو أنه لا نجاة ولا سلامة من الشدائد إلا بالتوحيد الخالص لله جل في علاه، وقد علم المشركون ذلك، يقول الله تعالى واصفاً حالهم العجيب: ﴿رَبِّكُمْ الَّذِي يُرْجِي لَكُمْ الْفَلَكَ فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا بَلَغَكُمُ الْبَرَّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [سورة الإسراء: ٦٦-٦٧] يلوذون به جل في علاه عند الشدائد، ويخلصون له في الدعاء والطلب ليقينهم أنه لا يُنَجِّيهم منها إلا الله ﷻ وتوحيده والإخلاص له، ثم إذا نجاهم عادوا إلى الشرك والضلال، ومغبة ذلك والله عليهم، فهم لا يضرّون إلا أنفسهم ومأواهم إن استمروا على ذلك الخلود في نار جهنم، والله قادر عليهم في البر والبحر، فهم تحت حكمه وقوته وقدرته، قال الله تعالى بعدها مباشرة: ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخْصِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾ [سورة

(١) انظر: الكتاب: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، (٣٠١-٣٠٢) لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد

شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)، الناشر: دار المعرفة - المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢٨/٣٥).

الإسراء: ٦٨-٦٩] وقال سبحانه أيضاً في نفس السياق في سورة لقمان: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَّجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة لقمان: ٣٢].

فهؤلاء إذا ركبوا البحر وهاج بهم وأتتهم الأمواج العالية كالجبال ﴿دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ "لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الدواهي والشدائد" (١)، ثم إذا زالت عنهم الشدة ونجّاهم الله تعالى عادوا إلى ما كانوا عليه من الضلال ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ قال القرطبي: "الختار: الغدار. والختر: أسوأ الغدر، قال عمرو بن معد يكرب (٢):

فإنك لو رأيت أبا عمير ... ملأت يديك من غدر وختر" (٣).

والكفور صيغة مبالغة وفيها معنى المبالغة في كفر وجحود نعمة الله، نسأل الله العافية.

"وقد كان هذا الأمر سببا في "إسلام عكرمة بن أبي جهل، فإنه لما فتح رسول الله ﷺ

مكة ذهب فاراً منه إلى بلاد الحبشة، فركب في البحر متوجهاً إلى الحبشة، فجاءتهم ريح

عاصف فقال القوم بعضهم لبعض: إنه لا يُغني عنكم إلا أن تدعوا الله وحده، فقال عكرمة

في نفسه: والله إن كان لا ينفع في البحر غيره فإنه لا ينفع في البر غيره، اللهم لك علي

(١) انظر: تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٧٧/٧)، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢ هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت .

(٢) هو: عمرو بن معد يكرب بن عبد الله بن عمرو بن حصم بن عمرو بن زبيد الأصغر، قدم على النبي ﷺ في وفد مراد، لأنه كان قد فارق قومه سعد العشيرة ونزل في مراد، ووفد معهم إلى النبي ﷺ، فأسلم معهم، وقيل: إن عمراً قدم في وفد زبيد قومه، وكان إسلامه سنة تسع، وقال الواقدي: سنة عشر، شهد فتوح الشام، وفتوح العراق، قتل يوم القادسية، وقيل: بل مات عمرو بن معديكرب سنة ٢١ هـ بعد أن شهد وقعة نهاوند، انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٢٠١/٣)، أسد الغابة (٧٧٠/٣)، الإصابة في تمييز الصحابة (٥٦٨/٤).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (٨٠/١) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م..

عهد، لئن أخرجتني منه لأذهبنّ فلاضعنّ يدي في يد محمد ﷺ فلاجدته رؤوفا رحيمًا فخرجوا من البحر، فخرج إلى رسول الله ﷺ فأسلم وحسن إسلامه ﷺ" (١).

وقال الله تعالى أيضا في سورة الأنعام: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِّنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سورة الأنعام: ٦٣] " فهذه الآيات تثبت أن أولئك المشركين إذا ركبوا في البحر وتعرضوا للخطر فتوقعوا نزول قارعة نسوا آلهتهم من الأولياء وغيرهم وكفروا بهم، وأخلصوا الدين لله وحده، وتوجهوا إليه بالدعاء، معلقين عليه وحده الرجاء. لأنهم كانوا يعرفون تمامًا أن الذين يدعونهم من دونه هم أحقر وأضعف من أن يجلبوا لهم أية مساعدة أو يقدموا لهم أي عون في تلك اللحظة الحرجة، بل لأنهم كانوا يدركون أن من يدعون من دون الله أعجز من أن يسمعوا لهم صوتًا، فضلاً عن أن يجيبوا لهم دعاء. لذا فشريط المغالطات المعروض أمام بصائرهم يتمزق في تلك اللحظة الفاصلة، وتتجلى أمامهم الحقيقة جلية واضحة، وهي أن أحداً غير الله (مهما كان) لا يمكن الالتجاء إليه لإنقاذ الموقف في اللحظات العصبية.

فهم لهذا يلجؤون إلى الله وحده فيخلصون له الدين، ويدعونه ويتضرعون إليه ويطلبون منه العون والممدد دون سواه، وينسون الأولياء الذين اتخذوهم آلهة من دونه في الرخاء؛ لإيمانهم إيماناً جازماً أنه ﷻ الوحيد الذي يقدر على إنقاذهم من الغرق، فهؤلاء المشركون يظلون مخلصين لله الدين ما داموا في منطقة الخطر، ولكنهم إذا اجتازوا هذه المنطقة ونجوا إلى البر عادوا إلى العادة التي وجدوا عليها آباءهم، فيشركون مع الله غيره في الدعاء والذبح والنذر، وهذا هو الذي أنبهم الله عليه وسمّاهم بسببه مشركين في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَافَيْتُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [سورة العنكبوت: ٢٥] هذا هو حال المشركين الأوائل في إخلاصهم الدين لله وتوجههم إليه وحده بالدعاء عندما يحزبهم أمر أو يُحْدِق بهم خطر.

(١) انظر: أضواء البيان للشنقيطي (٤٦/٣).

أما مشركوا هذا الزمن من القبوريين فهم على النقيض من المشركين الأولين، فلا يدعون الله ولا يتضرعون إليه إلا في الرخاء.

أما إذا اشتد بهم كرب أو ضاق بهم مسلك أو تعذر عليهم مطلب، فإنهم ينسبون الله ﷻ ويذكرون أولياءهم فيجعلون منهم آلهة، فيتقربون إليهم (في ضراعة وخشوع) بالدعاء، والذبح، والنذر، والخوف، والرجاء.

فالبديوي^(١) والجيلاني^(٢) والرفاعي^(٣) والتيجاني^(٤) والعيدروس وابن عيسى^(٥) وغيرهم من الأولياء، لا تسمع الهتاف الحار بأسمائهم، والتوجه بالدعاء الخالص إليهم، إلا عند الشدائد. والقبوريون إذا ركبوا البحر وأحرق بهم الخطر نسوا الله ﷻ، وذكروا أولياءهم، وسارعوا بالابتغال والدعاء إليهم، مستغيثين ومستنجدين، قائلين في ذلة وضراعة: مدد يا بدوي، يا جيلاني، يا رفاعي الخ، فتراهم يناجونهم وكأنهم عندهم حاضرون.

(١) هو: أحمد بن علي بن إبراهيم الحسيني، أبو العباس البديوي، المتصوف، صاحب الشهرة في الديار المصرية، أصله من المغرب، ولد بفاس، وطاف البلاد، ودخل مصر في أيام الملك الظاهر بيبرس، وعظم شأنه في بلاد مصر فانتسب إلى طريفته جمهور كبير بينهم الملك الظاهر، وتوفي ودفن في طنطا سنة ٦٧٥هـ، انظر: سلم الوصول إلى طبقات الفحول (١٧٣/١)، الأعلام (١٧٥/١)، معجم المؤلفين (٣١٤/١).

(٢) هو: عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسيني، أبو محمد، محيي الدين الجيلاني، أو الكيلاني، ولد في جيلان (وراء طبرستان) وانتقل إلى بغداد شاباً، سنة ٤٨٨هـ، فاتصل بشيوخ العلم والتصوف، وبرع في أساليب الوعظ، وتفقه، وسمع الحديث، وقرأ الأدب، واشتهر، وكان يأكل من عمل يده، وتصدر للتدريس والإفتاء في بغداد سنة ٥٢٨هـ وتوفي بها سنة ٥٦١هـ، انظر: سير أعلام النبلاء (٤٣٩/٢٠)، فوات الوفيات (٣٧٣/٢)، الأعلام (٤٧/٤).

(٣) هو: أحمد بن علي بن يحيى الرفاعي الحسيني، أبو العباس مؤسس الطريقة الرفاعية، ولد في قرية حسن - من أعمال واسط بالعراق، وتفقه وتأدب في واسط، وتصوف فانضم إليه خلق كثير من الفقهاء كان لهم به اعتقاد كبير، وكان يسكن قرية أم عبيدة بالبطائح - بين واسط والبصرة - وتوفي بها سنة ٥٧٨هـ، انظر: سلم الوصول إلى طبقات الفحول (١٧٥/١)، الأعلام (١٧٤/١).

(٤) هو: أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد الشَّريف التجاني، كان فقيهاً مالكيًا، ملماً بالأدب، تصوف ووعظ، وأقام مدة بفاس وتلمسان، وحج سنة ١١٨٦هـ فمر بتونس، وعاد إلى فاس، ثم رحل إلى (توات) وأخرج منها، فاستقر بفاس إلى أن توفي سنة ١٢٣٠هـ، انظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (٥٤٢/١)، الأعلام (٢٤٥/١).

(٥)

ولو رأيتهم (في هلع وذلة) كيف يتبارون في نذر النذور لهؤلاء المقبورين ويتعهدون بتقديم القرايين عند قبورهم، إن هم نجوا من الغرق، لأدركت مدى حقارة الشرك وخسة الكفر التي تمرغ كرامة الإنسان في مزابلها وأوحالها، حيث تنحدر به من مرتبة الإنسان العاقل إلى منزلة أخط من منزلة الأنعام السائمة.

وصدق الله العظيم: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ﴾ [سورة الأحقاف: ٥] "(١).

(١) انظر: كيف نفهم التوحيد؛ لمحمد بن أحمد باشميل (ص ١٥-١٧)، (المتوفى: ١٤٢٦ هـ)، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ.

المبحث الخامس

افتقار المخلوقين إلى الله تعالى، وغناه عنهم من كل وجه

يقول الله ﷻ في كتابه الكريم مبيناً هذه الحقيقة العظيمة: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝١٥ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٦﴾ [سورة فاطر: ١٥-١٦].

فالله تعالى هو الغني عنا من كل وجه، ونحن والله الفقراء إليه في كل أنفاسنا ولحظات حياتنا، فقراء في الهداية إلى الحق، فلولا ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا، فقراء إليه في الطعام والشراب وهو القائل في الحديث القدسي: «كلكم جائعٌ إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم»^(١)، فقراء إليه في خلقنا ورزقنا وحياتنا فهو سبحانه الذي أوجدنا من العدم، ورزقنا من حيث لا نحتسب، وهدانا سبلنا، وسخر لنا ما في السموات وما في الأرض، وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، وأرسل إلينا خير رسله، وأنزل علينا خير كتبه، وآتانا من كل ما سألناه، فالحمد لله حمداً كثيراً.

يقول جل في علاه في سورة النحل: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارْهَبُونِ ۝١ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ۝٢ وَمَا يَكُم مِّنْ نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ۝٣ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ۝٤ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٥﴾ [سورة النحل: ١-٥].

قال السعدي رحمه الله: "يأمر تعالى بعبادته وحده لا شريك له، ويستدل على ذلك بانفراده بالنعمة والوحدانية فقال: ﴿لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ أي: تجعلون له شريكاً في إلهيته، وهو ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ متوحد في الأوصاف العظيمة، متفرد بالأفعال كلها، فكما أنه الواحد في

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم.

ذاته وأسمائه ونعوته وأفعاله، فلتوحدوه في عبادته، ولهذا قال: ﴿فَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ﴾ أي: خافوني وامثلوا أمري، واجتنبوا نهبي من غير أن تشركوا بي شيئاً من المخلوقات، فإنها كلها لله تعالى مملوكة.

﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾ أي: الدين والعبادة والذل في جميع الأوقات لله وحده، فعلى الخلق أن يخلصوا لله وينصبغوا بعبوديته ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ من أهل الأرض أو أهل السماوات فإنهم لا يملكون لكم ضرراً ولا نفعاً، والله المنفرد بالعطاء والإحسان ﴿وَمَا يَكُرُّ مِنْ نِعْمَةٍ مِنْ اللَّهِ﴾ ظاهرة وباطنة فمن الله لا أحد يشركه فيها ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾ من فقر ومرض وشدة ﴿فَإِلَيْهِ تَجْعُرُونَ﴾ أي: تضجون بالدعاء والتضرع لعلمكم أنه لا يدفع الضرر والشدة إلا هو، فالذي انفرد بإعطائكم ما تحبون، وصرف ما تكرهون، هو الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده، ولكن كثيراً من الناس يظلمون أنفسهم، ويحددون نعمة الله عليهم، فإذا كانوا في الشدة أخلصوا، ثم إذا نجّاهم وصاروا في حال الرخاء أشركوا به بعض مخلوقاته الفقيرة، ولهذا قال: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ﴾ أي: أعطيناهم حيث نجيناهم من الشدة، وخلصناهم من المشقة ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ في دنياكم قليلاً ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة كفركم^(١).

وقال ﷺ مبيناً أن أرزاق الخلق كلهم عليه، وأن كل الخلائق في ذلك مفتقرة إليه، معتمدة عليه، فهو خالقها ورازقها وحده لا شريك له: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ٦٠ وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَإِنِّي يُؤْفِكُونَ ٦١ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٦٢ وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَّنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ٦٣ وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ

(١) انظر: تفسير السعدي (ص ٤٤٢).

لَهُنَّ الْحَيَاةُ زَوْكَاوُا يَعْمُونَ ﴿٦٠﴾ فَإِذَا رَكَبُوا فِي الْفَلَائِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦١﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ وَلِيَسْتَمْتَعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ [سورة العنكبوت: ٦٠-٦٦].

وقال سبحانه في سورة الأعراف في آيات عظيمة صريحة من تدبرها حقاً شهد أنه لا إله إلا الله، فحمد الله أن رزقنا التوحيد، ونسأله الثبات عليه حتى نلقاه: ﴿يُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ ﴿١١٩﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصراً وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٢٠﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاكُمْ عَلَيْهِمْ أَدْعَاؤُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَالِحُونَ ﴿١٢١﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٢٢﴾ [سورة الأعراف: ١٢١-١٢٤].

قال ابن كثير: "هذا إنكار من الله على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره، من الأنداد والأصنام والأوثان، وهي مخلوقة لله مربوبة، لا تملك شيئاً من الأمر، ولا تضر ولا تنفع، ولا تنصر ولا تنتصر لعابديها، بل هي جماد لا تتحرك ولا تسمع ولا تبصر، وعابدوها أكمل منها بسمعهم وبصرهم وبطشهم؛ ولهذا قال: ﴿يُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أي: أتشركون به من المعبودات ما لا يخلق شيئاً ولا يستطيع ذلك، كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ صُرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ [سورة الحج: ٧٣-٧٤] أخبر تعالى أنه لو اجتمعت آلهتهم كلها، ما استطاعوا خلق ذبابة، بل لو أسلبتهم الذبابة شيئاً من حقير المطاعم وطارت، لما استطاعوا إنقاذ ذلك منها، فمن هذه صفته وحاله، كيف يُعبد ليرزق ويستنصر؟ ولهذا قال تعالى: ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [سورة الفرقان: ٣] أي: بل هم مخلوقون كما قال الخليل: ﴿قَالَ اتَّعَبُدُونِ مَا تَحْتَوْنَ﴾ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ [سورة الصافات: ٩٥-٩٦]، ثم قال تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصراً﴾ أي: لعابديهم ﴿وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ يعني: ولا

لأنفسهم ينصرون ممن أرادهم بسوء، كما كان الخليل عليه الصلاة والسلام، يكسر أصنام قومه ويهينها غاية الإهانة، كما أخبر تعالى عنه في قوله: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ [سورة الصافات: ٩٣] وقال تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَيْدًا لَّهُمْ لَعَالَهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٥٨].

وكما كان معاذ بن عمرو بن الجموح^(١) ومعاذ بن جبل^(٢) - وكانا شابين قد أسلما لما قدم رسول الله ﷺ المدينة - فكانا يعدوان في الليل على أصنام المشركين يكسرها ويثقلانها ويتخذانها حطباً للأرامل، ليعتبر قومهما بذلك، ويرثوا لأنفسهم، فكان لعمرو بن الجموح^(٣) - وكان سيداً في قومه - صنم يعبد ويطلبه، فكانا يجيئان في الليل فينكسانه على رأسه، ويلطخان بالعدرة، فيجيء عمرو بن الجموح فيرى ما صنعا به فيغسله ويطلبه ويضع عنده سيفاً، ويقول له: انتصر، ثم يعودان لمثل ذلك، ويعود إلى صنيعه أيضاً، حتى أخذه مرة فقرنا معه جرو كلب ميت، ودلياه في حبل في بئر هناك، فلما جاء عمرو بن الجموح ورأى ذلك، نظر فعلم أن ما كان عليه من الدين باطل، وقال:

تالله لو كنت إلها مستدن ... لم تك والكلب جميعا في قرن^(٤).

(١) هو: معاذ بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام الأنصاري الخزرجي، شهد العقبة، وبدراً، هو وأبوه، مات في زمن عثمان، انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/٤١٠)، أسد الغابة (٤/٤٢٦-٤٢٧)، الإصابة في تمييز الصحابة (١١٣/٦).

(٢) هو: معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ الأنصاري، أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار، شهد بدرًا وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وأخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبد الله بن مسعود، توفي بناحية الأردن في طاعون عمواس سنة ١٨ هـ، وهو ابن ثمان وثلاثين سنة، انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/١٤٠٢)، أسد الغابة (٥/١٨٧)، الإصابة في تمييز الصحابة (٦/١٠٧).

(٣) هو: عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب الأنصاري السلمي، شهد العقبة، ثم شهد بدرًا، وقتل يوم أحد شهيداً، ودفن هو وعبد الله بن عمرو بن حرام في قبر واحد، وكانا صهرين، وكان عمرو بن الجموح أعرج فقيل له يوم أحد: والله ما عليك من حرج، لأنك أعرج، فأخذ سلاحه وولى، انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/١١٦٨)، أسد الغابة (٤/١٩٤)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/٢٠٦).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٢/٥٢٩).

في الآيات أن ما يشركون من دون الله لا يخلقون شيئاً ولا يستطيعون نصراً لا لغيرهم ولا لأنفسهم، فكيف يكون مثل هذا إله، نعوذ بالله من الضلال، اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك.

وقال الله تعالى في آيات عظيمة تدل كل ذي عقل ولب على توحيد الله وإفراده سبحانه بالعبادة، وتشفي من شبهات الشرك والضلال، قال ربنا ﷻ: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَإِنِّي نَصَرْتُ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدُوَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَإِنِّي تَوَفَّكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ قُلْ لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة يونس: ٣١-٣٦].

قال الشيخ صالح الفوزان^(١) حفظه الله: "فيها البيان الواضح بأنّ المشركين كانوا يقرّون بهذا النوع من التوحيد، وإنّما كانوا يحددون النوع الثاني منه، وهو توحيد العبادة، المتمثّل في إفراد الله - ﷻ - في الطلب والقصد في كل ما يصدر من العبد من أنواع العبادة، كما تدل عليه وتعبّر عنه كلمة (لا إله إلا الله) إنّ هذه الكلمة تثبت العبادة بجميع أنواعها لله وحده وتنفيها عمّا سواه، ولهذا لما طلب النبي ﷺ من المشركين أن يقولوها امتنعوا وقالوا: ﴿أَجْعَلِ الْأِلَهَةَ إِلَّاهَا

(١) هو: الشيخ صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان، ولد سنة ١٣٥٤هـ، وتوفي والده وهو صغير، تخرج من كلية الشريعة ونال الماجستير والدكتوراه منها، وهو عضو في هيئة كبار العلماء بالملكة، تتلمذ على ابن باز، وعبدالله بن حميد، وعبدالرزاق عفيفي، وغيرهم، له من التصانيف: التحقيقات المرضية في المباحث الفرضية، وأحكام الأطعمة في الشريعة، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، وغيرها من الشروحات النافعة، حفظ الله شيخنا وأطال عمره على الطاعة، انظر: موقع الشيخ على الشبكة <https://2u.pw/wDyHRMC> ، ولقاء مع الشيخ بعنوان سيرتي الذاتية تجارب وذكريات.

وَحِيدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ مُّجَبَّبٌ ﴿٥﴾ [سورة ص: ٥] لعلمهم أنّ من قالها فقد اعترف ببطلان عبادة كل ما سوى الله وأثبت العبادة لله وحده، فإنّ الإله معناه: المعبود "والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة"، والعلاقة بين توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية هي التلازم، بمعنى: أنّ الإقرار بتوحيد الربوبية يوجب الإقرار بتوحيد الإلهية، والقيام به ظاهرًا وباطنًا، ولهذا كان الرّسل - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - يطالبون أممهم بذلك، ويحتجون عليهم بما يعترفون به من توحيد الربوبية، كما قال تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [سورة الأنعام: ١٠٢] ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضُرِّيَّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِيَّ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة الزمر: ٣٨] (١).

وقال ابن كثير في تفسيره: " ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ فذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ أَلْحَقُ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصَرِّفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: ٣١-٣٣].

يحتج تعالى على المشركين باعترافهم بربوبيته على وحدانيته جل في علاه فقال: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: من ذا الذي ينزل من السماء ماء المطر، فيشق الأرض شقاً بقدرته ومشيتته، فيخرج منها النبات، قال سبحانه ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾﴾ [سورة عبس: ٢٧-٣٠] أله مع الله؟ فسيقولون: الله، مثل قوله ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الملك: ٢١] وكذلك قوله: ﴿أَمَّنْ

(١) انظر: بيان حقيقة التوحيد الذي جاءت به الرسل ودحض الشبهات التي أثبتت حوله؛ للشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان (١٠-١١).

يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ ﴿ [سورة يونس: ٣١] أي: الذي وهبكم هذه القوة السامعة، والقوة الباصرة، ولو شاء لذهب بها ولسلبكم إياها، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [سورة الملك: ٢٣].

وقال: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظِرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْذِفُونَ ﴾ [سورة الأنعام: ٤٦].

وقوله: ﴿ وَمَنْ يُخْرِجِ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجِ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ أي: بقدرته العظيمة، ومنته العميمة، وقوله: ﴿ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ﴾ أي: من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه، وهو المتصرف الحاكم الذي لا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [سورة الرحمن: ٢٩].

فالملك كله العلوي والسفلي، وما فيهما من ملائكة وإنس وجان، فقرون إليه، عبيد له، خاضعون لديه، ﴿ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾ أي: هم يعلمون ذلك ويعترفون به ﴿ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ أي: أفلا تخافون منه أن تعبدوا معه غيره بآرائكم وجهلكم.

وقوله: ﴿ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَإِنِّي تُصَرِّفُونَ ﴾ [سورة يونس: ٣٢] أي: فهذا الذي اعترفتم بأنه فاعل ذلك كله هو ربكم وإلهكم الحق الذي يستحق أن يفرد بالعبادة ﴿ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ﴾ أي: فكل معبود سواه باطل، لا إله إلا هو، وحده لا شريك له " (١).

وقال جل في علاه: ﴿ قُلْ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَقَّعُكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [١٣] وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/٢٦٦-٢٦٧).

لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٦﴾ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٧﴾ [سورة يونس: ١٠٤-١٠٧].

" ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ وهذا وصف لكل مخلوق، أنه لا ينفع ولا يضر، وإنما النافع الضار هو الله تعالى.

﴿ فَإِنْ فَعَلْتَ ﴾ بأن دعوت من دون الله، ما لا ينفعك ولا يضرُك ﴿ فَإِنَّكَ إِذَا مَنَّ الظَّالِمِينَ ﴾ أي: الضارين أنفسهم بإهلاكها، وهذا الظلم هو الشرك كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ فإذا كان خير الخلق، لو دعا مع الله غيره، لكان من الظالمين المشركين فكيف بغيره، هذا من أعظم الأدلة على أن الله وحده المستحق للعبادة، فإنه النافع الضار، المعطي المانع، الذي إذا مسّ بضر كفقر ومرض ونحوهما ﴿ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ﴾ لأن الخلق لو اجتمعوا على أن ينفعوا بشيء لم ينفعوا إلا بما كتبه الله، ولو اجتمعوا على أن يضرّوا أحداً لم يقدروا على شيء من ضرره إذا لم يردّه الله، ولهذا قال: ﴿ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ﴾ أي: لا يقدر أحد من الخلق، أن يرد فضله وإحسانه، كما قال تعالى: ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [سورة فاطر: ٢] ﴿ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ [يونس: ١٠٧] أي: يختص برحمته من شاء من خلقه، والله ذو الفضل العظيم، ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ ﴾ لجميع الزلات، الذي يوفق عبده لأسباب مغفرته، ثم إذا فعلها العبد، غفر الله ذنوبه، كبارها وصغارها، ﴿ الرَّحِيمُ ﴾ الذي وسعت رحمته كل شيء، ووصل جوده إلى جميع الموجودات، بحيث لا تستغنى عن إحسانه، طرفة عين، فإذا عرف العبد

بالدليل القاطع أن الله هو المنفرد بالنعمة وكشف النقم، وإعطاء الحسنات، وكشف السيئات والكربات، وأن أحداً من الخلق ليس بيده من هذا شيء إلا ما أجراه الله على يده، جزم بأن الله هو الحق، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل.

ولهذا لما بين الدليل الواضح قال بعده: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ [سورة يونس: ١٠٨] ^(١).

(١) انظر: تفسير السعدي (١/٣٧٥).

المبحث السادس

براءة من عبْد من دون الله يوم القيامة ممن أشرك به

من الآيات التي تبين ذلك بجلاء لكل ذي عقل ولُب، قول ربنا ﷺ:

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَْلَمُ الْغُيُوبِ ﴿١٣١﴾﴾ [سورة المائدة: ١١٦].

قال الشيخ السعدي: وهذا توبيخ للنصارى الذين قالوا: إن الله ثالث ثلاثة، فيقول الله هذا الكلام لعيسى. فيتبرأ عيسى ويقول: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ عن هذا الكلام القبيح، وعمّا لا يليق بك.

﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ﴾ أي: ما ينبغي لي، ولا يليق أن أقول شيئاً ليس من أوصافي ولا من حقوقي، فإنه ليس أحد من المخلوقين، لا الملائكة المقربون ولا الأنبياء المرسلون ولا غيرهم له حق ولا استحقاق لمقام الإلهية وإنما الجميع عباد، مدبرون، وخلق مسخرون، وفقراء عاجزون ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ فأنت أعلم بما صدر مني و﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَْلَمُ الْغُيُوبِ﴾ وهذا من كمال أدب المسيح في خطابه لربه، فلم يقل: «لم أقل شيئاً من ذلك» وإنما أخبر بكلام ينفي عن نفسه أن يقول كل مقالة تنافي منصبه الشريف، وأن هذا من الأمور المحالة، ونزه ربه عن ذلك أتم تنزيهه، ورد العلم إلى عالم الغيب والشهادة.

ثم صرح بذكر ما أمر به بني إسرائيل، فقال: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ فأنا عبد متبع لأمرك، لا متجرئ على عظمتك، ﴿أَنْ اْعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ أي: ما أمرهم إلا بعبادة الله وحده وإخلاص الدين له، المتضمن للنهي عن اتخاذي وأمي إلهين من دون الله، وبيان أنني عبد مريبوب، فكما أنه ربكم فهو ربي.

﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ أشهد على من قام بهذا الأمر، ممن لم يقم به. ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: المطلع على سرائرهم وضمائرهم. ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ علما وسمعا وبصرا، فعلمك قد أحاط بالمعلومات، وسمعك بالمسموعات، وبصرك بالمبصرات، فأنت الذي تجازي عبادك بما تعلمه فيهم من خير وشر^(١).

وقوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾^(٥٦) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾^(٥٧) [سورة الإسراء: ٥٦-٥٧].

" قال جمهور المفسرين: إن هذه الآية نزلت في قوم كانوا يعبدون المسيح وأُمَّه وعُزَيْرًا، فبين الله سبحانه أن هؤلاء الذين تدعوهم هم عبادي يدعوني، وهم فقراء إليّ يدعوني، ويتقربون إليّ بالطاعة، فهم عباد من عبادي، والعبد لا يصلح أن يكون معبوداً، وليس هناك في السموات والأرض إلا من هو عبد لله: ﴿إِنْ كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾^(٩٦) [سورة مريم: ٩٣]، ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [سورة النساء: ١٧٢] فكل الخلق، كل سكان السموات والأرض كلهم عباد لله، فلا يصلح أن يُعبدوا من دون الله ﷻ، ولذلك قال الله في الآية التي قبلها: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ هذا تعجيز للمشركين، وتعجيز لألهتهم التي يعبدونها من دون الله، ﴿قُلِ ادْعُوا﴾ هذا أمر تهديد ووعيد "الذين زعمتم" والزعم مَطِيَّةُ الكذب، الزعم يُطلق على الأمر الذي لا حقيقة له، ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أنهم ينفعون أو يضرّون من دون الله ﷻ ﴿مِّنْ دُونِهِ﴾ يعني: غير الله ﷻ ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ إذا نزل بكم مرض فإن كل هؤلاء الذين تدعوهم من دون الله - بما فيهم الملائكة والأنبياء والصالحون والأولياء - كلهم لا يملكون كشف الضر، إذا أنزل الله ضرّاً بعبد فلن يستطيع أحد رفعه إلا الله

(١) انظر: تفسير السعدي (١/٢٤٩).

ﷺ، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة الزمر: ٣٨].

وبذلك تبطل عبادة هؤلاء، وفي قوله ﴿وَلَا تَحْوِيلًا﴾ أي: نقله من محل إلى محل، لا يملكون نقل المرض من عضو إلى عضو، إذا أنزله الله بالرأس فلا يستطيع كل الخلق أو الأطباء المهرة أن يحولوا وجع الرأس إلى اليد، أو وجع اليد إلى الرجل، أبداً، وكذلك لا يستطيعون أن يحولوه من شخص إلى شخص، ويصبح المنقول عنه بريئاً صحيحاً، أو ينقلون المرض من بلد إلى بلد، لا يستطيعون هذا، وإنما هذا تقدير العزيز العليم، هو الذي يقدر على كشف الضر ورفعه نهائياً، ويقدر على تحويله من محل إلى محل إذا شاء ﷻ.

وهذا من التحديات التي يتحدى الله بها المشركين، ولن يجيبوا عنها إلى أن تقوم الساعة، فدلّ على انقطاع حجتهم.

لا أحد قال: بلى آلهتنا تستطيع كشف الضر، أو تستطيع تحويل الضر، ما أحد قال هذا، فدلّ على انقطاع حجتهم وانخصامهم، وعاد الأمر لله ﷻ.

ثم بيّن ﷺ أن هؤلاء الذين تدعونهم من دون الله أنهم عباد لله، هم بأنفسهم يدعون الله ﷻ؛ يرجون رحمته، ويخافون عذابه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [سورة الإسراء: ٥٧]، فالملائكة وعيسى عليه السلام وأمه، وعزير وكل الصالحين، والأولياء بهذه المثابة، كلهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة.

والوسيلة معناها في الأصل السبب الذي يوصل إلى المقصود، فالسبب الذي يوصل إلى المقصود يسمى: وسيلة.

وأما معناها هنا: فالوسيلة: الطاعة والقرب، فالملائكة - عليهم الصلاة والسلام -، وعيسى عليه الصلاة والسلام، وعزير عليه السلام، والأولياء والصالحون كلهم يتقربون إلى الله بالطاعة، يعبدون

الله، يعبدون الله لأجل أي شيء؟ ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ كل واحد يرجو أن يكون أقرب إلى الله ﷻ، يتقربون إليه بطاعته ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ ﴿فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُمْ عِبَادُ فَقَرَاءٍ إِلَى اللَّهِ ﷻ﴾، يرجون رحمة الله لأنهم بحاجة إليها، ويخافون عذاب الله أن ينزل بهم، إذا هم لا يستطيعون أن يجلبوا لأنفسهم النفع، ولا يستطيعون أن يدفعوا عنها الضرر، فكيف يملكون ذلك لكم يا من تعبدونهم؟! " (١).

" ومن المعلوم عند جميع العقلاء: أن كل ما عُبدَ من دون الله من الآلهة ضعيف من كل الوجوه، وعاجز ومخدول، وهذه الآلهة لا تملك لنفسها ولا لغيرها شيئاً من ضرر أو نفع، أو حياة أو موت، أو إعطاء أو منع، أو خفض أو رفع، أو عزّ أو ذلّ، وأنها لا تتصف بأي صفة من الصفات التي يتصف بها الإله الحق، فكيف يُعبد من هذه حاله؟ وكيف يُرجى أو يُخاف من هذه صفاته؟ وكيف يُسأل من لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم شيئاً.

وقد بيّن الله - ﷻ - ضعف وعجز كل ما عبد من دونه في أكمل بيان، فقال سبحانه: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة المائدة: ٧٦].

وقال: ﴿إِشْرَكُوا مَا لَا يُخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَالِمُونَ﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظِرُونَ﴾ ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا

(١) انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد؛ لصالح الفوزان (١/١٢٤-١٢٥) الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الطبعة الثالثة، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م.

أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ [سورة الأعراف: ١٩١-١٩٨].

وقال سبحانه: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ ﴿٢﴾ [سورة الفرقان: ٣].
وقد أوضح وبين سبحانه: أن ما عُبدَ من دونه قد توافرت فيهم جميع أسباب العجز وعدم إجابة الدعاء من كل وجه؛ فإنهم لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض لا على وجه الاستقلال، ولا على وجه الاشتراك، وليس لله من هذه المعبودات من ظهير يساعده على ملكه وتدبيره، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له قال - ﷺ -:

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ وَحَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ ﴿٢٣﴾ [سورة سبأ: ٢٢-٢٣] (١).
وفي بيان براءة من عُبدَ من دون الله يوم القيامة ممن أشرك به يقول سبحانه: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ ﴿١٤﴾ * يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ﴿١٦﴾ [سورة فاطر: ١٤-١٦].

وفي الآيات بيان فقر المخلوقين إلى الله وأن بعضهم لا يملك النفع ولا يدفع الضر عن بعض، بل إن من عُبدَ يتبرأ ويكفر بمن عبده في الدنيا من دون الله تعالى، فإيا خسارة من أشرك، وإيا نجاة وفلاح الموحدين في جنات النعيم.

(١) انظر: عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة؛ لسعيد بن علي القحطاني (١/١٠٥-١٠٧).

بل أكثر من ذلك، إن من عبدوهم من دون الله يكونون لهم أعداء يوم القيامة، قال الله تعالى في سورة يس: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ﴾ (٧٤) لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحَضَّرُونَ ﴿٧٥﴾ [سورة يس: ٧٤-٧٥].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: "﴿وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحَضَّرُونَ﴾ أي: محضرون هم وهم في العذاب، ومتبرئ بعضهم من بعض، أفلا تبرأوا في الدنيا من عبادة هؤلاء، وأخلصوا العبادة للذي بيده الملك والنفع والضرر، والعطاء والمنع، وهو الولي النصير" (١).

وأختم المبحث بهذه الآيات الواضحات البينات، التي لا تحتاج إلى شرح وتفسير، وفيها أوضح الدلالة على براءة بل وعداوة من عبد من دون الله في الدنيا ممن عبدوهم يوم القيامة: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَتُنَادِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٦) وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ ﴿٧﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٨﴾ [سورة الأحقاف: ٤-٦].

(١) انظر: تفسير السعدي (ص ٦٩٩).

الباب الثاني

التحصين الفكري في القرآن الكريم من الإلهام،

وفيه فصلان:

الفصل الأول: تحذير القرآن الكريم من الإلحاد وبيان سوء عاقبة

الملحدين، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أساليب القرآن الكريم في التحذير من الإلحاد.

المبحث الثاني: تدمير الله تعالى للأمور ورجوعها إليه سبحانه.

المبحث الثالث: سوء عاقبة الملحدين في الدنيا والآخرة.

المبحث الأول: أساليب القرآن في التحذير من الإلحاد:

إن أعظم ما يشفي من الإلحاد وشبهه تدبر القرآن الكريم، وتلاوة آياته، والاستمرار على ذلك، كما أن التعلق بهذا الكتاب العظيم تدبراً وعلماً وعملاً؛ كفيلاً بطرد كل شبهة قد تعلق بقلب المؤمن، وهنا سأورد بعضاً من آيات كتاب ربنا الشافية بإذن الله، مع العلم أن القرآن الكريم كله شفاء كما قال ربنا ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا هٰدًى وَّشِفَاءً﴾ [سورة فصلت: ٤٤].

وأقول: إن من أساليب القرآن في دحض شبه الملحدين إيراد الأسئلة والاستفهامات الاستنكارية، لعل القلوب والعقول تُفَيِّق من ضلالها وسباتها فترى الحق الواضح كما ترى العين شمس النهار، وفي سورة الطور مثال واضح على ذلك، فنرى في السورة استفهاماتٍ تتابعت في آيات كريمة حتى كادت القلوب أن تطير من جلالها وعظيم هداياتها^(١)، حتى جاءت هذه الآية العظيمة الدامغة لحجج الملحدين، الفاضحة لضلالهم، والكاشفة لبُطلان شبهاتهم، وهي محل الشاهد، يقول الله ﷻ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [سورة الطور: ٣٥].

هذا استفهام استنكاري لكل من أُلْحِد وأنكر وجود الخالق جل في علاه، هل لديكم إجابة على هذا التساؤل العظيم، فهل خُلِقتُم من غير شيء؟ أم خلقتُم أنفسكم؟ فإن كان الجواب: لا في الحالين، فليس إلا جواب واحد وهو أن الله تعالى هو خالقنا جميعاً وموجدنا من العدم، فيا من يرى أن وجودنا صدفة أو أن أصلنا قردة أما آن الأوان لتسمع نداء قلبك الذي خُلِق

على الفطرة السليمة فتؤمن بالله جلّ في علاه.

(١) روى البخاري بسنده عن جبير بن مطعم قال: «سمعت النبي يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ ٣٥ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ ٣٦ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّطُونَ﴾ ٣٧ [الطور: ٣٥-٣٧] كاد قلبي أن يطير» كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب﴾ برقم (٤٨٥٤).

ويا أتباع داروين ^(١) يا من تأثر بهذه النظرية الفاسدة أو غيرها من نظريات الإلحاد الضالة، ما مثلنا ومثلكم، إلا كرجلين، قال الأول للثاني، أبي وأبوك رجل مثلنا، قال الثاني: لا، أبي قرد، قال الأول: أبوك إنسان خلقه الله من تراب ونفخ فيه من روحه، قال: لا، أبي قرد كهذه القرد في حديقة الحيوان لنا نفس الجينات، قال الأول: اتق الله أبوك وأبي إنسان كرمه الله وفضله وحمله في البر والبحر ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [سورة الإسراء: ٧٠].

فبالله قولوا: من العاقل منهم ومن الجاهل، نسأل الله العافية، ثم من يحتج بهذه النظرية الضالة الفاسدة على عدم وجود الخالق ﷻ، نقول ألم يسأل هذا نفسه إذ أصر أن يكون أبوه قرد؛ من الذي خلق القرد الأول؟!، أو الكائن الأول؟!، وصدق ربنا جل في علاه: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [سورة الفرقان: ٤٤].

ولا زالت الأسئلة تتوالى منكرةً على الملحددين جحودهم، موقظةً لنور الفطرة في قلوبهم، وهذه المرة يُذكرهم سبحانه بالخلق الأول، وأن في ذلك دلالة على الخلق الثاني لو كانوا يعقلون أو يتذكرون، يقول الله تعالى في سورة الواقعة: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ ^(٥٧) أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ^(٥٨) ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ^(٥٩) نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ^(٦٠) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْمَلُونَ ^(٦١) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ^(٦٢) [سورة الواقعة: ٥٧-٦٢].

(١) تنتسب الحركة الفكرية الداروينية إلى الباحث الإنجليزي شارلز داروين الذي نشر كتابه أصل الأنواع سنة ١٨٥٩م الذي طرح فيه نظريته في النشوء والارتقاء مما زعزع القيم الدينية، وترك آثاراً سلبية على الفكر العالمي، وقد ناقش فيه نظريته في النشوء والارتقاء معتبراً أصل الحياة خلية كانت في مستنقع آسن قبل ملايين السنين. وقد تطورت هذه الخلية ومرت بمراحل منها، مرحلة القرد، انتهاء بالإنسان، وهو بذلك ينسف الفكرة الدينية التي تجعل الإنسان منتسباً إلى آدم وحواء ابتداءً. أنظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠ هـ، (٢/٩٢٥).

قال ابن كثير: "فقوله تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾، تقرير من الله تعالى للمعاد، وتكذيب لأهل الزَّيغ والإلحاد، الذين استبعدوا البعث بقولهم: ﴿قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ٨٢]، ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ﴾ أي: نحن ابتدأنا خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً، أفليس الذي قدر على البدأة بقادر على الإعادة بطريق الأولى والأخرى، فلهذا قال: ﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾، أي: فهلا تُصَدِّقُونَ بالبعث "(١)".

وقال الشنقيطي صاحب الأضواء: "وهذا البرهان على البعث بدلالة الخلق الأول على الخلق الثاني - جاء موضحاً في آيات كثيرة جداً كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [سورة الروم: ٢٧] وقوله: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ١٠٤] وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ﴾ [سورة الحج: ٥]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [سورة يس: ٧٩] قوله تعالى: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [سورة الإسراء: ٥١] والآيات بمثل هذا كثيرة معلومة"(٢).

ومن الأساليب أيضاً الاستدلال بقدرة الله على كل شيء، فالذي خلقكم من نطفة قادر على أن يعيدكم كما بدأكم، وهو القادر على تسوية بنانكم وأطرافكم، فلا يعجزه شيء أرادته، وهو القاهر فوق عباده، وهو العليم القدير، الحكيم الخبير، ثم يأتي ختام الآيات المعجز، ولا زالت تتوالى الأسئلة العظيمة ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [سورة القيامة: ٤٠]. بلى والله إنه على كل شيء قدير.

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢٧/٨).

(٢) انظر: أضواء البيان للشيخ الشنقيطي (٥٢٧/٧).

قال الله ﷻ في سورة القيامة: ﴿يُحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعُ عِظَامَهُ ۚ﴾ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ ﴿سورة القيامة: ٣-٨﴾.

وفي آخرها قال تعالى: ﴿يُحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ يُتْرِكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِّنْ مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يُمْحِيَ الْمَوْتِ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة القيامة: ٣٦-٤٠].

قال أهل التفسير: "يُحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعُ عِظَامَهُ عَلَيْهِ، بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ، أي بلى قادرين على تسوية بنانه التي هي أطراف خلقتها وتماها، على صغرها ولطافتها، وضم بعضها إلى بعض، فكيف بكبار العظام؟" (١).

وفي قوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ المعنى -والله أعلم- بل يريد الإنسان أن يستمر على فجوره ولا يتوب، فلذا أنكر البعث، فأثر اعتناق الهوى على اتباع الهدى، حتى أظلم القلب وانفرط الأمر، وضاعت الدنيا قبل الآخرة، فالملحد من أظلم الناس قلباً، وأضيقهم صدرًا، وإن أبدى للناس غير ذلك ﴿وَلَا تُطْعَمَنَ أَعْفُلَنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [سورة الكهف: ٢٨].

وقد جاء في محاسن التأويل (٢): "أي ليدوم على الفجور بالميل إلى اللذات البدنية، والشهوات البهيمية، غارزاً رأسه فيها، فيما بين يده من الزمان الحاضر والمستقبل، فيغفل عن القيامة لقصور نظره عنها، وكونه مقصوراً على اللذات العاجلة، وفرط تهالكه عليها، واحتجابه بها عن الآجلة، سائلاً عنها، متعنتاً مستبعداً إياها، كما قال سبحانه:

(١) انظر: تفسير محاسن التأويل؛ لحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الخلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢ هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ (٣٦٢/٩).
(٢) هو: عبدالرزاق جمال الدين بن أحمد كمال الدين ابن أبي الغنائم الكاشاني أو القاشاني، مفسر، له من المؤلفات: السراج الوهاج في التفسير، وشرح منازل السائرين للهرودي، توفي ٧٣٠ هـ، انظر: الأعلام (٣/٣٥٠)، معجم المفسرين (٢٨١/١).

﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۖ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۖ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۖ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۖ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ إِنَّنِ الْمَفْرُ ۖ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝﴾ [سورة القيامة: ٦-١١].

ومن أساليب القرآن في التحذير من الإلحاد نفي العبث عن الخلق، وأن هذا الخلق العظيم من السموات وما فيها من المجرات والكواكب والشهب، والأرض وما عليها من الجبال والأنهار وأصناف الحيوانات وغير ذلك مما خلقه الله فيهما، كل ذلك لم يُخلق عبثاً، وإنما خلق بالحق وللحق، يقول الله تعالى في سورة المؤمنون: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝﴾ [سورة المؤمنون: ١١٥] قال الشيخ الفوزان: "تعالى الله عن ذلك أن يكون خلق هذا الخلق ويتركهم يموتون ولا يصير لأعمالهم نتيجة، ولا يتميز المؤمن من الكافر، بل ربما يكون الكافر منعماً في هذه الدنيا وهو على المعاصي والكفر، ويكون المؤمن مضيقاً عليه في هذه الدنيا ولا ينال من جزائه شيئاً، هذا يلزم فيه الطعن في عدالة الله - ﷻ - ويلزم عليه أنه خلق الخلق عبثاً لا نتيجة لأعمالهم، فهذا من الطعن في حكمة الله - ﷻ - وفي عدل الله ﷻ، فهذا من أدلة البعث ذكرها الله في القرآن الكريم في مواضع متعددة، فالإيمان بالبعث ركن من أركان الإيمان الستة، تكرر ذكره في القرآن الكريم" (١).

" وكيف تقتضي حكمة الخالق الذي أبدع الإنسان من العدم والمصور له في الأرحام، من نقله من النطفة إلى العلقة، ثم إلى المضغة، ثم شق سمعه وبصره، وركب فيه الحواس والقوى، والعظام والمنافع، والأعصاب والرباطات التي هي أشده، وأحكم خلقه غاية الأحكام، وأخرجه على هذا الشكل والصورة، التي هي أتم الصور وأحسن الأشكال - كيف يعجز عن إعادته وإنشائه مرة ثانية؟ أم كيف تقتضي حكمته وعنايته أن يتركه سدى؟ فلا يليق ذلك بحكمته، ولا تعجز عنه قدرته" (٢).

(١) انظر: المرجع السابق (ص ٦٨).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية؛ لمحمد بن أبي العز الحنفي (ص ٤٠٨) (المتوفى: ٧٩٢ هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

"فلو لم يكن هناك بعث لصار الخلق عبثاً، والله سبحانه منزّه عن العبث" (١).

لذلك توعدّ الله تعالى من زعم ذلك بالنار، كما جاء في قوله تعالى في سورة ص: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [سورة ص: ٢٧]

قال الشيخ الحكمي (٢) في معارج القبول: "يخبر تعالى أنه ما خلق الخلق عبثاً وإنما خلقهم ليعبدوه ويوحّدوه ثم يجمعهم ليوم الجمع فيثيب المطيع ويعذب الكافر، وليس الأمر كما يظنه الذين كفروا الذين لا يرون عبثاً ولا معاداً وإنما يعتقدون هذه الدار فقط ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ أي: ويل لهم يوم معادهم ونشورهم من النار المعدة لهم، ثم بين تعالى أنه ﷻ من عدله وحكمته لا يساوي بين المؤمنين والكافرين فقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [سورة ص: ٢٨].

أي: لا نفع لك ولا يستوون عند الله، وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من دار أخرى يثاب فيها هذا المتقي ويعاقب فيها هذا الفاجر" (٣).

لذلك كان أهل التقوى وأولوا الألباب من أعظم الناس إيماناً بالله والدار الآخرة، قال الله عنهم: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَاتِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [سورة ص: ٧] يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [سورة الشورى: ١٧-١٨].

(١) انظر: شرح عقيدة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب؛ للشيخ صالح الفوزان (ص ٢٠).

(٢) هو: حافظ بن أحمد حكمي، ولد سنة ١٣٤٢هـ، تتلمذ على الداعية عبد الله القرعاوي، وغيره، ولي التدريس في معهد صامطة العلمي، من مؤلفاته: معارج القبول شرح نظم سلم الوصول، وأعلام السنة المنشورة، ومنظومة اللؤلؤ المكنون في أحوال الأسانيد والمتون، والسبل السوية لفقه السنن المروية، وغيرها، توفي سنة ١٣٧٧هـ وله من العمر ٣٥ عاماً، انظر: فرجة النظر في تراجم رجال من بعد القرن الثالث عشر (١/١٩٦-٢٠١).

(٣) انظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول؛ لحافظ بن أحمد بن علي الحكمي (٨٠/١) (المتوفى: ١٣٧٧هـ)، المحقق: عمر بن محمود أبو عمر، الناشر: دار ابن القيم - الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

ولما تفكر أصحاب العقول الراجحة في المخلوقات العظيمة من حولهم علموا يقيناً أنها لم تُخلق عبثاً، وأنها خُلقت بالحق، فزادهم ذلك يقين بأن الساعة آتية لا ريب فيها، فخافوا – والله أعلم – من ظن أولئك الكفرة وما توعدهم الله به في قوله: ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ فكان أول ما سألوا ربهم أن يقيهم عذاب النار، كما قال سبحانه في أواخر سورة آل عمران: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝﴾ [سورة آل عمران: ١٩٠-١٩١].

فالحمد لله الذي هدانا للإيمان به واليقين ببلقائه، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، ونسأل الثبات على ما يرضيه حتى نلقاه.

المبحث الثاني: تدبير الله تعالى للأمر ورجوعها إليه سبحانه:

من أعظم البراهين على وجود الله ﷻ ووحدانيته هذا الإتقان العجيب في الخلق من حولنا، تأمل في اختلاف الليل والنهار، في ثبات الجبال واضطراب أمواج البحار، في امتداد السهول وتنوع ألوان الثمار، في الأشجار والأزهار، في النجوم في أفلاكها، والكواكب في مداراتها، والحيوان على تعدد ألوانه وأشكاله، بل في بني الإنسان واختلاف ألسنتهم وألوانهم، كل ذلك خلق بدقة متناهية وإعجاز متقن لا يقدر عليه إلا الخالق جلّ في علاه، ووالله إن جميع المخلوقات التي خلقها الله في الكون من حولنا -وهي تسبح بحمده وتسجد لوجهه- لرسائل تحذير للملحدين أنهم يسيرون إلى الهاوية، ورسائل اطمئنان للمؤمنين بأنهم على طريق الحق يسبحون الله تعالى مع هذا الموكب المهيب من الخلق:

"تَأْمَلْ سُطُورَ الْكَائِنَاتِ فَإِنَّهَا ... مِنَ الْمَلِكِ الْأَعْلَى إِلَيْكَ رَسَائِلُ

وقد حُطَّ فِيهَا لَوْ تَأْمَلْتَ حَطَّهَا ... أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَاخِلًا لِلَّهِ بَاطِلٌ" (١).

يقول الله جل في علاه في سورة فصلت: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي بِنَافِثَةٍ أَوْ مِمَّا يَنْفَرُونَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَكَاثِبُونَ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِمُ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَا

(١) البيتان لركن الدين ابن القويّ المالكي؛ محمد بن محمد بن عبد الرحمن الجعفري التونسي (ت: ٧٣٨ هـ) شيخ الديار المصرية والشامية، انظر: أعيان العصر (١٦٣/٥)، والدرر الكامنة (١٨٣/٤).

يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ [سورة فصلت: ٣٧-٤٣].

"فهذه الآيات الكريمة، استدلت بها القرآن الكريم على بعث الموتى من قبورهم، وذلك أنَّ الله تعالى ينزل الأمطار على الأرض المجدبة القاحلة، فتتحيا بعد أن كانت ميتة هامدة، وتثمر وتربو وتنبت من أصناف النباتات المختلفة، وكذلك الأموات يخرجون كما تخرج هذه النباتات من الأرض الميتة، إذ أنَّ القادر على هذا قادر على ذلك، ولو كانت إعادة الحياة إلى الإنسان مستحيلة، لما عادت الحياة إلى النباتات بعد موتها؛ لأنَّ المشاهدة واضحة، ولقد لفت القرآن الكريم أنظار المنكرين للبعث إلى التأمل والتبصر في المخلوقات المحسوسة والمشاهدة، لأخذ العبرة منها، ليعود للنفوس إيمانها فتشعر بالاستقرار والطمأنينة" (١).

"وكذلك الله - ﷻ - احتج بأنه يحيي الأرض بعد موتها، فأنت تمر على الأرض هامدة ليس فيها شيء، جرداء بيضاء ليس فيها أي عود أو أي ورقة، فينزل عليها الغيث، ثم تربو وتتفتح طبقتها، ثم تتفتح عن النبات، ثم بعد فترة وجيزة تصبح روضة خضراء فيها من أنواع النباتات والزهور والثمار، وكانت في الأول جرداء يابسة، من الذي أعادها وأحيها؟ الذي قدر على إحياء الأرض قادر على إحياء الأجسام ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة فصلت: ٣٩] الذي يحيي الأرض بعد موتها قادر على إحياء الأموات بعد موتهم وإعادتهم كما كانوا، ثم هذه الحبة اليابسة إذا سقاها الله بالماء انفرجت عن عروق وعن ورق وعن سيقان، ثم في النهاية يكون لها سنابل وتثمر، وهي في الأول حبة يابسة أخرج الله منها هذا النبات العجيب ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدْرِ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتِ﴾ [سورة القيامة: ٤٠] فالنطفة مثل البذرة، نطفة من الماء يخلط فيها

(١) انظر: منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام؛ للدكتور: حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي (٢/٦٠٤) الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

ماء الرجل وماء المرأة، ثم تتحول إلى علقة: أي إلى دم، ثم يتحول الدم إلى مضغة، أي قطعة لحم، ثم تتحول قطعة اللحم إلى أعضاء وعروق وسمع وبصر وحواس، ثم تُنفخ فيه الروح ثم يحيى، فالذي قدر على تحويل هذه النطفة من ماء الأمشاج - يعني: المختلط من ماء الذكر وماء الأنثى - إلى إنسان، قادر على إحيائه بعد موته^(١).

لذلك استدل الله تعالى في كتابه الكريم بتدبيره لأطوار الخلق في الأرحام على الرجوع إليه يوم البعث والقيام، وأن الساعة حق وأنه سبحانه على كل شيء قدير، قال الله ﷻ في سورة الحج: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يَتُوفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [سورة الحج: ٥-٧].

ومن عدل الله وحكمته، وفضله ورحمته، أنه خلق الإنسان وهداه سبيل الحق وحرّده طريق الباطل، فأرسل الرسل وأنزل الكتب، وسخر له المخلوقات العظيمة، ودبر الأمور ليبتلّيه ويختبره في الدنيا، ثم لتظهر النتائج في يوم القيامة المهيب، فيثاب المحسن ويُعاقب المسيء " فلو لم يكن هناك بعث وحساب وجزاء للزم العبث في حق الله - ﷻ - وأنه يخلق الخلق للفناء فقط، وليس لحياتهم وأعمالهم نتيجة، فالله خلقهم وأوجدهم واعتنى بهم، وهم يعملون، ومنهم من يعمل أعمالاً صالحة، ويموت ولا ينال من جزائها شيئاً، ومنهم من يعمل أعمالاً قبيحة، ومعاصي، وكفرًا، وإلحاداً، ويموت ولا ينال من جزائها شيئاً، هل ينتهي عند هذا؟ الجواب: لا،

(١) انظر: شرح عقيدة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب؛ لصالح الفوزان (ص ٦٦-٦٧).

هذا فيه طعن في عدل الله - ﷻ -: ﴿فَجَعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ۝۳۵ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝۳۶﴾ [سورة القلم: ٣٥-٣٦].

الله تعالى لا يجعل المسلمين كالمجرمين كلهم يموتون ولا ينالون من جزاء أعمالهم شيئاً ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ۝۲۷﴾ أم نجعل الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أم نجعل الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ۝۲۸﴾ [سورة ص: ٢٧-٢٨].^(١)

ويستمر القرآن الكريم في بيان تدبير الله تعالى للخلق، وأن المصير إليه يوم القيامة " حيث يقول ربنا ﷻ في سورة ق: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۝۱ بَلْ عَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝۲ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۝۳ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ ۝۴ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ۝۵ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ۝۶﴾ [سورة ق: ١-٦] إلى أن يقول ربنا - ﷻ -: ﴿وَالْتَخَلَّ بِاسْقَاتِ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ۝۱۰ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ۝۱۱﴾ [سورة ق: ١٠-١١].

ففرى أنه - ﷻ - يسوق كلام المشركين وتعجبهم في موقف الإنكار، حين قالوا: ﴿هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝۲﴾ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿فَظَنُّوا أَنْ هَذَا مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَا يُصَدِّقُهَا عَقْلٌ، ولكن الله القوي القادر القاهر قال: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ فكل ذرة من ذرات هذا الجسد، ذهب في ذرات التراب، الله - ﷻ - يعلمها، وسوف يجمعها ليعيد بناء الإنسان من جديد ليُحْشَر ويُحَاسَب، ثم لفت القرآن أنظارهم إلى قدرة الله في هذا الوجود، فيما فوقهم من السماء، وكيف بناها الله وكيف زينها بقدرته وما لها من فروع، وفي الأرض تحت أقدامهم التي يسيرون عليها، وما فيها من جبال راسيات، وما فيها من نبات، تبصرة

(١) انظر: شرح عقيدة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب؛ لصالح الفوزان (ص ٦٦-٦٧).

وذكرى لكل عبد منيب، وفي هذه الأمطار التي تنزل من السماء ماء مباركاً، فيحيي الله بها الأرض بعد موتها، فما أعظمها والله من آيات: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ۝ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ۝ ﴾ [ق: ٩-١١]

فالذي قدر على ذلك قادر على بعث خلقه، فهل يعقل ذلك هؤلاء الكافرون الجاحدون؟! إنها مناهج في الدعوة، يتعلمها الدعاة ليصلوا إلى إقناع العقول والقلوب ^(١).

ويقول الله جل في علاه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ ﴾ [سورة غافر: ٥٦-٥٧] ثم قال بعدها: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ ﴾ [سورة غافر: ٥٩].

" أي: إن في النظر إلى خلق السماء والأرض لدلالة لكل عبد فطن لبيب رجاء إلى الله، على قدرة الله على بعث الأجساد ووقوع المعاد؛ لأن من قدر على خلق هذه السماوات في ارتفاعها واتساعها، وهذه الأرضين في انخفاضها وأطوالها وأعراضها، إنه لقادر على إعادة الأجسام ونشر الرميم من العظام، كما قال تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ۝ ﴾ [سورة يس: ٨١] ^(٢).

ويقول سبحانه: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۝ ﴾ [سورة الأحقاف: ٣٣-٣٤].

(١) انظر: التفسير الموضوعي (ص ٤١٤) - بتصرف.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٤٩٦/٦).

قال الشيخ الشنقيطي: "بَيِّنَ ﷺ في هذه الآية الكريمة: أَنَّ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مع عظمهما قادر على بعث الإنسان بلا شك؛ لأنَّ مَنْ خَلَقَ الْأَعْظَمَ الْأَكْبَرُ فهو على خلق الأصغر قادر بلا شك، وأوضح هذا المعنى في مواضع أخر كقوله: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة غافر: ٥٧] أي من قدر على خلق الأكبر فهو قادر على خلق أصغر، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ بِقَدْرِ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣] وقوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتُمْ أُشْدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بِذَهَبٍ﴾ [٢٧] رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَعَا لَكُمْ وَلَا تُعْمِكُمْ﴾ [سورة النازعات: ٢٧-٣٣] "(١)".

قال ابن القيم: "أي من لم تعجز قدرته عَنْ خَلْقِ الْعَالَمِ الْعُلَوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ كَيْفَ يَعْجُزُ عَنْ خَلْقِ النَّاسِ خَلْقًا جَدِيدًا بَعْدَ مَا أَمَاتَهُمْ"، ثم قال ﷺ: "فَلَا رَيْبَ أَنَّ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ أَعْظَمِ الْأَدِلَّةِ عَلَى وَجُودِ فَاطِرِهِمَا، وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ وَحُكْمَتِهِ وَانْفِرَادِهِ بِالرَّبُوبِيَّةِ وَالْوَحْدَانِيَّةِ". "(٢)".

قال السعدي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُجَمِّعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [سورة النساء: ٨٧] "يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ انْفِرَادِهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَأَنَّهُ لَا مَعْبُودَ وَلَا مَأْلُوهُ إِلَّا هُوَ، لِكَمَالِهِ فِي ذَاتِهِ وَأَوْصَافِهِ وَلِكُونِهِ الْمُنْفَرِدَ بِالْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ، وَالنَّعْمَ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ".

(١) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١٨٦/٣).

(٢) انظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، (١٩٨/٢) المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٩١ هـ - ٧٥١ هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، راجعه: مُحَمَّدٌ أَجْمَلُ الإصْلَاحِي، سليمان بن عبد الله العمير، الناشر: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ..

وذلك يستلزم الأمر بعبادته، والتقرب إليه بجميع أنواع العبودية؛ لكونه المستحق لذلك وحده والمجازي للعباد بما قاموا به من عبوديته أو تركوه منها، ولذلك أقسم على وقوع محل الجزاء وهو يوم القيامة، فقال: ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ أي: أولكم وآخركم في مقام واحد.

في ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: لا شك ولا شبهة بوجه من الوجوه، بالدليل العقلي، والدليل السمعي.

فالدليل العقلي: ما نشاهده من إحياء الأرض بعد موتها، ومن وجود النشأة الأولى التي وقوع الثانية أولى منها بالإمكان، ومن الحكمة التي تجزم بأن الله لم يخلق خلقه عبثاً، يحيون ثم يموتون. وأما الدليل السمعي: فهو إخبار أصدق الصادقين بذلك، بل إقسامه عليه؛ ولهذا قال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ كذلك أمر رسوله ﷺ أن يقسم عليه في غير موضع من القرآن، كقوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [سورة التغابن: ٧].

المبحث الثالث: سوء عاقبة الملحدين في الدنيا والآخرة:

يقول الله تعالى في بيان سوء عاقبة من أُلحد ولم يؤمن بقاء ربه ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [سورة يونس: ٧-٨].

قال أهل العلم: "أي: إن الأشقياء الذين آثروا الركون إلى هذه الحياة الدنيا يلهثون وراء زينتها وشهواتها بما يُسخط الله تعالى، وهم لا يرجون لقاءه ولا الدار الآخرة، بل إنهم كفروا بالله واليوم الآخر، فهؤلاء مصيرهم عذاب الخزي في نار جهنم بما كانوا يكسبون.

وقال الحسن: " والله ما زينتوها ولا رَفَعوها حتى رضوا بها وهم غافلون عن آيات الله الكونية فلا يتفكرون فيها، والشرعية فلا يأتَمرون بها، فإن مأواهم يومَ معادهم النار، جزاءً على ما كانوا يكسبون في دُنياهم من الآثام والخطايا والإجرام، مع ما هُم فيه من الكفر بالله ورسوله واليوم الآخر" (١).

وقد بيّن الله تعالى في كتابه العزيز الغاية من خلق السماوات والأرض وأنها لم تُخلق باطلا، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة ص: ٢٧-٢٩].

وتأمل تسلسلها وترابطها كما بيّن ذلك ابن كثير ﷻ حين قال: "يُخبر تعالى أنه ما خلق الخلق عبثاً وإنما خلقهم ليعبدوه ويوحدوه ثم يجمعهم ليوم الجمع فيثيب المطيع ويُعذب الكافر ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي:

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤ / ٢٤٩).

الذين لا يرون بعثاً ولا معاداً وإنما يعتقدون هذه الدار فقط ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ أي: ويل لهم يوم معادهم ونشورهم من النار المعدة لهم.

ثم بين تعالى أنه من عدله وحكمته لا يساوي بين المؤمن والكافر فقال بعدها: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [سورة ص: ٢٨] أي: لا نفعل ذلك ولا يستوون عند الله، وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من دار أخرى يثاب فيها هذا المطيع ويعاقب فيها هذا الفاجر.

وهذا الإرشاد يدل العقول السليمة والفطر المستقيمة على أنه لا بد من معاد وجزاء، فإننا نرى الظالم الباغي يزداد ماله وولده ونعيمه ويموت كذلك، ونرى المطيع المظلوم يموت بكمده فلا بد في حكمة الحكيم العليم العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة من إنصاف هذا من هذا. وإذا لم يقع هذا في هذه الدار فتعين أن هناك داراً أخرى لهذا الجزاء والمواساة، ولما كان القرآن يرشد إلى المقاصد الصحيحة والمآخذ العقلية الصريحة قال: ﴿كَتَبْنَا نَزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ أي: ذوو العقول وهي الألباب، جمع لب، وهو العقل" (١).

وقال الشيخ الشنقيطي في أضواء البيان: "ونفي كون خلقه تعالى للسموات والأرض باطلا نزه عنه نفسه ونزهه عنه عباده الصالحون؛ لأنه لا يليق بكماله وجلاله تعالى، وقوله تعالى في هذه الآية: ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ يدل على أن من ظن بالله ما لا يليق به ﷻ، فله النار" (٢).

قال ابن القيم: "ومن ظن به أن يترك خلقه سُدى معطلين عن الأمر والنهي، ولا يرسل إليهم رسله، ولا ينزل عليهم كتبه، بل يتركهم هملاً كالأنعام، فقد ظن به ظن السوء.

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٦/٦٣).

(٢) انظر: أضواء البيان للشنقيطي (٦/٣٤١-٣٤٢).

ومن ظن أنه لن يجمع عبده بعد موتهم للشواب والعقاب في دار يُجازي المحسن فيها بإحسانه والمسيء بإساءته، ويبين خلقه حقيقة ما اختلفوا فيه، ويظهر للعالمين كلهم صدقه وصدق رسله، وأن أعداءه كانوا هم الكاذبين، فقد ظن به ظن السوء^(١)، فويل للذين كفروا من النار. ومن تأمل القرآن الكريم عَلِمَ العاقبة الوخيمة لمن كفر بالساعة، ولم يؤمن بيوم القيامة، وكيف يكون حاله يوم البعث، ومن أصدق من الله حديثاً، قال ربي ﷻ في سورة الجاثية: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِينَ ۝٣٢﴾ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝٣٣ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَلُكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّصِيرِينَ ۝٣٤﴾ [سورة الجاثية: ٣٢-٣٤].

" ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ أي: إذا قال لكم المؤمنون ذلك ﴿قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ﴾ أي: لا نعرفها، ﴿إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ أي: إن نتوهم وقوعها إلا توهمًا، أي مرجوحًا؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِينَ﴾ أي: بمتحققين، قال الله تعالى: ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ أي: وظهر لهم عقوبة أعمالهم السيئة، ﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾ أي: أحاط بهم ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي: من العذاب والنكال، ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ﴾ أي: نعاملكم معاملة الناسي لكم في نار جهنم ﴿كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ أي: فلم تعملوا له لأنكم لم تصدقوا به، ﴿وَمَاْوَلُكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّصِيرِينَ﴾، وقد ثبت في الصحيح أن الله تعالى يقول لبعض العبيد يوم القيامة: «ألم أزوجك؟ ألم أكرمك؟ ألم أسخر لك الخيل والإبل، وأدرك ترأس وتربع؟

(١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، (٢٠٦/٣) ل محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

فيقول: بلى، يا رب، فيقول: أفظنت أنك مُلاقي؟ فيقول: لا، فيقول الله تعالى: فإني أنساك كما نسيتني»^(١)"(٢).

هذا حالهم في الآخرة، ولنتأمل أحوالهم في الدنيا ونسأل الله العافية والثبات على ما يرضيه: جاء في كتاب: (خرافة الإلحاد) للدكتور عمرو شريف، قولٌ للدكتور جيفري لانج -وهو عالم رياضيات أمريكي- يحكي تجربته الفريدة في الانتقال من الإلحاد إلى الإيمان، ويصف الدكتور حال الملحد في الدنيا، ويتحدث بحُرقة عن الملحد وطبيعة علاقاته وانفعالاته، مُبيناً نفسية الملحد الانعزالية الهشة فيقول: "سرعان ما تعلمت أن لا أحد يعرف الوحدة كالملحد، فعندما يشعر المؤمن بالوحشة فإنه يناجي من أعماق روحه الواحد الأحد الذي يعرفه، ويكون بمقدوره أن يشعر بالاستجابة، ولكن الملحد محروم من هذه النعمة؛ لأن عليه أن يسحق هذا الدافع، ويُذكر نفسه بسخفه، فالملحد هو إله عالمه الخاص، وهو عالم صغير جداً يحدده مجال إدراكاته، وهذه الحدود دوماً في تناقص مستمر، والملحد لا يُشبع حاجاته شيء؛ لأن عقيدته تخبره أن ليس للحياة هدف"؛ لذلك تبلغ مأساة الملحد ذروتها عند التفكير في الموت، وفي ذلك يقول جيفري: "إننا جميعاً نصبو إلى الخلود، وبمقدور المؤمن أن يتخيل السبيل لتحقيق ذلك، أما الملحد فعليه أن يفكر في حلول بديلة آنية، ربما عن طريق الزواج وإنشاء أسرة، أو تأليف كتاب، أو إنجاز اختراع ما، أو القيام بعمل بطولي بحيث يعيش في أذهان الآخرين، إن هدف الملحد الأسمى ليس الذهاب إلى الجنة، بل أن يذكره الناس"^(٣).

وتذكرت هنا قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ

تَصْيِبٍ﴾ [سورة الشورى: ٢٠]

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٦٨) (٢٢٧٩/٤) من حديث أبي هريرة، كتاب الزهد والرفائق.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٢٧٢/٧-٢٧٣).

(٣) انظر: خرافة الإلحاد؛ للدكتور عمرو شريف (ص ٤١٩-٤٢٠).

وقول ربّي ﷻ: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كَلَّا تُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ ﴿ [سورة الإسراء: ١٨-٢١].

ولذلك تجد الملحدين من أضيّق الناس صدرًا، وأكثرهم غمًّا وأسرعهم وأكثرهم انتحارًا، مصداقاً لقول ربنا ﷻ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿١٢٦﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿١٢٧﴾ ﴿ [سورة طه: ١٢٤-١٢٧].

الفصل الثاني: الوقاية من الفكر الإلحادي وعلاجه في القرآن الكريم:

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الوقاية من الفكر الإلحادي على مستوى الفرد والأمة في ضوء القرآن الكريم.

المبحث الثاني: الأدلة الثقلية والعقلية على إثبات وجود الله تعالى في ضوء القرآن الكريم.

المبحث الثالث: الأدلة الثقلية والعقلية على إثبات وقوع البعث والقيامة في القرآن الكريم.

المبحث الرابع: الاعتبار بحال الملحدين ومآلهم.

المبحث الأول: الوقاية من الفكر الإلحادي على مستوى الفرد والأمة في ضوء

القرآن الكريم:

قد تعددت سبل الوقاية -بفضل الله وقوته- من الوقوع في مستنقع الإلحاد، فمنها ما يعصم المسلم على المستوى الفردي، ومنها ما يعصمه -بفضل الله- على مستوى المجتمع، بل الأمة كلها.

أولاً: الوقاية على مستوى الفرد:

لن نتحقق الوقاية من الإلحاد إلا بمعرفة أسباب الوقوع فيه، والوقاية منها، والعمل على حلها وتلافيها، وقد عُنيت بعض الكتب المعاصرة بدراسة هذه الظاهرة ورصد أسبابها، ومما وقفت عليه في هذا الباب، كتاب: الإلحاد مشكلة نفسية^(١)، وقد ذكر مؤلفه مجموعة من الأسباب من أهمها:

١. التساهل في الاستماع لشبهات وضلالات المشركين والملحدين من اليهود والنصارى وغيرهم، مع ضعف العلم الشرعي للرد عليها، فيبقى الشاب أحياناً متشككاً في دينه وعقيدته، وفي النهاية قد ينتهي به الأمر إلى الإلحاد والزندقة، كما حصل لبعض من قضى مدة طويلة عند الغرب، فعند عودته إلى بلاده، تنكر لدينه وعقيدته، بل إن بعضهم آثر البقاء في بلاد الكفار، وعدم العودة إلى ديار المسلمين.

قال الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله-: "السفر -بلا إيمان قوي وبلا حاجة- إلى البلاد التي فيها الكفر، والضلال، والحرية، وانتشار الفساد من الزنا، وشرب الخمر وأنواع الكفر والضلال،

(١) كتاب الإلحاد مشكلة نفسية (علم نفس الإلحاد) لمؤلفه د. عمرو شريف - أستاذ الجراحة العامة، وقدم له د. أحمد عكاشة.

فيه خطر كبير وعظيم على الرجل والمرأة، وكم من صالح سافر ورجع فاسداً، وكم من مسلم رجع كافراً^(١).

وقال الشيخ محمد بن عثيمين - رَحِمَهُ اللهُ - في نصيحة لمن يذهب إلى الغرب: " على الإنسان أن يقلل ما استطاع من الذهاب لبلاد الكفر؛ لأن الذهاب إلى بلاد الكفر فيه خطر عظيم على العقيدة والأخلاق، ولهذا لا يجوز للإنسان أن يسافر إلى بلاد الكفر إلا بثلاثة شروط: الشرط الأول: أن يكون عنده علم بشريعة الله يدفع به الشبهات التي يوردها عليه أعداء الله.

والثاني: أن يكون عنده دين يحميه من اتباع الشهوات والانزلاق في مهاوي الضلالات.

والثالث: أن يكون مضطراً للسفر إلى الخارج، أو محتاجاً إليه.^(٢)

أما في مسألة التساهل في الاستماع للشبهات، فقد حذر القرآن الكريم من ذلك، فقال الله تعالى في سورة النساء: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ^{١٢٠} إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا^{١٢١}﴾ [سورة النساء: ١٤٠] وأيضا في سورة الأنعام: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ^{٦٨}﴾ [سورة الأنعام: ٦٨].

فالواجب عدم تعرض الشباب وغيرهم لشبه الملحدين وحتى التكفيريين، بل عدم الجلوس معهم أساساً كما بينت الآية، وليحذر من يتساهل في ذلك من قول ربنا ﷺ: ﴿إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ^{١٢٠}﴾ ثم أين حب الله في قلبك، وكيف تجلس وأنت تسمع من يستهزأ ويكفر بآيات ربك، نسأل

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن باز (٤/١٩٥).

(٢) انظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٨٣/٢٠).

الله العافية والسلامة، وأن يزيدنا إيماناً به، وحباً له، ويقيناً بلقائه، وأن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

قال الشيخ السعدي -رحمه الله- في تفسير آية سورة النساء: "أي: وقد بين الله لكم فيما أنزل عليكم حكمه الشرعي عند حضور مجالس الكفر والمعاصي ﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾ أي: يُستهان بها، وذلك أن الواجب على كل مُكلف في آيات الله الإيمان بها وتعظيمها وإجلالها وتفخيمها، وهذا المقصود بإنزالها، وهو الذي خلق الله الخلق لأجله، فصد الإيمان الكفر بها، وضد تعظيمها الاستهزاء بها واحتقارها، ويدخل في ذلك مجادلة الكفار والمنافقين لإبطال آيات الله ونصر كفرهم، وكذلك المبتدعون على اختلاف أنواعهم، فإن احتجاجهم على باطلهم يتضمن الاستهانة بآيات الله؛ لأنها لا تدل إلا على حق، ولا تستلزم إلا صدقاً، بل وكذلك يدخل فيه حضور مجالس المعاصي والفسوق التي يُستهان فيها بأوامر الله ونواهيه، وتُفتح حدوده التي حدها لعباده، ومنتهى هذا النهي عن القعود معهم ﴿حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ أي: غير الكفر بآيات الله والاستهزاء بها، ﴿إِنَّكُمْ إِذَا﴾ أي: إن قعدتم معهم في الحال المذكورة ﴿مِثْلُهُمْ﴾ لأنكم رضيتم بكفرهم واستهزائهم، والراضي بالمعصية كالفاعل لها، والحاصل أن من حضر مجلساً يُعصى الله به، فإنه يتعين عليه الإنكار عليهم مع القدرة، أو القيام مع عدمها" (١).

" وفائدة هذا الإعراض زجرهم وقطع الجدل معهم لعلهم يرجعون عن عنادهم" (٢).

ومن الوقاية أيضاً من الإلحاد على مستوى الفرد أن يحذر الشاب من أمور، منها:

٢. القراءة فيما يسمى بكتب الفكر والفلسفة، أو الحداثة التي تحوي الإلحاد والزندقة، ورد الأحاديث الصحيحة بحجة أنها تنافي العقل، وفي هذه الكتب أيضاً تمجيد لحضارة الغرب

(١) انظر: تفسير السعدي (ص ٢١٠).

(٢) انظر: التحرير والتنوير؛ للطاهر بن عاشور (٢٨٩/٧) لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣ هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، ط ١: ١٤٢٠ هـ/٢٠٠٠ م.

الزائفة، وأن سبب تخلف المسلمين هو تمسكهم بدينهم وأخلاقهم، والتعرض للذات الإلهية بالتقص، فالقراءة في مثل هذه الكتب المسمومة يؤثر على عقيدة القارئ، ومع كثرة القراءة، وتنوع الكتب، قد ينشأ عنده الفكر الإلحادي، كما صرّح بعضهم بأن سبب اعتناقه لفكر الإلحاد هو القراءة في كتب النصارى المستشرقين، والعلمانيين المحسوبين على المسلمين، وأقول خصوصاً القراءة في الانترنت الذي لا ساحل له بلا ضوابط، فينبغي الحذر من ذلك.

٣. الحذر من العُجب والغرور بالنفس، واستحقار الناس كما حصل لأحدهم: كان يؤلّف المؤلفات العظيمة في الدفاع عن العقيدة والدين، حتى أعجب بنفسه، وأصابه الغرور، حتى استحقّر الأنبياء - عَلَيْهِمُ السَّلَام -، وقال: إن العلم الذي عنده والفضل، لو قُسّم على الخلق لأغنى عمّا عند الرسل، وألّف كتابه المعروف: (هذه هي الأغلال)^(١) يعني بها ثوابت الإسلام، وتكلم في الأنبياء، وكذب أشياء في القرآن... نسأل الله العافية، وإنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك.

٤. عدم مخالطة رفقاء السوء، فالإنسان مجبول على التأثر بصاحبه وجليسه، والأرواح جنود مجنّدة، روى البخاري ومسلم في الصحيح من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوِّءِ، كَمَثَلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ، إِمَّا أَنْ يُخْذِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً؛ وَنَافِخُ الْكِيرِ، إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»^(٢).

(١) هو: عبدالله بن علي الصّعدي القّصيمي، وُلد في بُرَيْدة بالقصيم، انتقل وهو طفلٌ للإقامة في الرّياض، ثم سافر إلى عُمان حيث عمِل أبوه وفيها درس، ثم رحل إلى الهند وانتسب إلى المدرسة الرحمانية، ثم التحق بالأزهر ودرس على شيوخه، ووقع له خلافاً منهجيةً مع مشايخه من الصوفيّة، واحتدم الخلاف بينه وبين شيخه يوسف الدّجوي (ت: ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م) وكتب كلٌّ منهما في الردّ على الآخر والطعن عليه وعلى منهجه، وتسبّب هذا في طرده من الأزهر قبل أن يُتمّ دراسته فيه، اشتهر باعتداده الشديد بنفسه وإعجابه برأيه وعقله إلى درجة العُجب والغرور، وكان متحمّساً لدعوة الشيخ المجّد محمّد بن عبد الوهّاب مُنافحاً عنها، ثم ارتدّ عن الإسلام وصار مُلحدًا مات عام ١٤١٦ هـ انظر: ذيل الأعلام؛ للدكتور أحمد العلاونة (١٢٦/٣).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٢٧٦) (٤/١٢٣) كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده.

فجلس السوء يؤثّر على صاحبه، ويدعوه إلى البعد عن الدين ومماثلته في الوقوع في المحرمات،
وصدق الله تعالى القائل: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُوا سَوَاءً﴾ [سورة النساء: ٨٩] وقال
تعالى: ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء: ٢٧].

— ومن الوقاية عدم الاسترسال مع وساوس الشيطان ومع شبهه التي يلقيها، وقد ذكر النبي
ﷺ علاجاً عظيماً شافياً في ذلك، وقد شرح الشيخ السعدي في كتابه " بهجة قلوب الأبرار "
الحديث بشرح جميل، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي
الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق الله؟ فإذا بلغه
فليستعذ بالله، ولينته»^(١).

قال الشيخ السعدي رحمه الله: احتوى هذا الحديث على أنه لا بد أن يلقي الشيطان هذا
الإيراد الباطل: إما وسوسة محضه، أو على لسان شياطين الإنس وملائحتهم.

وقد وقع كما أخبر، فإن الأمرين وقعا، لا يزال الشيطان يدفع إلى قلوب من ليست لهم
بصيرة هذا السؤال الباطل، ولا يزال أهل الإلحاد يلقون هذه الشبهة التي هي أبطل الشبه،
ويتكلمون عن العلل وعن مواد العلم بكلام سخي معروف.

وقد أرشد النبي ﷺ في هذا الحديث العظيم إلى دفع هذا السؤال بأمر ثلاثة: بالانتهاء،
والتعوذ من الشيطان، وبالإيمان.

أما الانتهاء - وهو الأمر الأول -: فإن الله تعالى جعل للأفكار والعقول حداً تنتهي إليه،
ولا تتجاوزه. ويستحيل لو حاولت مجاوزته أن تستطيع، لأنه محال، ومحاولة المحال من الباطل
والسفه، ومن أمحل المحال التسلسل في المؤثرين والفاعلين. فإن المخلوقات لها ابتداء، ولها
انتهاء. وقد تتسلسل في كثير من أمورها حتى تنتهي إلى الله الذي أوجدها وأوجد ما فيها من

(١) أخرجه البخاري برقم (٢١٠١) (٦٣/٣) كتاب البيوع، باب في العطار وبيع المسك، ومسلم برقم (٢٦٢٨)
(٢٠٢٦/٤) كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين.

الصفات والمواد والعناصر ﴿وَأَن إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢]، فإذا وصلت العقول إلى الله تعالى وقفت وانتهت، فإنه الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء. فأوليته تعالى لا مبتدأ لها مهما فرضت الأزمان والأحوال. وهو الذي أوجد الأزمان والأحوال والعقول التي هي بعض قوى الإنسان. فكيف يحاول العقل أن يتشبث في إيراد هذا السؤال الباطل. فالفرض عليه المحتم في هذه الحال: الوقوف، والانتهاء.

الأمر الثاني: التعوذ بالله من الشيطان. فإن هذا من وساوسه وإلقائه في القلوب؛ ليشكك الناس في الإيمان برهم. فعلى العبد إذا وجد ذلك: أن يستعيذ بالله منه، فمن تعوذ بالله بصدق وقوة أعاده الله وطرد عنه الشيطان، واضمحلت وساوسه الباطلة.

الأمر الثالث: أن يدفعه بما يضاده من الإيمان بالله ورسله، فإن الله ورسله أخبروا بأنه تعالى الأول الذي ليس قبله شيء، وأنه تعالى المتفرد بالوحدانية، وبالخلق والإيجاد للموجودات السابقة واللاحقة.

فهذا الإيمان الصحيح الصادق اليقيني يدفع جميع ما يضاده من الشبه المنافية له، فإن الحق يدفع الباطل. والشكوك لا تعارض اليقين.

فهذه الأمور الثلاثة التي ذكرها النبي ﷺ تبطل هذه الشبه التي لا تزال على ألسنة الملاحدة، يلقيونها بعبارات متنوعة. فأمر بالانتهاء الذي يبطل التسلسل الباطل، وبالتعوذ من الشيطان الذي هو الملقى لهذه الشبهة، وبالإيمان الصحيح الذي يدفع كل ما يضاده من الباطل. والحمد لله فبالانتهاء: قطع الشر مباشرة. وبلاستعانة: قطع السبب الداعي إلى الشر، وبالإيمان اللجأ والاعتصام بالاعتقاد الصحيح اليقيني الذي يدفع كل معارض^(١).

(١) انظر: بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، للسعدي، (ص ٢٧).

وأيضاً هناك قاعدة عظيمة النفع من عمل بها استقرّ الإيمان في قلبه واندفعت عنه بإذن

الله جميع الشبهات، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله - في تفسيره:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ [سورة آل عمران: ٥٩-٦٠].

وفي هذه الآية وما بعدها دليل على قاعدة شريفة وهو أن ما قامت الأدلة على أنه حق وجزم به العبد من مسائل العقائد وغيرها، فإنه يجب أن يجزم بأن كل ما عارضه فهو باطل، وكل شبهة تورّد عليه فهي فاسدة، سواء قدر العبد على حلها أم لا فلا يوجب له عجزه عن حلها القدرح فيما علمه، لأن ما خالف الحق فهو باطل، قال تعالى ﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال﴾ وبهذه القاعدة الشرعية تنحل عن الإنسان إشكالات كثيرة يوردها المتكلمون ويرتبها المنطقيون، إن حلها الإنسان فهو تبرع منه، وإلا فوظيفته أن يبين الحق بأدلته ويدعو إليه^(١).

إضافة إلى ما سبق، ليحرص كل مؤمن على التفقه في دينه وطلب العلم عند العلماء الراسخين، وليضبط مسائل العقيدة في قلبه، ويكثر من تلاوة القرآن الكريم وحفظ ما استطاع منه، مع الحفاظ على الصلوات حيث يُنادى بها، والحرص على الصحبة الصالحة، والإلحاح بدعاء الله أن يثبت قلبه على دينه حتى يلقاه والإكثار من ذلك في أوقات الإجابة، فكل ذلك من أسباب الثبات على الحق والوقاية من الإلحاد بعد الله ﷻ، ونسأل الله أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، إنه بكل جميل كفيل وهو حسبنا ونعم الوكيل.

(١) انظر: تفسير السعدي (١/١٣٣).

ثانياً: الوقاية على مستوى الأسرة والمجتمع، بمعرفة أسباب الوقوع في الإلحاد والوقاية منها:

وهنا نقاط مهمة يجب التنبيه لها:

١ - من الأسباب إهمال الآباء تربية أبنائهم التربية الإسلامية الصحيحة، روى أبو داود في سننه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن النبي ﷺ قال: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاصْرِبْهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ»^(١)، قال ابن القيم -رحمته الله- : "فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى، فقد أساء غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغاراً، فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آباءهم كباراً"^(٢).

وفي الحديث: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(٣).

٢ - ومن أهم صور الإهمال المعاصرة التفكك الأسري ذكرت إحدى الطبيبات النفسية أنه بعد عدة نقاشات مع بعض الملاحدة، تقول: "تكونت لدي قناعات بأنهم من أسر مفككة، ومن الفاشلين في التكيف مع الحياة والمجتمع، وناقمين على الظروف التي وجدوا أنفسهم فيها، وأنهم لجئوا للإلحاد وغيره من التوجهات الفكرية، هروباً من الواقع الذي يعيشونه لضعف شخصياتهم، وأحياناً التقليد الأعمى للمجتمع الغربي بكل آفاته"^(٤).

(١) أخرجه أبو داود برقم (٤٩٥) (٣٦٧/١)، وحسنه النووي في خلاصة الأحكام (٢٥٢/١)، وصححه ابن الملقن في البدر المنير (٢٣٨/٣).

(٢) انظر: تحفة المودود في أحكام المولود (ص ٨٠) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ) المحقق: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: مكتبة دار البيان - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٣٩١ - ١٩٧١.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٧١٣٨) (٦٢/٩) كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾، ومسلم برقم (١٨٢٩) (١٤٥٩/٣) كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل.

(٤) انظر: الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة، أمين بن عبد الله الشقاوي (٣٥٨/٨).

٣- الحذر من كل الوسائل التي قد تنشر الإلحاد ووقاية الشباب منها، وعدم تمكين أصحابها من بث سمومهم في المجتمع، سواء كانت كتبًا، أو مواقع، أو قنوات، أو برامج إذاعية، أو فضائية، أو مقالات، أو غيرها، مع الحرص على البرامج النافعة التي تغرس الإيمان، وترد على شبه الإلحاد والتشكيك في الدين، وتُعظّم الدين في قلوب الناس، مع تربية النشء من طلاب وطالبات على العقيدة الصحيحة، والتأكيد على الخطباء والدعاة والمشايع بمواجهة بؤادر الإلحاد الآخذة في التوسع، وإقامة المحاضرات، والدروس، والندوات، وتوزيع الكتب والمقالات التي تحارب الفكر الإلحادي.

٤- ينبغي التواصل مع الشباب الذين ابتلوا بمثل هذه الشكوك ودلائتهم على الحق، والرد على كل الشبهات التي تعترضهم بلطف واحتواء وحكمة، فالعلماء هم أقدر الناس على الرد عليها، وعليهم أن يقوموا بما أوجب الله عليهم من نشر هذا العلم، بكل ما يستطيعون عبر الوسائل الحديثة، وفتح أبواب مجالسهم لهم.

ثالثاً: الوقاية على مستوى الأمة:

ويكون من عدة جوانب، فإضافة لما سبق بيانه في الجانب الفردي والمجتمعي،

أنقل طرق العلاج من هذا الفكر الضال من الجوانب الأخرى :

أولاً: العلاج على مستوى حملة الخطاب الديني: وذلك بالتزام الخطاب المعتدل، وتعزيز ركائز الإيمان والعقيدة السليمة، وإبراز محاسن الإسلام وكماله، والتصدي لمظاهر تشويهه من قبل المتطرفين والإرهابيين، وفك أي ارتباط يرمي إلى ربط الدين بأي ممارسة خاطئة، وتصحيح المفاهيم المغلوطة حول العلاقة بين الدين والعلوم الطبيعية وغيرها، والتصدي للشبهات بالحجة والتصور السليم، وبناء الجسور مع الأجيال الناشئة، وتقديم المادة العلمية والوعظية بأسلوب متميز ووفق معايير تراعي المعاصرة وتواكب التحديات.

ثانياً: **على مستوى المؤسسات الدينية:** وذلك بالتحسين من هذه المشكلة بالطرق المثلى عبر المحاضرات والندوات وخطب الجمعة وغيرها، والاستفادة من الإعلام التقليدي والحديث، وتأهيل الدعاة لحسن خوض هذا المضمار، وعمل الدراسات والبحوث والمؤلفات التي تخدم هذا الباب، ووضع الاستراتيجيات المثلى لمواجهة الإلحاد.

ثالثاً: **على مستوى الجامعات الشرعية:** وذلك بتأهيل طلبة العلم الشرعي لمواجهة هذه المشكلة بالطرق السديدة، ووضع برامج لأطروحات الماجستير والدكتوراة تُعنى بجوانب هذا الموضوع من كافة أبعاده، وتواكب ما يستجد حوله؛ لإثراء المكتبة العربية والإسلامية وتزويد القراء بالتصانيف المميّزة في هذا المجال. (١)

رابعاً: **على مستوى المثقفين والإعلاميين:** وذلك من خلال التوعية بخطورة هذه المشكلة، وبيان مفسدها، وعمل البرامج والمبادرات التي تُعنى بهذا الأمر، والاستعانة بالمتخصصين فيه، والتزام الثقافة الإيجابية، والإعلام الهادف.

خامساً: **على مستوى الدول والقيادات:** وذلك عبر مسارات عدة، منها نشر التنمية والازدهار ومكافحة الفقر والتخلف، وسن وتطبيق القوانين التي تكافح الإلحاد، ودعم الخطاب الديني المعتدل.

سادساً: **تضافر الجهود على مستوى الجامع الإسلامية الكبرى:** مثل منظمة التعاون الإسلامي، مع إنشاء مجمع إسلامي دولي يُعنى بهذه المشكلة وغيرها، يجمع بين علماء الشريعة وعلماء التخصصات الأخرى، فهناك جهود فردية مبعثرة لعلماء مسلمين متخصصين في بعض المجالات الطبيعية للرد على شبهات الملحدين في هذه المجالات، يتخلل ذلك أحياناً استراتيجيات تضر أكثر مما تنفع، نتيجة عدم وجود رؤية صحيحة متكاملة.

(١) انظر: مشكلة الإلحاد أسبابها وعلاجها، مقال للشيخ أحمد بن محمد الشحي (ص ٤).

وننوه هنا إلى قضية مهمة، وهي أن الإسلام حينما عالج هذه القضية راعى الفرق بين نوعين مختلفين مما يرد على الأذهان:

النوع الأول: الوسوس والخواطر العارضة، فعالجها بالإعراض عنها والاستعاذة منها، كما بيّنت الرسالة ذلك آنفاً في حديث عظيم للنبي ﷺ، والذي شرحه الشيخ السعدي بشرح وافي وقد ذكرت ذلك في الوقاية من الإلحاد على مستوى الفرد^(١).

والنوع الثاني: التساؤلات النابعة من شبهات ومقدمات، فأمر بمعالجتها بالعلم والحجة والبرهان، فَجَعَلَ لكل نوع ما يناسبه، فعالج الأول علاجاً إيمانياً واقعياً ميسوراً؛ لأنه لا يكاد يسلم أحد من الوسوس في حين من الأحيان، وهي إذا وردت وعولجت بهذا العلاج لم تستقر في القلوب، وعالج النوع الثاني علاجاً علمياً مبنياً على إزالة الشبهة بالدليل والبرهان، ومن خلط بين النوعين جاءه الإشكال، فقد يظن أن الإسلام ينهى عن معالجة الشبهات حول التساؤلات الكبرى، ويقتصر على الاستعاذة والانتفاء، أو قد يظن في المقابل أن الأسلوب الأمثل هو الاسترسال مع كل ما يخطر في ذهن من وسوس حول مسائل الدين أو غيرها، حتى يقع في الوسوس القهرية والاضطرابات النفسية وما هو أبعد من ذلك".

ومع ما تم ذكره يجب استحضار القاعدة النفيسة التي أوردها الشيخ السعدي ﷺ، ففيها الشفاء والنفع.^(٢)

(١) انظر: (ص ١٣٧).

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله - في تفسيره: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٥٩) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ [سورة آل عمران: ٥٩-٦٠] وفي هذه الآية وما بعدها دليل على قاعدة شريفة وهو أن ما قامت الأدلة على أنه حق وجزم به العبد من مسائل العقائد وغيرها، فإنه يجب أن يجزم بأن كل ما عارضه فهو باطل، وكل شبهة تورده عليه فهي فاسدة، سواء قدر العبد على حلها أم لا فلا يوجب له عجزه عن حلها القدح فيما علمه، لأن ما خالف الحق فهو باطل، قال تعالى ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ وبهذه القاعدة الشرعية تنحل عن الإنسان إشكالات كثيرة يوردها المتكلمون ويرتبها المنطقيون، إن حلها الإنسان فهو تبرع منه، وإلا فوظيفته أن يبين الحق بأدلته ويدعو إليه. انظر: تفسير السعدي (١/١٣٣).

المبحث الثاني: الأدلة النقلية والعقلية على إثبات وجود الله تعالى في ضوء القرآن الكريم:

من الحقائق التي سلط القرآن الكريم الضوء عليها والتي يجب أن نُعلم، أن الله ﷻ أخبر أن هناك فئام من الناس سيجادلون في الله تعالى رغم وضوح الآيات وإسباغ النعم وتسخير الله لما في السماوات وما في الأرض للناس، فنسأل الله العافية من الضلال، قال سبحانه في سورة لقمان: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَ وَبَاطِنًا وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [سورة لقمان: ٢٠].

تأمل: سخر للإنسان كل شيء وأسبغ عليه كل النعم، سخر وأسبغ سبحانه، ومع ذلك ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ نسأل الله العافية والسلامة. قال ابن كثير: "يقول تعالى منبهاً خلقه على نعمه عليهم في الدنيا والآخرة، بأنه سخر لهم ما في السماوات من نجوم يستضيئون بها في ليلهم ونهارهم، وما يخلق فيها من سحب وأمطار وثلج وبرد، وجعله إياها لهم سقفاً محفوظاً، وما خلق لهم في الأرض من قرار وأنهار وأشجار وزروع وثمار، وأسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة من إرسال الرسل وإنزال الكتب، وإزاحة الشبه والعلل، ثم مع هذا كله ما آمن الناس كلهم، بل منهم من يجادل في الله، أي: في توحيده وإرسال الرسل، ومجادلته في ذلك بغير علم، ولا مستند من حجة صحيحة، ولا كتاب ماثور صحيح؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ أي: مبين مضيء" (١).

كما قال سبحانه في سورة الحج: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ (٧) وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ (٨) ثَانِي عَظْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٦/٣٤٧).

وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾
[سورة الحج: ٦-١٠].

وقد بين ﷺ بوضوح وجلاء أن الله تعالى غني عن خلقه أجمعين وأنهم هم الفقراء إليه من كل وجه، فكفر من كفر على نفسه، ونفع طاعة المؤمن تعود إليه، قال سبحانه في سورة إبراهيم ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [سورة إبراهيم: ٨] وقال تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٩٧]

قال السعدي: " ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ فلن تضروا الله شيئاً، ﴿فَأِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌ حَمِيدٌ﴾ فالطاعات لا تزيد في ملكه والمعاصي لا تنقصه، وهو كامل الغنى، حميد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، ليس له من الصفات إلا كل صفة حمد وكمال، ولا من الأسماء إلا كل اسم حسن، ولا من الأفعال إلا كل فعل جميل" (١).
وفي الحديث القدسي الصحيح الذي أخرجه مسلم، يقول نبينا ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ: «يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً ولا أباي فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان منهم مسأله ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المحيط إذا أُدخل البحر» (٢).

(١) انظر: تفسير السعدي (ص ٤٢٢).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧) (١٩٩٤/٤) كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، من حديث أبي ذر (رضي الله عنه).

ومن أعظم الأدلة العقلية والنقلية على وجود الله ﷻ وتوحيده:

خلقه وتسخيره للمخلوقات العظيمة في الكون، قال الله تعالى: ﴿وَالْهُكْمُ إِلَهُ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة البقرة: ١٦٣].

ثم استدل على توحيده بالآيات العقلية بعدها مباشرة ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٦٤]

قال الطبري: " وهذا تنبيه من الله تعالى ذكره لأهل الشرك به على ضلالهم، ودعاء منه لهم إلى الأوبة من كفرهم، والإنابة من شركهم، ثم عرّفهم تعالى ذكره بالآية التي تتلوها موضع استدلال ذوي الأبواب منهم على حقيقة ما نبّهم عليه من توحيده وحججه الواضحة القاطعة عذرهم، فقال تعالى ذكره: « أيها المشركون إن جهلتم أو شككتكم في حقيقة ما أخبرتكم من الخبر من أن إلهكم إله واحد دون ما تدعون ألوهيته من الأنداد والأوثان فتدبروا حججي وفكروا فيها، فإن من حججي: خلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار، والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس، وما أنزلت من السماء من ماء فأحييت به الأرض بعد موتها، وما بثت فيها من كل دابة والسحاب الذي سخرته بين السماء والأرض «، فإن كان ما تعبدونه من الأوثان والآلهة والأنداد وسائر ما تشركون به إذا اجتمع جميعه فتظاهر أو انفرد بعضه دون بعض يقدر على أن يخلق نظير شيء من خلقي الذي سميت لكم، فلکم بعبادتكم ما تعبدون من دوني حينئذ عذر، وإلا فلا عذر لكم في اتخاذ إله سواي، ولا إله لكم ولما تعبدون غيري، فليتدبر أولو الأبواب إيجاز الله احتجاجه على جميع أهل الكفر به والملحدین في توحيده في هذه الآية وفي التي بعدها بأوجز كلام وأبلغ حجة وألطف معنى " (١).

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٦٧/٣).

وختم الآية بهذه الفاصلة ﴿لَا يَكُنْ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ دليلٌ والله أعلم على أن أهل الإلحاد وكل من لم يتفكر في هذه المخلوقات حوله ويستدل بها على خالقها؛ أن هؤلاء لا عقول لهم، ولو بلغوا ما بلغوا في هذه الدنيا القصيرة الفانية من العلوم والمخترعات والاكتشافات وغيرها، بل هم كما قال الله عنهم: ﴿يَعْمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [سورة الروم: ٧] وقال ربي ﷻ: ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ [سورة النجم: ٣٠].

وما أجهل ما قاله الإمام ابن تيمية -رحمته الله- حول هذه القضية: "إنك إذا تأملت هيئة هذا العالم ببصرك، واعتبرتها بفكرك، وجدته كالبيت المبني المعد فيه ما يحتاج إليه ساكنه؛ من آلة وعتاد؛ فالسماء مرفوعة كالسقف، والأرض ممدودة كالبساط، والنجوم مجموعة والجواهر مخزونة كالذخائر، وأنواع النبات مهيئة للمطاعم والملابس والمشارب، وأنواع الحيوان مسخرة للراكب مستعملة في المرافق، والإنسان كالملك للبيت المخول فيه، وفي هذا كله دلالة واضحة على أن العالم مخلوق بتدبير وتقدير ونظام، وأن له صانعاً حكيماً تام القدرة بالغ الحكم"^(١). ورد أن طائفة ممن عميت بصيرتهم ممن ينكرون وجود الله جاءوا إلى أبي حنيفة -رحمته الله-؛ فناظروه في إثبات الخالق -ﷻ-، وكان أبو حنيفة من أذكى العلماء؛ فوعدهم أن يأتوا بعد يوم أو يومين؛ فجاءوا، قالوا: "ماذا قلت؟ قال: "أنا أفكر في سفينة مملوءة من البضائع والأرزاق جاءت تشق عباب الماء حتى أرسى في الميناء وأنزلت الحمولة وذهبت، وليس فيها قائد ولا حمّالون، قالوا: تتفكر بهذا، قال: نعم قالوا: إذاً ليس لك عقل! هل يُعقل أن سفينة تأتي بدون قائد وتنزل وتنصرف؟! هذا ليس معقول!، قال: كيف لا تعقلون هذا، وتعقلون

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (١/٥٠٦)، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ.

أن هذه السماوات والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب والناس كلها بدون صانع؟! فعرفوا أن الرجل خاطبهم بعقولهم، فعجزوا عن جوابه (١).

قال الشيخ ابن عثيمين - رَحِمَهُ اللهُ -: " لاحظ أنه أحياناً قد يكون الذكاء المفرط سبباً للضلال - والعياذ بالله - لأن الرجل الذكي يُورد على نفسه أشياء، ويفتح على نفسه أشياء؛ مثل: لو كان كذا لكان كذا، ولو كان غافلاً عن هذا، لكان أحسن له، ولهذا ما ضرَّ أصحاب الكلام والمنطق والفلاسفة إلا حدة ذكائهم. وكم من ذكي قاده الذكاء إلى النار - والعياذ بالله - وهذا شيء مُشاهد، فالذكاء إذا لم يكن مُقترناً بعقل وإيمان، أهلك صاحبه ولا بد " (٢).

وما فائدة العقل إذا لم يُنقذ صاحبه - برحمة ربه - من النار، ويدخله - بفضل الله باستعماله فيما خُلِقَ له من التفكير في المخلوقات والاستدلال بها على عظمة الخالق - إلى الجنة.

ومن الأدلة على إثبات وجوده سبحانه التدبير

فلا يدبر الأمور إلا الله ﷻ قال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ ۚ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ عِنْدِ ذِيهِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [سورة يونس: ٣].

قال ابن كثير: " ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾ أي: يدبر أمر الخلائق ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سورة سبأ: ٣] فلا يشغله شأن عن شأن، ولا تغلظه المسائل، ولا يتبرم بالحاح الملحين ولا يُلْهيه تدبير

(١) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة؛ (١٥/١٤)، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (المتوفى: ٤١٨ هـ) تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي الناشر: دار طيبة - السعودية الطبعة: الثامنة، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م.

(٢) انظر: تفسير العثيمين (الزمر ١/١٥٤) للشيخ ابن عثيمين - بتصريف يسير -.

الكبير عن الصغير، في الجبال والبحار والعمران والقفار ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [سورة هود: ٦].

﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [سورة الأنعام: ٥٩] (١).

وقال تعالى في آية أخرى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ [سورة الرعد: ٢].

قال السعدي -رحمه الله-: "هذا جمع بين الخلق والأمر، أي: قد استوى الله العظيم على العرش، يدبر الأمور في العالم العلوي والسفلي، فيخلق ويرزق، ويغني ويفقر، ويرفع أقواماً ويضع آخرين، ويعز ويذل، ويخفض ويرفع، ويقلل العثرات، ويفرج الكربات، وينفذ الأقدار في أوقاتها التي سبق بها علمه، وجرى بها قلمه، ويرسل ملائكته الكرام لتدبير ما جعلهم على تدبيره، وينزل الكتب الإلهية على رسله ويبين ما يحتاج إليه العباد من الشرائع والأوامر والنواهي، ويفصلها غاية التفصيل بينها وإيضاحها وتمييزها ﴿ لَعَلَّكُمْ ﴾ بسبب ما أخرج لكم من الآيات الكونية والآيات القرآنية، ﴿ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ فإن كثرة الأدلة وبيانها ووضوحها، من أسباب حصول اليقين في جميع الأمور الإلهية، خصوصاً في العقائد الكبار، كالبعث والنشور والإخراج من القبور.

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/٢٤٧).

وقد عَلَّمَ أن الله تعالى حكيم لا يخلق الخلق سدى، ولا يتركهم عبثاً، فكما أنه أرسل رسله وأنزل كتبه لأمر العباد ونهيه، فلا بد أن ينقلهم إلى دار يحل فيها جزاؤه، فيجازي المحسنين بأحسن الجزاء، ويجازي المسيئين بإساءتهم^(١).

ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها دليل التدبير والعناية قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ وَمَنْ لَسْتُ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿١٢﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿١٣﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاحٍ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ [سورة الحجر: ١٩-٢٢].

فهذه الآيات القرآنية وآيات أخرى كثيرة نظائر لها تلفت نظر الإنسان لما في هذا الكون، من التنظيم الدقيق والتناسق بين أجزاء الكون، وفي ذلك دلالة قاطعة على العناية التامة بهذا الكون وما فيه، وأن إلهاً واحداً قادراً هو الذي نظم كل ما فيه أحسن تنظيم.

وأنه لا يوجد أي شيء في الكون إلا في محله المناسب وبالقدر المناسب، فكل ما فيه في غاية الحكمة والعناية والإتقان، والناظر لهذا الإتقان العجيب والتنظيم المدهش في كل شيء، في الأرض وفي السماء وما بينهما، بحيث إن أي تغيير يسير فيه يؤدي إلى الخلل والفساد؛ لا يسعه إلا أن يؤمن بوجود ووحداية الله تعالى.

إننا لو سألنا عالم الفلك، فإنه يبين لنا من دقائق الحسابات الفلكية وتنظيم الكواكب وأحجامها وأبعادها ما يُبهر العقول.

ولو سألنا عالم التشريح عن جسم الإنسان، وعالم الحيوان عن أنواع الحيوان الطائر والسباح والماشي والزاحف بأشكاله وألوانه وخواصه ومعيشته وغرائبه؛ لأسلمنا ذلك بلا شك إلى وحدانية الله.

ولو سألنا عالم النبات عن أنواعه وثماره وأوراقه وطعومه وخواصه، لأجابنا بما يدل دلالة قاطعة على وحدانية الله.

(١) انظر: تفسير السعدي (ص ٤١٢).

ولو نظرنا إلى التنظيم الدقيق في الأرض ببحرها، ويابسها، وجبالها، وأغوارها، وسهولها، وصخورها، ورمالها، ومعادنها، ونباييعها، وأنهارها، وطبقاتها؛ لأدى بنا ذلك إلى الاعتراف بوحداية الله ^(١).

والمتدبر للقرآن الكريم وآياته يجد أن الاستدلال بخلق السماء والأرض على الله تعالى متقرر في القرآن في كثير من الآيات، ومن ذلك رفع السماء وإمسакها، ففي رفع السماء وإمساکها تتجلى دلالات العناية والتسخير والتقدير، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [سورة فاطر: ٤١].

وقوله تعالى: ﴿وَيُمَسِّكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة الحج: ٦٥] وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [سورة الرعد: ٢] وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِي﴾ [سورة الروم: ٢٥] وقوله ﷻ: ﴿وَالِى السَّمَاءَ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ [الغاشية: ١٨].

يقول ابن الوزير في تقرير دلالة الآيات السابقة: "هذه حجة أجمع عليها الكفرة مع المسلمين؛ فإن الجميع اتفقوا على أن هذا العالم معلق في الهواء، أرضه وسماءه، وما فيه من البحار والجبال، وجميع الأثقال، وقد ثبت بضرورة العقل أن الثقل لا يستمسك في الهواء إلا بممسك، وأن هذا الإمساك الدائم المتقن لا يكون من غير رب عظيم، قدير عليم، مدبر حكيم" ^(٢).

كذلك تتجلى في بناء السماء وحكها وتزيينها بالكواكب والنجوم وإيساعها دلالة الإتيان والإحكام، كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [سورة

(١) انظر: عقيدة التوحيد في القرآن الكريم ، للدكتور محمد خليل ملكاوي (١٤٧-١٤٩).

(٢) انظر: إظهار الحق على الخلفاء، ل ابن الوزير، محمد بن إبراهيم (٥٤/١) - بتصرف يسير .

الذاريات: ٤٧] وقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ [سورة البقرة: ٢٢] وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٣٢].
 وقوله ﷺ: ﴿أَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [سورة ق: ٦] قال ابن عاشور: "والمراد بالسماء هنا ما تراه العين من كرة الهواء التي تبدو كالطبقة، وتسمى الجو"
 (١).

ويقول تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ [سورة النازعات: ٢٧] -
 [٢٨]، ويقول تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ [سورة الملك: ٣] -
 [٤]، ويقول تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ [سورة الذاريات: ٧] ويقول: ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا﴾ [سورة الشمس: ٥].

كل ذلك أدلة عظيمة على وجود خالق هذه السماء العظيمة الذي زينها بالكواكب والنجوم في عناية وإتقان وتقدير ونظام، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ [سورة الصافات: ٦]، ويقول جل في علاه: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِ﴾ [سورة الحجر: ١٦].

ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ [سورة الملك: ٥] ويقول ﷺ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١] ويلاحظ تخصيص السماء الدنيا بهذه الزينة، وذلك واضح في سياق قوله تعالى: ﴿فَقَضَيْنَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [سورة فصلت: ١٢] وما ذاك -والله أعلم- إلا لأنها هي التي في مدى الرؤية الحسية البصرية، دون بقية

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٨٦/٢٦).

السموات، وفي هذا مزيد تأكيد على ضعف تفسير السماوات السبع بالكواكب. وإنه لمن عجيب أمر العناية الإلهية بهذا الإنسان أن تُجعل هذه المخلوقات العظيمة الهائلة زينة في السماء، من أجل أن ينظر هو إليها، ليتعرف على مُزَيَّنِّها ومُقدِّرها^(١).

أما آيات الأرض فلا تعد ولا تُحصى:

فمن ذلك تهيئة الأرض للسكنى، وإعدادها لتكون موطناً ملائماً للإنسان، ويتجلى ذلك في أوصاف كثيرة، نبّه القرآن الكريم عليها بألفاظ متنوعة، وأساليب متعددة، وذلك -والله أعلم- لإثارة الانتباه، ولفت الأنظار لما تحمل من دلالة، فجاء ذكر فرش الأرض للإنسان في قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ [سورة البقرة: ٢٢] وبمعناه جاء ذكر مهدها في عدة مواضع كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ [سورة طه: ٥٣] وقوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾ [سورة النبا: ٦]، وكذلك بسطها، كما في قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ [سورة نوح: ١٩] ومدها كما في قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ [سورة ق: ٧]، وسطحها كما في قوله تعالى: ﴿وَالِی الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [سورة الغاشية: ٢٠]، وتذليلها كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾ [سورة الملك: ١٥] ووضعها كما في قوله تعالى: ﴿وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ [سورة الرحمن: ١٠].

فهذه الأوصاف المتقاربة تنبه إلى دلالة العناية في تهيئة سطح الأرض للإنسان، كالفرش والبساط، وتنبه كذلك إلى دلالة الخلق، في كيفية صنع هذا السطح على أتم وصف، وخصوصاً آية الغاشية، حيث وجّه النظر إلى كيفية سطح الأرض.

(١) انظر: إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، (٥٤/١) ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين اليمني (المتوفى: ٨٤٠ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٨٧ م.

وجاء كذلك التنبيه إلى وصف آخر يدل على العناية التامة، ألا وهو التثبيت والإرساء، كما في قوله تعالى: ﴿أَمْنَ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ [سورة النمل: ٦١] وقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ [سورة غافر: ٦٤]^(١).

ومن الآيات في الأرض خلق الجبال الرواسي وتسخير الأنهار وإنبات الحقائق والبساتين وما في البحار والمحيطات من المنافع والمخلوقات التي لا يعلمها إلا الله، وأيضا ما بث ربنا ﷻ على هذه الأرض من الدواب والحيوانات، وكل ذلك جاء ذكره في القرآن الكريم في آيات عديدة يصعب استقصاؤها في هذه المباحث، والمقصود التنبيه على هذه المخلوقات العظيمة والاستدلال بها على وجود الله وتوحيده.

ومن الأدلة أيضاً على وجود الله ووحدانيته خلق الإنسان

قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَلْقُونَ﴾ [سورة الطور: ٣٥].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمته الله-: "الاستدلال على الخالق بخلق الإنسان في غاية الحسن والاستقامة، وهي طريقة عقلية صحيحة وهي شرعية دلّ القرآن الكريم عليها، وهدى الناس إليها، وبينها وأرشد إليها، وهي عقلية: فإن نفس كون الإنسان حادثاً بعد أن لم يكن، ومولوداً ومخلوقاً من نطفة، ثم من علقه، هذا لم يُعلم بمجرد خبر الرسول، بل هذا يعلمه الناس كلهم بعقولهم، سواء أخبر به الرسول أم لم يخبر، لكن الرسول أمر أن يُستدل به، ودلّ به، وبينه واحتجّ به، فهو دليل شرعي؛ لأن الشارع استدللّ به، وأمر أن يُستدلّ به، وهو عقلي؛ لأنه بالعقل تُعلم صحته"^(٢).

(١) انظر: الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، لسعود بن عبد العزيز بن محمد العريفي (ص ١٨٢-١٨٩) باختصار.
(٢) انظر: النبوات؛ (٢٩٢/١) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ)، المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

ولقد جاء في القرآن الكريم ذكر خلق الإنسان في كثير من آياته مُجْمَلًا تارة، ومُفَصَّلًا تارات، تنبيهاً إلى دلائل القدرة والحكمة، والعلم والعظمة والكمال والجلال للخالق المبدع، فتارة بذكر أطوار خلقه، وتفصيل القول فيها بما يبهر العقول، ويُلجئها إلى التسليم بالربوبية لصاحب هذا الصنع والتقدير، وتارة بالتنبيه إلى حسن صورته، وتسوية خلقته، وعدلها، وتارة بالتنبيه إلى ما ركب فيه من جوارح وحواس، وتارة بذكر ما صنّف إليه البشر من ألوان وألْسنة وأجناس إلى غير ذلك من مجالات التفكير والاعتبار، والتأمل والادِّكار.

وقد روى البخاري بسنده عن جبير بن مطعم قال: «سمعت النبي يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكَ أَمْ هُمْ الْمُصَيِّطُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة الطور: ٣٥-٣٧] كاد قلبي أن يطير» ^(١).

يقول ابن تيمية في تقرير معنى الآية: "هذا تقسيم حاصر يقول: أخلقوا من غير خالقهم؟ فهذا ممتنع في بدائه العقول، أم هم خلقوا أنفسهم؟ فهذا أشد امتناعاً، فعلم أن لهم خالقاً خلقهم، وهو سبحانه إنما ذكر الدليل بصيغة استفهام الإنكار ليتبين أن هذه القضية التي استدلل بها فطرية بديهية، مستقرة في النفوس، فلا يمكن صحيح الفطرة أن يدّعي وجود حادث بدون مُحدث أحدثه ولا يمكنه أن يقول: هو أحدث نفسه" ^(٢).

وللفخر الرازي وجه استدلال آخر لطيف في خلق الإنسان، أخذه من قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٩٠﴾ [سورة النحل: ٤] حيث يقول في تقرير دلالة الآية: "والمقصود أن الانتقال من تلك الحالة الخسيسة، إلى هذه الحالة العالية الشريفة، لا يحصل إلا بتدبير مدبر حكيم عليم" ^(٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٤٨٥٤) (١٤٠/٦) كتاب التفسير، سورة الطور.

(٢) انظر: الفرقان بين الحق والباطل لابن تيمية ضمن الفتاوى (١٣/١٥١).

(٣) انظر: تفسير الرازي: (٢٢٦/١٩).

ولعل أكثر ما يلفت النظر في ذكر دلالة خلق الإنسان في القرآن الكريم كثرة الاستدلال بأطوار خلقه، ومراحل نشأته وحياته.

فقد جاء ذكر هذه الأطوار مجملًا في عدة آيات مُفصلاً في أكثر منها، فمن مواضع إجمالها قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَانزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمِينًا أَرْوَجُ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الزمر: ٦] وقوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ [سورة نوح: ١٣-١٤].

فتأمل كيف جعل التخليق في بطون الأمهات، وما سبقه من الدلائل في الآية الأولى، دليلاً على ربوبية الله تعالى وانفراده بالملك واستحقاق الإلهية، وكيف جاء التعجب من الانصراف عن مقتضى هذا البرهان القاطع، وما ذلك إلا لشدة وضوحه وجلالته^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [سورة النحل: ٧٨] وآخرها: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [سورة النحل: ٨٠] وجاء في سبب نزولها: "عن مجاهد أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فسأله فقرأ عليه رسول الله ﷺ ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ [سورة النحل: ٨٠] فقال الأعرابي: نعم، قال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا﴾ الآية، قال الأعرابي: نعم، ثم قرأ عليه كُلَّ ذَٰلِكَ، يقول الأعرابي: نعم، حتى بلغ ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [سورة النحل: ٨١] فولى الأعرابي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ " أخرجه ابن أبي حاتم^(٢).

(١) انظر: الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد (١/١٦٦).

(٢) انظر: مختصر تفسير ابن كثير للصابوني (٢/٣٤٢).

قال الشيخ السعدي رحمه الله: " يُذَكِّرُ تعالى عباده نِعَمَهُ، ويستدعي منهم شكرها والاعتراف بها فقال: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ في الدور والقصور ونحوها تَكُنُّكُمْ من الحر والبرد وتستركم أنتم وأولادكم وأمتعتكم، وتتخذون فيها الغرف والبيوت التي هي لأنواع منافعكم ومصالحكم، وفيها حفظ لأموالكم وحرملك وغير ذلك من الفوائد المشاهدة ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا﴾ إما من الجلد نفسه أو مما نبت عليه، من صوف وشعر ووبر، ﴿بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ أي: خفيفة الحمل تكون لكم في السفر والمنازل التي لا قصد لكم في استيطانها، فتقيكم من الحر والبرد والمطر، وتقي متاعكم من المطر، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ الْأَنْعَامِ﴾ من أَصْوَفِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنًا ﴿وهذا شامل لكل ما يتخذ منها من الآنية والأوعية والفرش والألبسة وغير ذلك، ﴿وَمَتَعًا إِلَى حِينٍ﴾ أي: تتمتعون بذلك في هذه الدنيا وتنتفعون بها، فهذا مما سخر الله العباد لصنعتة وعمله. ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ﴾ أي: من مخلوقاته التي لا صنعة لكم فيها، ﴿ظِلَالًا﴾ وذلك كأظلة الأشجار والجبال والأكام ونحوها ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾ أي: مغارات تُكِنُّكُمْ من الحر والبرد والأمطار والأعداء، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ﴾ أي: ألبسة وثياباً ﴿تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ ولم يذكر الله البرد؛ لأنه قد تقدم أن هذه السورة - سورة النحل - أولها في أصول النعم، وآخرها في مكملاتها ومتمماتها، ووقاية البرد من أصول النعم فإنه من الضرورة، وقد ذكره في أولها في قوله: ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ﴾ [النحل: ٥]

﴿وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ﴾ أي: وثياباً تقيكم وقت البأس والحرب من السلاح، وذلك كالدرع والزرذ ونحوها، كذلك يتم نعمته عليكم حيث أسبغ عليكم من نعمه ما لا يدخل تحت الحصر ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ إذا ذكرتم نعمة الله ورأيتموها غامرة لكم من كل وجه ﴿تُسَلِّمُونَ﴾

لعظمته وتنقادون لأمره، وتصرفونها في طاعة موليتها ومسديها، فكثرة النعم من الأسباب الجالبة من العباد مزيد الشكر، والثناء بها على الله تعالى، ولكن أبا الظالمون إلا تمرداً وعناداً، ولهذا قال الله عنهم: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن الله وعن طاعته بعد ما ذُكِّروا بنعمه وآياته ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ أي: ليس عليك من هدايتهم وتوفيقهم شيء، بل أنت مطالب بالوعظ والتذكير والإنذار والتحذير، فإذا أدبت ما عليك، فحسابهم على الله فإنهم يرون الإحسان، ويعرفون نعمة الله، ولكنهم ينكرونها ويحذونها، ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ لا خير فيهم، وما ينفعهم توالي الآيات، لفساد مشاعرهم وسوء قصودهم وسيرون جزاء الله لكل جبار عنيد كفور للنعم متمرد على الله وعلى رسله "(١)".

(١) انظر: تفسير السعدي (ص ٤٤٥).

المبحث الثالث: الأدلة النقلية العقلية على إثبات وقوع البعث والقيامة في ضوء القرآن الكريم:

المراد بالإيمان بالبعث: هو التصديق الجازم بأن الله تعالى يبعث الناس من القبور، ثم يحاسبهم ويجازيهم على أعمالهم، حتى يستقر أهل الجنة في منازلهم، وأهل النار في منازلهم. والإيمان به أحد أركان الإيمان، فلا يصح الإيمان إلا به ^(١).

وقد أكد القرآن الكريم على الإيمان بالبعث، ونبّه إليه في كل مناسبة، وأكد وقوعه، وربط الإيمان به بالإيمان بالله ﷻ في أكثر من موضع؛ وذلك لأن الإيمان بالبعث نتيجة لازمة للإيمان بالله وعده ﷻ، وتوضيح ذلك:

أن الله لا يُقر الظلم ولا يدع الظالم بغير عقاب، ولا المظلوم بغير إنصاف، ولا يترك المحسن بغير ثواب وجزاء، ويعطي كل ذي حق حقه، ونحن نرى في الحياة الدنيا من يعيش ظالماً ويموت ظالماً ولم يعاقب، ومن يعيش مظلوماً ويموت مظلوماً ولم يأخذ حقه، فما معنى هذا والله لا يقبل الظلم؟، معناه أنه لا بد من حياة أخرى غير هذه الحياة التي نعيشها، لا بد من ميعاد آخر يُثاب فيه المحسن ويعاقب فيه المسيء ويأخذ كل ذي حق حقه.

ولقد استدل القرآن الكريم على إمكان البعث وتحقيق وقوعه بأدلة مختلفة:

أولاً: أن الخالق الحكيم لم يخلق الناس عبثاً، ولم يتركهم سدى قال القرطبي عند قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقَكُمْ عَبَثًا﴾ [سورة المؤمنون: ١١٥]: "أي مُهملين كما خُلقت البهائم لا

(١) انظر: السبيل الرشيد في آيات الكتاب المجيد لسعد عبد القادر ماهر (١/١٦٧).

ثواب لها ولا عقاب عليها، مثل قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [سورة القيامة: ٣٦]، يريد كالبهائم مهملاً لغير فائدة " (١).

قال الشيخ العلامة صالح الفوزان عند هذه الآية: "يعني: لو كان ليس هناك بعث ولا حساب، صار خلق الله لهذه المخلوقات في باب العبث؛ لأنها لا تؤدّي إلى غاية ولا نتيجة، فالظالم يظلم في هذه الدنيا، والقاتل يقتل، والعاصي يعصي، والمطيع يُتعب نفسه بالطاعة والعبادة ولا يلقي جزاء، تعالى الله عما يقولون، أما إذا كان هناك بعث ونشور وجزاء على الأعمال، المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، كان خلق الخلق إذاً لحكمة وغاية، وليس عبثاً، فهناك من الظلمة من يموت وهو لم يُجازى في هذه الدنيا، وهناك من الصالحين من يموت وهو فقير مريض لماذا؟ لأن الجزاء في الآخرة، هؤلاء ينتظرهم جزاؤهم في الآخرة.

هذا الكافر، وهذا الظالم، وهذا الطاغية، وهذا الجبار، ينتظرهم جزاؤهم في الآخرة، وهذا المؤمن التقي الصالح الذي مات بالمرض والفقر ينتظره جزاؤه في الآخرة في الجنة؛ لأن الله ما خلق الخلق وأجرى هذه الأمور عبثاً، لا بد لها من نتيجة، ولا بد لها من غاية تنتهي إليها: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥] ﴿أَيَحْسَبُ

الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ يعني: لا يؤمر، ولا يُنهى، ولا يُعبث، ولا يُجازى، يأكل ويشرب ويمكر ويفسق وينتهي أمره إلى لا شيء، أو يتقي ويطيع ويتعب نفسه بالعبادة وينتهي أمره إلى لا شيء، فهذا وجه النص على الإيمان بالجنة والنار؛ لأن الإيمان بهما يحدو على العمل الصالح، والتوبة من العمل السيء؛ ولأن البعث والحساب أنكره كثير من الطوائف الكافرة، فلا بد من الإيمان به، والتصديق به، والإقرار به، وهو أحد أركان الإيمان الستة " (٢).

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٢/١٥٦).

(٢) انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (ص ٦٨)، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الطبعة الثالثة، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م.

فإن الله عدل سبحانه يعطي كل ذي حق حقه لم يسوي بين الخبيث والطيب، ولا بين المحسن والمسيء، فليس من آمن بالله وأطاعه كمن كفر بالله وعصاه قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ [سورة السجدة: ١٨].

قال ابن كثير: "يُخبر تعالى عن عدله وكرمه أنه لا يُساوي في حكمه يوم القيامة من كان مؤمناً بآياته متبعاً لرسله، بمن كان فاسقاً، أي: خارجاً عن طاعة ربه مكذباً لرسله، كما قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [سورة الجاثية: ٢١]، وقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [سورة ص: ٢٨] وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ﴾ [سورة الحشر: ٢٠]". (١)

ثانياً: الاستدلال بالنشأة الأولى:

قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [سورة يس: ٧٨-٧٩].

"قال مجاهد وعكرمة وعروة بن الزبير والسدي وقتادة: جاء أبي بن خلف لعنه الله إلى رسول الله ﷺ وفي يده عظم رميم، وهو يفتته ويذر في الهواء، وهو يقول: يا محمد، أتزعم أن الله يبعث هذا؟ قال ﷺ: «نعم يبعثك الله تعالى، ثم يبعثك، ثم يحشرك إلى النار»^(٢). قال ابن كثير: "وعلى كل تقدير، سواء كانت هذه الآيات نزلت في أبي بن خلف، أو العاص بن وائل، أو فيهما، فهي عامة في كل منكر للبعث"^(٣).

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣٢٩/٦).

(٢) المستدرک علی الصحیحین للحاکم (٤٦٦ / ٢) (٣٦٠٦)، النهاية في غريب الحديث والأثر (ص ٣٤).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٥٢٩/٦).

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۖ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ۚ﴾ [سورة مريم: ٦٦-٦٧] في هذه الآية الكريمة، ينبه الله تعالى الجاحد للبعث على خلقه الأول، ليستدل به على الإعادة، ويعلم أن الذي خلقه من العدم، قادر على أن يعيده بعد الفناء وتشئت الأجزاء.

قال بعض العلماء: " لو اجتمع كل الخلائق على إيراد حجة في البعث على هذا الاختصار، لما قدروا عليها، إذ لا شك أن الإعادة ثانياً أهون من الإيجاد أولاً " (١).

﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفَّتًا آءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۚ﴾ * قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٩﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾﴾ [سورة الإسراء: ٤٩-٥١].

قال البغوي (٢): " ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا﴾ بعد الموت ﴿وَرُفَّتًا﴾ قال مجاهد: تراباً وقيل:

حطاماً. و«الرفات»: كل ما تكسر وبلى من كل شيء كالفتات والحطام، ﴿آءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ ﴿قُل﴾ لهم يا محمد: ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ في الشدة والقوة وليس هذا بأمر إلزام بل هو أمر تعجيز أي: استشعروا في قلوبكم أنكم حجارة أو حديد في القوة ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ قيل: السماء والأرض والجبال ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ

يُعِيدُنَا﴾ من يبعثنا بعد الموت؟ ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ﴾ خلقكم ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ومن قدر على

(١) انظر: تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (١٩٣/٣)، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١ هـ)، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ.

(٢) هو: الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، البغوي الشافعي، تفقه على القاضي حسين المروزي صاحب التعليقة، وحديث عنه، وعن أبي عمر عبد الواحد المليحي، وأبي الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي، ويعقوب الصيرفي وغيرهم، توفي بمرور الرُّوذ سنة ٥١٦ هـ، وله من التصانيف: معالم التنزيل في تفسير القرآن، ومصابيح السنة، والتهذيب في فقه الإمام الشافعي، انظر: تاريخ إربل (٨٧/٢)، وفيات الأعيان (١٣٦/٢)، سير أعلام النبلاء (٤٣٩/١٩).

الإنشاء قدر على الإعادة ﴿فَسَيُغْضُوبَنَّ إِلَيْكَ رُءُوسُهُمْ﴾ أي: يحركونها إذا قلت لهم ذلك مستهزئين بها ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ﴾ أي: البعث والقيامة ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ أي: هو قريب؛ لأن عسى من الله واجب، نظيره قوله تعالى: «وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً»^(١).

ثالثاً: الاستدلال على وقوع البعث بمن أُماتهم الله ثم أحياهم

١- فقد ذكر القرآن الكريم عدداً من الأمثلة من هذا النوع من الاستدلال، ومما ذكره الله تعالى عن قوم موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ٥٥ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٥٦﴾ [سورة البقرة: ٥٥-٥٦].

قال الامام الطبري: "﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ﴾ ثم أحييناكم وأصل البعث: إثارة الشيء من محله، ومنه قيل: بعث فلان راحلته: إذا أثارها من مبركها للسير، ومن ذلك قيل: بعثت فلاناً لحاجتي: إذا أقمته من مكانه الذي هو فيه للتوجه فيها، ومن ذلك قيل ليوم القيامة: يوم البعث؛ لأنه يوم يُثار الناس فيه من قبورهم لموقف الحساب" ^(٢).

(١) انظر: تفسير البغوي (١٣٨/٣).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٦٩١/١).

قال النحاس^(١): "وهذا احتجاج على من لم يؤمن بالبعث من قريش، واحتجاج على أهل الكتاب إذ أخبروا بهذا"^(٢).

٢- قصة الرجل من بني إسرائيل الذي ضُرب بعضو من أعضاء البقرة، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (٧٢) فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٧٣) [سورة البقرة: ٧٢-٧٣] أي واذكروا يا بني إسرائيل وقت قتل هذه النفس وما وقع فيه من القصة والخطاب لليهود المعاصرين للنبي ﷺ، وإسناد القتل والتدريء إليهم؛ لأن ما يصدر عن الأسلاف يُنسب للأخلاف توبيخاً وتقريعاً " (٣).

قال ابن كثير عند تفسيره للآية: قال البخاري: ﴿فَادَّارَأْتُمْ﴾ اختلقتهم ".

وقال عطاء الخراساني، والضحاك: اختصمتم فيها، وقال ابن جريج ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ [سورة البقرة: ٧٢]. قال: قال بعضهم أنتم قتلتموه.

﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ قال مجاهد: ما تغيبون، وقال المسيب بن رافع: ما عمل رجل حسنة في سبعة أبيات إلا أظهرها الله، وما عمل رجل سيئة في سبعة أبيات إلا أظهرها

(١) هو: أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري، أبو جعفر النحاس، من أهل العلم بالفقه والقرآن، رحل إلى العراق، وسمع من الزجاج، وأخذ عنه النحو، وسمع من جماعة ممن كان بالعراق كابن الأنباري ونفطويه وغيرهما، توفي سنة ٣٣٨هـ، من مصنفاته: معاني القرآن، والناسخ والمنسوخ، وإعراب القرآن وغيرها، انظر: إنباه الرواة عن أنباه النحاة (١٣٩/١)، وفيات الأعيان (٩٩/١)، طبقات المفسرين للداوودي (٦٨/١).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٤٠٤/١).

(٣) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن (١٩٩/١)، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (المتوفى: ١٣٠٧ هـ)، عني بطبعه وقدم له وراجعته: خدام العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

الله، وتصديق ذلك في كلام الله: ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (٧٢) فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ﴿[سورة البقرة: ٧٢-٧٣] هذا البعض أي شيء كان من أعضاء هذه البقرة فالمعجزة حاصلة به،

وقوله: ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ أي: فضربه فحيي، وتبّه تعالى على قدرته وإحيائه الموتى بما شاهدوه من أمر القتل، فجعل ﷺ ذلك الصنع حجة لهم على المعاد، وفاصلاً ما كان بينهم من الخصومة والفساد " (١).

٣- قصة الذين أخبر الله تعالى عنهم في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٣].

"وهؤلاء هم قوم من بني إسرائيل، وقع فيهم الوباء، ففروا هارين، قال ابن عباس رضي الله عنه:
"كانوا أربعة آلاف، وعنه كانوا ثمانية آلاف، وعنه أيضاً أربعون ألفاً خرجوا فراراً من الطاعون، قالوا نأتي أرضاً ليس بها موت، حتى إذا كانوا بموضع كذا وكذا، قال الله لهم: "موتوا" فماتوا، فمر عليهم نبي من الأنبياء، فدعا ربه أن يحييهم، فأحياهم" (٢).

٤- ما أخبر الله عنه من قصة أصحاب الكهف، قال تعالى: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿[سورة الكهف: ١٠-١١] قال ابن كثير رحمه الله: "ذكر غير واحد من السلف أنه قد حصل لأهل ذلك الزمان شك في البعث وفي أمر القيامة، وقال عكرمة: كان

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/٣٠٢).

(٢) انظر: تفسير ابن عطية (١/٣٢٨)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢ هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ.

منهم طائفة قد قالوا: تبعث الأرواح ولا تبعث الأجساد، فبعث الله أهل الكهف حجة ودلالة وآية على ذلك " (١).

رابعاً: الاستدلال على البعث بإحياء الله الأرض بعد موتها.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٥٧].

قال الطاهر بن عاشور: "وجملة: ﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ معترضة استطراداً للموعظة والاستدلال على تقريب البعث الذي يستبعدونه، ووجه الشبه هو إحياء بعد موت، ولا شك أن لذلك الإحياء كيفية قدرها الله وأجمل ذكرها لقصور الإفهام عن تصورها.

وجملة: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ مستأنفة، والرجاء ناشئ عن الجمل المتقدمة من قوله:

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ لأن المراد التذكر الشامل الذي يزيد المؤمن عبرة وإيماناً، والذي من شأنه أن يقلع من المشرك اعتقاد الشرك ومن منكر البعث إنكاره" (٢).

وقال أيضاً ربنا جل في علاه في موضع آخر: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة فصلت: ٣٩].

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٣٢/٥).

(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٨٤/٨).

قال الطبري: "﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ﴾" [فصلت ٣٩] يقول تعالى ذكره: إن الذي أحيا هذه الأرض الدارسة فأخرج منها النبات، وجعلها تهتز بالزرع من بعد ييسها ودثورها بالمطر الذي أنزل عليها لقادر أن يحيي أموات بني آدم من بعد مماتهم بالماء الذي ينزل من السماء لإحيائهم، قال السدي: "كما يحيي الأرض بالمطر، كذلك يحيي الموتى بالماء يوم القيامة بين النفختين" (١).

(١) انظر: تفسير الطبري (٤٣٩/٢٠).

المبحث الرابع: الاعتبار بحال الملحدين ومآلهم:

أما حالهم في الدنيا ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [سورة يونس: ٣٢] و ماذا بعد النور إلا الظلمات، فلا تسأل عن الوحدة والضنك والهم الذي يعيشه الملحد في حياته، وقد بينت الرسالة فيما سبق ما يسببه الإلحاد من الشعور بالوحدة الحقيقية القاتلة، وقد جاء ذلك باعتراف من كان في صفوفهم ثم عاد واهتدى، ولعلنا هنا نذكر ما جاء في كتاب: (الإلحاد مشكلة نفسية) للدكتور عمرو شريف في بيان الأحوال النفسية التي تسببها نظرة الملاحدة للحياة باعتبارها خالية من الحكمة، وليس وراءها إلا العدم، نسأل الله العافية والسلامة.

ومما ورد أنه في لحظات من الشك في الإلحاد، صرّح الفيلسوف جان بول سارتر قائلاً: " لا أتحمل أن أرى نفسي كومة من التراب الذي ظهر بالصدفة في الكون، إني أرى نفسي كائناً محسوباً حسابه، أستدعي لغاية، كائن لا يوجد إلا كخلق لإله حكيم، إن هذا القول يتعارض مع الكثير من آرائي، لكنها فكرة تطفو إلى السطح كل حين وآخر، إن هذه الفكرة تدفعني لأعيد النظر في منظومتي الفكرية"، وبالفعل أعاد سارتر بناءه الفكري وهو على فراش الموت".

"ونفس التردد مرّ به دارون -صاحب نظرية أن أصل الإنسان قرد، وقد اعتمد الملحدون كثيراً على تلك النظرية الضالة- في حوار مع دوق أرجل، حين سأله قائلاً: " لا شك أن الزهرة الجميلة من عمل إله حكيم" أجابه دارون: "هذه الفكرة دائماً ما تعصف بعقلي، لكنها للأسف تتلاشى بعد فترة".

"ولا شك أن أفضل المعبرين عن مأساة الغوغائية والعدمية هم الملاحدة أنفسهم عند الاقتراب من الموت:

- كان فولتير يصرخ: ما أسوأه من مصير أن أتلاشى في العدم.
- وقال الفيلسوف توماس كارليل: "لست إلا إنساناً عجوزاً يقترب من المصير المجهول.

- وكان الكونت ميرابو يصرخ عند وفاته: أعطوني مورفين، لا أستطيع أن أفكر في العدم.

- وقد وصف عالم اللاهوت القديس أغسطين وأيضاً عالم الفيزياء والدين الفرنسي العلاج في قولهما: "فقط مع الإله نحن في راحة .

ثم يختم الكتاب هذه الفقرة بقوله: "إن العدمية وانعدام الغائية - بما يحملانه من يأس مطلق - هما الجحيم بعينه، والأمل هو استغاثة طلب صحبة - معية - الله، الآن وفيما بعد، فإن مات الأمل وُلد الجنون.

إن قناع الإلحاد ليس إلا التعبير الأكبر عن انعدام الأمل، لا حياة بلا أمل ^(١).

— وصدق الله تعالى حين قال في كتابه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [سورة طه: ١٢٤].

وقال: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة الملك: ٢٢] وقال ﷻ: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [سورة الفرقان: ٤٤] ووصف من ضل بقوله: ﴿صُمًّا بُكْرًا عُمْى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٨].

وقال ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ [سورة الرعد: ١٦]

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾ [سورة النور: ٤٠]

— نسأل الله العافية والسلامة، والحمد لله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا لقد جاءت رسل ربنا بالحق.

ختاماً:

قال الله تعالى في سورة النحل: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَىٰ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٣٨] لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ

(١) انظر: الإلحاد مشكلة نفسية (ص ١٤٩ وما بعدها).

الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٩﴾ [سورة النحل: ٣٨-٤٠].

قال الشيخ عمر الأشقر: "الكفار من قريش يكذبون بالبعث والنشور، وليؤكدوا قولهم هذا أقسموا بالله ﴿جَهَدَ أَيْمَانَهُمْ﴾ أي: بحلفهم أغلظ الأيمان، وقد ردَّ الله تعالى عليهم قولهم هذا بقوله: ﴿بَلَىٰ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ أي: بلى، أي سيبعث الله كلَّ من يموت، وبعث الناس يوم القيامة وعد على الله، لا بدَّ منه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يعلمون أنَّ بعث العباد أمر يسير على الله، لا يعجزه من ذلك شيءٌ.

ثم بيَّن ربُّ العزة سبحانه الغرض من بعث العباد، فقال سبحانه: ﴿لِيَبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾ [سورة النحل: ٣٩] أي: ليبين الله تعالى لعباده ما كانوا يختلفون فيه في الحياة الدنيا، وأعظمه اختلافهم في التوحيد، واختلافهم فيما كانوا يعبدونه من دون الله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾ أي: وليعلم الذين كفروا أنهم كاذبين فيما أقسموا عليه أنَّ الله تعالى لا يبعث من يموت، ولذلك فإنَّ زبانية النار تقول لهؤلاء المكذبين بالبعث والنشور، وهي تدعُّهم إلى النار: ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ ﴿أَفَسِحْرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ ﴿أَصَلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الطور: ١٤-١٦].

ثم بيَّن لنا ربُّنا - ﷻ - أنَّ أمر بعث العباد في يوم المعاد سهل يسير عليه سبحانه، ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] فالله - ﷻ - إذا أراد أن يخلق شيئاً، فإنما يقول له: كن فيكون كما أَراده الله ﷻ، فالله لا يعجزه شيءٌ، وليس هناك شيءٌ يأمره الله فيرفض ولا يطيع، وقد جاء في الحديث أنَّ الذين زعموا أنَّ الله تعالى لا يبعث من يموت قد كذبوا على الله ﷻ، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ، ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، أمَّا تكذيبه إياي أن يقول: إني لن

أُعيدته كما بدأته، وأما شتمه إياي أن يقول: اتَّخَذَ اللهُ وَلِداً وأنا الصمد الذي لم ألد ولم
أولد، ولم يكن لي كفواً أحدٌ»^(١) [البخاري: ٤٩٧٥] ^(٢).

قال القرطبي^(٣) في قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾: "هذا تعجيب من صنعهم،
إذ أقسموا بالله وبالغوا في تغليظ اليمين بأن الله لا يبعث من يموت، ووجه التعجيب أنهم
يظهرون تعظيم الله فيقسمون به ثم يعجزونه عن بعث الأموات"^(٤).

ومن تدبر القرآن الكريم حقاً علم أنه " أعظم كتاب يُعالج به الإلحاد، وهو مليء بأقوى الحجج
والبراهين العقلية والعلمية والفطرية وأبلغ الكلمات والعبارات التي تدحض شبهات الملحدين،
ومخطئ من ظن أن القرآن مجرد آيات تؤخذ بالإيمان الأعمى والتصديق المجرد، وما من ملحد
مهما بلغ في إلحاده يفتح عقله ساعة ويتجرد من التعصب برهنة ويطلب الحق بإنصاف وتجرد
ويتدبر في آيات القرآن البليغة التي تخاطب العقول والقلوب إلا وينصاع لصوت الحق الدامغ،
ومهما ذهب الملحد بعيداً في نظريات وفرضيات وظنون إلى أقصى أقاصي الكون ومهما أوغل
في أعماق أعماق أدق الجسيمات، ومهما تحدث عن أكوان متعددة أو متضخمة أو متوازية أو
متذبذبة أو غير ذلك فإن قواعد الحقيقة لن تتغير أبداً، وسيبقى هذا الكون وتلك الأكوان
تسبح بحمد الله ﷻ، ويبقى النداء الذي يغمر أرجاء الكون الفسيح ويعمر أنحاء: ﴿ذَلِكُمْ

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: الله يحدث عباده عن نفسه؛ للشيخ عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر (ص ٩٤-٩٦).

(٣) هو: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، تتلمذ وسمع من ابن رواج، والقرطبي شارح مسلم، وأبي علي الحسن
بن محمد البكري الحافظ وغيرهم، وله من المؤلفات: الجامع لأحكام القرآن، والتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، وشرح
موطأ مالك، توفي سنة ٦٧١هـ، انظر: الوافي بالوفيات (٨٧/٢)، طبقات المفسرين للداوودي (٦٩/٢)، الأعلام
(٣٢٢/٥).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (١٠٥/١٠).

اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٣٢﴾ [سورة الأنعام: ١٠٢].

وهذا أحد الملاحدة في قناة من القنوات، يجاهر بإلحاده، ويتمادي في جداله وجرأته واستهزائه، فيتصل متصل، ويتلو آيات من سورة الروم من قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخِلَافُ السِّنِّ وَالْوَنُكُورُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنْامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَنُوتٌ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٩﴾ [سورة الروم: ١٧-٢٩].

تلاها بصوت عذب ندي، لتأسر هذه الآيات لب هذا الملحد العنيد، وتزلزله زلزالاً شديداً، وتذيب إلحاده ذوباناً سريعاً، لينهار في لحظات، آيات لم تخاطب قلبه فقط، بل خاطبت قلبه وعقله، بكلمات معجزة لا مثيل لها، جابت به آفاق الكون والحياة، ودكرته بآيات الليل

والنهار، وخلق الإنسان واختلاف الألسنة والألوان والمطر والبرق والإنبات وغير ذلك، وضربت له الأمثلة على الإحياء والإماتة والقدرة الإلهية الباهرة، وهزته هزاً بالدعوة المتكررة لإعمال العقل والفكر، فجاءت خواتيم الآيات متواليات: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(١).

(١) انظر: مشكلة الإلحاد أسبابها وعلاجها؛ الشيخ أحمد بن محمد الشحي (١ / ٢ / ٣).

الباب الثالث

التحصين الفكري في القرآن الكريم من التكفير وفكر الخوارج

وفيه فصلان:

الفصل الأول: تحذير القرآن الكريم من الغلو والإفساد في الأرض

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التحذير من الغلو في الدين .

المبحث الثاني: التهي عن الإفساد في الأرض .

المبحث الثالث: الوعيد الشديد لمن قتل الأنفس المعصومة .

المبحث الأول: التحذير من الغلو في الدين

إن بوادر التشدد والتكفير ظهرت في عهد نبينا ﷺ، ففي الحادثة المشهورة بعد غزوة حنين، عندما قسّم النبي ﷺ الغنائم، وأعطى المؤلفة قلوبهم من مسلمة الفتح وزادهم، وضاعف لهم حتى وجد بعض الناس من الأنصار في نفوسهم شيئاً، فتحدث إليهم النبي ﷺ فأزال ما في النفوس، وأجرى دمع العيون، ورضوا بالله وبرسوله ﷺ.

وجاء رجل فقال للنبي ﷺ: «إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله - ﷻ -!»،^(١) يقول إن قسمة النبي ﷺ قسمة ظالمة لم يرد بها وجه الله!،، نعوذ بالله.

لا شك أن هذا الاعتراض من الكفر؛ لأن النبي ﷺ ما ينطق عن الهوى، وفعله تشريع ولا يقوم بأمر إلا وهو من أمر الله - ﷻ -، فغضب النبي ﷺ بعد مقالته غضباً شديداً، وقال: «ويحك من يعدل إن لم أعدل» ثم أخبر فقال: «يخرج من ضئضى هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»^(٢)، لهم تعبد ولهم تنسك، لكنهم يخرجون من الدين بما تشددوا فيه وبما أضافوا عليه، وبما حكموا به على الناس من الكفر والعياذ بالله، وأشار بذلك النبي ﷺ إلى الخوارج الذين كان لهم ما كان في تاريخ أمة الإسلام إلى يومنا هذا، وأن هذا الرجل هو أول الخوارج.

(١) أخرجه البخاري برقم (٣١٥٠) (٩٥/٤) كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس، ومسلم برقم (١٠٦٢) (٧٣٩/٢)، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبح من قوي إيمانه.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧٤٣٢) (١٢٧/٩) كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع، ومسلم برقم (١٤٤) (٧٤٢/٢) كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم.

ولنتأمل هنا بعض النماذج الواقعة في حياته ﷺ ولنرى كيف غرس بذور الوقاية من هذا التطرف في أصحابه ﷺ فأثمرت الوسطية ثماراً يانعة ذاق الناس حلاوتها، فدخلوا في دين الله أفواجاً.

في الصحيح من حديث عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة فقال «من هذه؟» قالت: فلانة تذكر من صلاتها، فقال ﷺ: «مه! عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا»^(١)، قالت عائشة: وكان أحب الدين إليه ما كان أيسر.

تأمل في قوله ﷺ: «فإن الله لا يمل حتى تملوا».

وقد قيل: "إن من آثار التشديد السامة والضجر؛ لأن الإنسان قد يندفع في أول الأمر فيقول سأفعل وأفعل ثم بعد يومين أو ثلاثة أو بعد أسبوعين أو ثلاثة أو نحو ذلك يتسرب الملل إلى نفسه، فلا يترك الزيادة بل يترك الأصل كله وهذا الذي يقع من كثير من الناس عندما نرى أحوالهم كيف يبدون مندفعين، وكيف ينتهون منقطعين نسأل الله - ﷻ - السلامة.

وكل خارج عن أمر الله تعالى وهدى رسوله ﷺ عاقبته غير محمودة، حتى وإن كان بظنه مريداً للخير.

قال أنس بن مالك - رضي الله عنه - : دخل النبي ﷺ فإذا جبل ممدود بين السارتين، فقال: «ما هذا الجبل؟» قالوا جبل لزنب - رضي الله عنه - ، فإذا فترت تعلقت به، فقال النبي ﷺ: «حُلُّوه، لِيُصَلَّ

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٣) (١٧/١)، كتاب الإيمان، باب أحب الدين إلى الله ﷻ أدومه، ومسلم برقم (٢٢١) (٥٤٢/١) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد، أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك.

أحذركم نشاطه فإذا كسل أو فتر قعد»^(١)، وهنا تحذير من التشدد ورد منه ﷺ إلى الاعتدال والتوسط.

وهذا قد وقع في حياته من حُلص أصحابه رَضِوا ﷺ، ومنهم عبد الله بن عمرو بن العاص، الذي قال له النبي ﷺ: «يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار، وتقوم الليل» قال: بلى يا رسول الله! فردّه النبي ﷺ إلى الاعتدال فقال: «فلا تفعل، صم وأفطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزورك عليك حقاً، وإن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام» قال: فشددتُ فشددَ علي، قلت: يا رسول الله إني أجد قوة، قال: «فصم صيام داود -ﷺ- ولا تزد عليه» قلت: وما كان صيام داود ﷺ، قال: «نصف الدهر»^(٢) أي: يصوم يوماً ويفطر يوماً، فكان عبد الله يقول بعد ما كبر: يا ليتني قبلت رخصت النبي ﷺ.

وأيضاً قصة النفر الثلاثة مشهورة لما جاءوا إلى بيوت النبي -ﷺ- يسألون عن عبادته، فعلموا أنه كان يصلي، وكان ينام، وكان يُلاعب أهله، وكان يمزح مع أحفاده ونحو ذلك، فكأنهم تقلّوها -يعني رأوها قليلة- فقال بعضهم لبعض: هو رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فنحن نحتاج إلى الزيادة، قال أحدهم أما أنا فأصلي فلا أنام، وقال الآخر: وأما أنا أصوم ولا أفطر، وقال الثالث: وأما أنا فلا أتزوج النساء، فسمع النبي صلى الله عليه وسلم يخبرهم فقام خطيباً في الناس: «ما بال أقوام قالوا كذا وكذا، لكني

(١) أخرجه البخاري برقم (١١٥٠) (٥٣/٢) كتاب التهجد، باب، ومسلم برقم (٧٨٤) (٥٤١/١) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك، واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٩٧٥) (٣٩/٣) كتاب الصوم، باب حق الجسم في الصوم، ومسلم برقم (١١٥٩) (٨١٣/٢) كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقاً.

أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني»^(١)؛ لأن الزيادة على رسول الله ﷺ كأن فاعلها يظن أنه خيراً منه ﷺ والأعظم من ذلك أنه يخرج عما شرعه الله ويبيّن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الدين، ومن هنا تنبع خطورة الأمر، وقد يُفضي التشديد بصاحبه إلى تكفير غيره واعتناق فكر الخوارج نسأل الله العافية.

ولذلك أرشد النبي ﷺ الصحابة ونّبّه الأمة إلى ما ينبغي أن تُساس به النفوس، وتُستجلب به القلوب من اللين والرفق، فقال كما في حديث عائشة - رضي الله عنها -: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنزع من شيء إلا شانه»^(٢).

ومن تأمل سيرة النبي ﷺ وجد الرفق ظاهراً في ليلاليه وأيامه، وحوادثه وأعوامه، وقصة الأعرابي الذي دخل إلى المسجد فبال فيه^(٣) - خير شاهد - حين عمد الصحابة إليه لينهوه أو ليزجروه - وهم في شدة الغضب من فعله - فقال النبي ﷺ: «دعوه» وفي بعض الروايات: «لا تُزرموه»، وفي أخرى: «لا تقطعوا على الأعرابي بولته» ثم لما قضى الأعرابي حاجته، ماذا فعل النبي ﷺ؟ أمر الصحابة الذين كانوا منكبين وغاضبين فقال: «صُبُّوا على بول الأعرابي سداً من الماء» وقال ﷺ للرجل بعد ذلك: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول والقدر»^(٤).

(١) أخرجه مسلم برقم (١٤٠١) (١٠٢٠/٢) كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقّت نفسه إليه ووجد مؤنه واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٩٤) (٢٠٠٤/٤) كتاب البر والصلة، باب فضل الرفق.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٦٠٢٥) (١٢/٨) كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، ومسلم برقم (٢٨٥) (٢٣٦/١) كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات.

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٨٥) (٢٣٦/١) كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات.

وقصة معاوية بن الحكم السلمي ^(١) - رضي الله عنه - عند البخاري، قصة مشهورة - وكان من الأعراب في البادية - فجاء إلى المدينة ودخل في الصلاة وهو لا يعلم كثيراً من الأحكام التي قد نزلت في غيابه، فلما صلى عطس في الصلاة فقال بصوت عالٍ: الحمد لله، وهو لا يعلم النهي عن الكلام في الصلاة، قال: فجعلوا يحدّون النظر إليّ - يعني بعض الصحابة ينظرون إليه - قال بعض أهل العلم لم يكن قد نُهي عن الالتفات في الصلاة، أو كان الذين بجواره ينظرون إليه، قال فجعلوا يحدّون النظر إليّ فقلت: واثكل أماء! مالكم تنظرون إليّ - وهو في الصلاة - قال: فجعلوا يضربون على أفخاذهم، فعلمت أنهم يُسكتونني فسكت، قال: فلما قُضيت الصلاة دعاني رسول الله ﷺ فقال: بأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده خيراً منه قط، فوالله ما نُهرني ولا كهرني ولكن قال: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس» ^(٢).

ومن لطائف استشهادات أهل العلم من القرآن الكريم ما ورد في قصة موسى عليه السلام وفرعون لما أمر الله موسى وهارون عليهما السلام أن يُبلّغا دعوة الله تعالى إلى فرعون - أكثر أهل الأرض كفراً وطُغياناً -، فقال لهما: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [سورة طه: ٤٤] فأخذ هذا المعنى أحد الخلفاء عندما جاءه من ينكر عليه بغلظة وشدة، فقال: يا هذا ليس من تنكر عليه أكفر من فرعون، ولا أنت بأفضل من موسى عليه السلام -، وقد أمره الله أن يلين وهو نبي إلى فرعون وهو أكفر الكافرين ^(٣).

(١) معاوية بن الحكم السلمي، كان ينزل المدينة، ويسكن في بني سليم، روى عنه عطاء بن يسار، وابنه كثير، انظر:

الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٤١٥/٣)، أسد الغابة (٤/٤٣٢)، الإصابة في تمييز الصحابة (١١٨/٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٥٣٧) (٣٨١/١) كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته.

(٣) البداية والنهاية ط هجر (٣٦/١٤).

هذه سُنَّته ﷺ وهذا هديهِ، فلنلْزِم أنفسنا هديهِ ولنتبع خطاه على سبيلهِ إن أردنا النجاة والفلاح في الدنيا والآخرة ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسُبْحَنَ
اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة يوسف: ١٠٨].

ومن أمور التشدد أيضاً والغلو التي قد نراها في حياة الناس، وتبدأ تنتشر في بعض المجتمعات ويحصل بها خلاف بين الآباء والأبناء: النظرة إلى الدنيا فمن تارك لها تركاً يشبه تحريمه لطيباتها، وينكر على من أخذ مما يحل فيها، ومن غارق في بحر شهواته قد علق بها قلبه وشغل بها فكره، وقضى فيها وقته، ونسي لأجلها آخرته -والعياذ بالله-، وكلا الطرفين خطأ والتوسط هو المطلوب.

ولقد حذرنا القرآن الكريم من حال أهل الكتاب، وقد كانا في طريقي نقيض، وفدعانا القرآن إلى الوسط، قال الله -ﷻ- في شأن اليهود مبيناً تعلقهم بالدنيا، ورغبتهم فيها وتقديسهم لها وعبادتهم لها، وبيعهم وتضحيتهم لأجلها، قال: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوةٍ﴾ [سورة البقرة: ٩٦] هم أحرص الناس على الدنيا وإن باعوا دينهم، وإن غيروا أخلاقهم، وإن نكثوا عهودهم فالدنيا هي عبادتهم، فمن كانت الدنيا عنده بهذه المنزلة فهو على شبه من اليهود في أصل ما هو عليه.

في جانب آخر ذمَّ الله -ﷻ- النصارى أي قساوستهم ورهبانهم في دينهم وملتهم قال: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ [سورة الحديد: ٢٧] والرهبانية هي الانقطاع والانعزال والخلوة في الصوامع والكهوف والجبال التي خرجوا إليها وتركوا الدنيا بزعمهم.

وأما التوسط الذي دعانا إليه القرآن الكريم فهو كما في قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة القصص: ٧٧]، انظر إلى هذا التوجيه الإيماني الذي

يجعل المؤمن متميزاً بوسطيته، فلا غلو ولا تفريط، وهذا أمر مهم فالغاية هي الآخرة، ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ خذ من حلالها ومن خيرها ما يعينك على طاعة الله - ﷻ - ولا حرام إلا ما حرمه الله - ﷻ - ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧]، فمن وفقه الله للعمل بهذه الآيات وسعى دائماً ليكون من أهل الإحسان فقد نال خيراً كثيراً.

ومن أعظم الغلو والتشدد المنهي عنه: أمر تكفير المسلمين -والعياذ بالله- وتكفير كل من ارتكب كبيرة من الكبائر، أو وقع في معصية من المعاصي، وهذا هو ديدن الخوارج واعتقادهم ومن تأثر بمنهجهم وفكرهم في هذا العصر، فكلما رأوا رجلاً مقصراً في جانب من الجوانب أو واقع في معصية من المعاصي وصموه بالكفر وحكموا عليه بالخلود في النار والعياذ بالله، وهم لا يشعرون أنهم يجترئون اجتراءً عظيماً، ويقعون في محذور ومحذور أعظم مما يظنونهم غيره أو انتصاراً للدين، ويناقضون صريح القرآن في قول الله - ﷻ -: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة النساء: ٤٨].^(١)

وحديث نبينا ﷺ القدسي عن ربنا ﷻ واضح الدلالة، صريح بدليها: «يا ابن آدم لو لقيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لقيتك بقرابها مغفرة ولا أبالي»^(٢).

وينسون ولا يدركون كثير من الآيات ودلالاتها: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَفُتِلُوا إِلَىٰ تَبَٰئِ حَتَّىٰ تَقَىٰ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة الحجرات: ٩].

(١) الوقاية من الغلو في الدين (مقال من موقع مداد الإسلام).

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٣٥٤٠) (٥/٥٤٨)، وصححه الحاكم في المستدرک (٤/٢٦٩).

المتقاتلين هنا سَمَّاهم الله - ﷺ - مؤمنين، نعم هم مخطئون، عاصون، ومستحقون للعقوبة من الله - ﷻ - إلا أن يتوب عليهم؛ لكنهم مسلمين مؤمنين، لم يخرجوا من الملة، فلم يستحقوا سمة الكفر التي تخلدهم في النار والعياذ بالله.

ومن هذا الباب يقع أيضاً شر كبير و بلاء عظيم، وذلك بدعوة هؤلاء إلى نقض الطاعة ممن ولّاه الله - ﷻ - أمرهم، وإن كان فيه نقص وإن كان فيه ظلم، وإن كان فيه عدوان، وإن كانت فيه مخالفة؛ فإن الشارع الحكيم قد سد هذا الباب سداً محكماً، وحذر منه تحذيراً عظيماً، وجعل الأمر فيه مستنداً إلى بينة واضحة وإلى برهان قاطع كما في حديث عبادة ابن الصامت رضي الله عنه قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وأن لا ننزع الأمر أهله، وأن نقوم -أو نقول- بالحق حيثما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم» (١).

وقد ذكر النبي ﷺ في أحاديث كثيرة عسف الأمراء وجورهم وظلمهم، وفي كثير من الروايات قالوا: يا رسول الله ألا نُقاتلهم قال: «لا، ما أقاموا فيكم الصلاة» (٢).

وكثيرة هي الأحاديث التي تُحذّر المؤمنين من هذا الخطر، فشق عصا الطاعة وزرع بذور الفرقة والخروج عن الجماعة يُفضي إلى انعدام الأمن، وإلى كثرة الهرج والمرج والقتل، وإلى سفك الدماء، والإفساد في الأرض، فنسأل الله - ﷻ - العافية والسلامة.

(١) أخرجه البخاري برقم (٧١٩٩) (٧٧/٩) كتاب الأحكام، باب كيف يبائع الإمام الناس.

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٨٥٥) (١٤٨١/٣) كتاب الإمارة، باب خيار الأئمة وشرارهم.

لهذا حذر النبي ﷺ من ذلك وأمر بالصبر والاعتصام بالكتاب والسنة ولزوم الجماعة، مع السمع والطاعة حين قال: «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة»^(١).

وفي حديث آخر أيضاً عن النبي ﷺ أمر فيه المؤمن بالصبر على الأمراء وإن ظلموك، قال عليه الصلاة والسلام وإن «جلد ظهرك وأخذ مالك»^(٢)، أولاً لأن هذا ظلم خاص لا يتعداك إلى غيرك، وفي خروجك وشق عصا المؤمنين انتشار لذلك الظلم فيقع الظلم العام والقتل والإفساد، وأيضاً لأنك لو انتصرت ستنتصر لظهرك المجلود، ومالك المسلوب، وتلبس ذلك لباس الدين و كأنك انتصرت لله، لذا ليحذر المؤمن ويلزم غرز السنة وليطعها وإن خالف ذلك هوى نفسه، ولا يكن ممن قال الله فيهم: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة النور: ٦٣]، والمقصود: أمر النبي ﷺ.

(١) أخرجه البخاري برقم (٧١٤٢) (٦٢/٩) كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية واللفظ له، ومسلم برقم (١٢٩٨) (٩٤٤/٢) كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر ركباً.

(٢) أخرجه أبو داود برقم (٤٢٤٤) (٢٩٦/٦)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٠٠/٤).

المبحث الثاني: النهي عن الإفساد في الأرض.

من تلا القرآن وتدبره، وتفكر في آياته وتأمله، استقر في يقينه دعوة القرآن الحكيم للإصلاح في الأرض، فتارة يدعو إليه، وأخرى يبين جزيل الثواب عليه، قال ربنا ﷺ: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء: ١١٤].

لذا من تمسك بالقرآن كان من المصلحين ولا بد، ومن أصلح ثبت أجره عند خالقه ومولاه، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٧٠]، فارتباط الإيمان في القرآن الكريم بالعمل الصالح واضح ظاهر، وقد ذكر الإصلاح مع التوبة في كثير من الآيات مثل قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [سورة مريم: ٦٠]، وقوله ﷺ: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِعَايَتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الأنعام: ٥٤].

وفي المقابل نهى القرآن الكريم عن الإفساد في الأرض، وحذّر منه، وتوعد عليه الوعيد الشديد كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة المائدة: ٣٣]، وقال الله جل في علاه أيضاً في سورة محمد: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا

أَرْحَمَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَأْمُرْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ [سورة محمد: ٢٢-٢٤].

لنتأمل في هذه الآيات من سورة محمد ﷺ، وكيف جاء ذكر العاقبة الوخيمة للفساد في الأرض ثم الحث على تدبر القرآن، وفي ذلك فائدة مهمة والله أعلم، وهي أن من تدبر القرآن الكريم حقاً وعمل به يستحيل أن يفسد في الأرض أو أن يسفك الدماء لأن من أعظم ما دلّ عليه القرآن الكريم الإصلاح في الأرض والنهي عن الفساد فيها، قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [سورة الأعراف: ٥٦] فهل من معتبر.

قال ابن عباس ؓ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [سورة الأعراف: ٥٦]: "كانت الأرض قبل أن يُبعث إليها شعيب رسولا، يُعمل فيها بالمعاصي، ويُستحلّ فيها المحارم، ويُسفك فيها الدماء بغير حقّها، فذلك فسادها، فلمّا بُعث إليها شعيب -عليه السلام-، ودعاهم إلى الله صلحت الأرض"، كما كانت قبل فسادهم. وجاء في تفسير ابن كثير في الآية: "﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ ينهى تعالى عن الإفساد في الأرض، وما أضره بعد الإصلاح! فإنه إذا كانت الأمور جارية على السداد، ثم وقع الإفساد بعد ذلك، كان أضر ما يكون على العباد" (١).

وقال الشوكاني: "نهاهم الله سبحانه عن الفساد في الأرض بوجه من الوجوه، قليلا كان أو كثيرا، ومنه قتل الناس، وتخريب منازلهم، وقطع أشجارهم وتغيوير أنهارهم، ومن الفساد في الأرض: الكفر بالله والوقوع في معاصيه" (٢).

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤٢٩/٣).

(٢) انظر: فتح القدير؛ للشوكاني (٢٤٣/٢).

المبحث الثالث: الوعيد الشديد لمن قتل الأنفس المعصومة

ومن أعظم الأدلة على أن سفك الدماء من أبشع صور الإفساد في الأرض، قول الله جل في علاه في قصة خلق أبونا آدم ﷺ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة البقرة: ٣٠].

تأمل كيف ارتبط في الآية الإفساد في الأرض بسفك الدماء، ومفهوم الآية - والله أعلم - أن وظيفة الاستخلاف في الأرض نشر الخير، والتعمير والإصلاح في الأرض والبناء؛ لا الإفساد فيها وسفك الدماء؛ لذا قال ربي في آخر الآية - والله أعلم - ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠] أعلم من سيفسد ومن سيصلح، من سيسفك الدماء ومن سيحققها، من سيمرق من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ويقتل الأبرياء ويروع الناس فيؤو بالآثام والنار، ومن سيواجههم ويجاهدهم في سبيله فيدفع دماء كلاب أهل النار لوجه الله؛ درءاً لمفسداتهم ودفعاً لشروهم عن المسلمين والناس، فينال الأجور العظيمة والدرجات العلى من الجنة، وقد قال النبي ﷺ في حديث يقصد الخوارج: «لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»^(١)، وقال: «فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة»^(٢)، وقال عنهم: «شر القتلى تحت أديم السماء»^(٣)، وقد قاتلهم وجاهدتهم بسيفه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه. النهروان؛ طاعة لله وعملاً بسنة رسوله ﷺ فقتلهم وشردهم، فله دره ورضي الله عنه وأرضاه. ومن تأمل حد القصاص علم أنه شرع للغاية العظيمة التي ستكون بعد تطبيقه وهي الحياة، فبالعمل به يرتدع القتلة، وينتهي الشر وتُحفظ حياة من كان هؤلاء سيقدّمون على قتلهم لولا

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٣٤٤) (١٣٧/٤) كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا عاد فأهلكوا بريح

صرصر﴾، ومسلم برقم (١٠٦٤) (٧٤١/٢) كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٦١١) (٢٠٠/٤) كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام.

(٣) أخرجه الترمذي برقم (٣٠٠٠) (٢٢٦/٥)، وأخرجه أحمد في المسند برقم (٢٢١٥١) (٤٧٠/٣٦)، وحسنه الترمذي.

القصاص، فما أعظم هذا الدين، وما أحكم رب العالمين: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٧٩]، وصدق ربنا ﷺ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [سورة المائدة: ٥٠].

ولنعلم شناعة فعل هؤلاء الخوارج؛ تأمل كيف قرن القرآن الكريم القتل من غير حق بالشرك، في أواخر سورة الفرقان، قال الله ﷻ:

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَمًا﴾ [سورة الفرقان: ٦٨].

فهؤلاء الصفوة "حافظوا على الهدف الأول من رسالات الله إلى خلقه، وهو العقيدة، فهم لا يدعون إلا الله وحده، ولكن الشرائع الإلهية لم تأت لحفظ الدين والعقيدة فحسب، إنما جاءت لحفظ الدماء والأنفس وحفظ الأعراض والحرمات والأنساب والعقول والأموال فمن هنا قرن الله هذه الصفة بصفة أخرى فقال: ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الفرقان: ٦٨]."

فالقرآن الكريم قرن القتل بالشرك لبشاعة هذه الجريمة وفضاعتها، الشرك اعتداء على الدين، والقتل اعتداء على الحياة، والحياة وديعة أودعها الله تعالى لصاحبها، فكيف يجني القاتل على حياة غيره، وهذه الحرمة متعلقة بكل مسلم، وكذلك من عاهد المسلمين بعقد دمة أو هدنة أو أمان، بل كل من سالم المسلمين فلا يجوز قتله كما قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ أَوْ يَقْتُلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَاطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَذَقْتُمُوهُمْ فَإِنْ اُعْتَرَلُوكُمْ فَلَمْ يُقْتِلُوكُمْ وَالْقَوَا إِلَيْكُمْ أَلْسَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [سورة النساء: ٩٠].

ولقد بلغ من تحريم الإسلام لهذه الجريمة النكراء: أن الله تعالى جعل قتل النفس الواحدة تعدل جريمة قتل الناس جميعاً، وذلك لأن حق الحياة ثابت لكل نفس فقتل واحدة من هذه النفوس يعتبر تعدياً على الحياة البشرية كلها، قال تعالى: ﴿مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [سورة المائدة: ٣٢].

فمن اجتراً على قتل مسلم فقد عصى الله ورسوله، وارتكب كبيرة من كبائر الذنوب، مما يجز عليه الوعيد الشديد، قال ﷺ: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء: ٩٣] وحينما بُعث النبي ﷺ، كان القتل فاشياً في أهل الجاهلية، يُرهبون الأرواح عدواناً وظلماً^(١)، وتثور بينهم الحروب الطاحنة التي يذهب ضحيتها الكثير من النفوس البريئة عند أتفه الأسباب^(٢)، فعمل ﷺ على القضاء على ذلك، وأكد ما جاء في كتاب الله من النهي عن القتل، والعدوان على النفس المعصومة، مندداً ﷺ غاية التنديد بمن يرتكب ذلك، مبيناً ما توعد الله به من أقدم على إزهاق روح معصوم الدم بغير حق من شديد العقاب وسوء الحال والمآل، فقال ﷺ: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم»^(٣)، فإذا علمنا أن قتل المؤمن أعظم من زوال الدنيا؛ علمنا خطورة وفظاعة القتل العمد بما لا يمكن للغة البشر أن تصفه، وقد جمعه من أوتي جوامع الكلم في هذا اللفظ الوجيز .

(١) وأد البنات في الجاهلية.

(٢) كحرب البسوس.

(٣) أخرجه الترمذي برقم (١٣٩٥) (١٦/٤) وحسنه، والنسائي برقم (٣٩٨٧) (٨٢/٧)، وصححه الألباني.

ولحرمة هذه الدماء عند الله ﷻ؛ قال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه الترمذي عن أبي هريرة: «لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار»^(١).

ليعلم كل من تجرأ على الدماء المعصومة وعثى في الأرض فساداً، أنه وإن نجا في الدنيا الفانية، فلن ينجو إن لم يتب في يوم الحاقة والواقعة والصاخة والطامة، يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه، يوم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه، وصاحبه وأخيه، وفصيلته التي تؤيه، ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه، قال الله تعالى بعدها: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْلَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا مَنَ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾﴾ [سورة المعارج: ١٥-١٧].

فمن أراد النجاة فليتب وليتحلل هنا قبل ذلك اليوم المهيب، قال ربنا ﷻ: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [سورة المطففين: ٤-٦].

(١) أخرجه الترمذي برقم (١٣٩٨) (١٧/٤)، وقال الترمذي: هذا حديث غريب، وقال في ذخيرة الحفاظ (١٩٩٥/٤): "رواه ضرار بن عمرو، عن يزيد الرقاشي، عن أنس، وضرار ليس بشيء".

الفصل الثاني: الوقاية من التكفير وبيان سوء عاقبته وعلاجه في

القرآن الكريم

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الوقاية من التكفير وفكر الخوارج، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحث على الوسطية والابتعاد عن الغلو.

المطلب الثاني: التحذير من صحبة السوء .

المطلب الثالث: الحث على طلب العلم ولزوم العلماء

المبحث الثاني: سوء عاقبة التكفير والقتل بغير حق في الدنيا والآخرة.

المبحث الثالث: الشفاء من التكفير وفكر الخوارج على مستوى الفرد والجماعة.

المبحث الرابع: الاعتبار بمآل الخوارج وأهل التكفير في الماضي والحاضر

المبحث الأول: الوقاية من التكفير وفكر الخوارج

ينبغي التنبيه أن الخوارج لم يبنوا حضارة قط، وما خرجوا في عصر أو مصر إلا كان الفساد والتدمير والقتل ملازماً لهم، وهل هناك فساد في الأرض أعظم من الصد عن سبيل الله بتشويه صورة الإسلام من خلال القتل والترويع والتفجير، وعدم التفريق بين طفل أو شيخ أو امرأة، نعوذ بالله من الضلال، وقد كان وقت خروجهم المتقطع عبر التاريخ سبباً في ضعف الأمة وتشتتها، وتوقف الجهاد الحق وتعطيل الدعوة، فينصرف الدعاة إلى الله للدفاع عن الإسلام مما أصابه من جرّائهم، وقد كانت قبل ذلك أبواب الدعوة مفتوحة أمامهم على مصراعيها في أصقاع الدنيا، فنعوذ بالله من شرورهم، ونسأل الله إن كتب لهم الهداية أن يعجل بها، وإن كتب في سابق علمه استمرارهم في غيهم فنسأل الله أن يجعل كيدهم في نحورهم وأن يجعل تدبيرهم تدميراً عليهم.

المطلب الأول: الحث على الوسطية والابتعاد عن الغلو

من أعظم سبل الوقاية من هذا الداء، أقصد التكفير والتفجير، أن نعلم أن الله تعالى جعلنا بنص كتابه أمة وسطاً، قال رب العالمين في سورة البقرة: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [سورة البقرة: ١٤٣] فلا إفراط ولا تفريط، لا غلو يصل إلى التفجير وسفك الدماء، ولا تهاون وتسبب يصل إلى قول أهل الإلحاد والإرجاء، بين من كانوا يقتلون أنفسهم للتوبة من بني إسرائيل، ومن يسرفون على أنفسهم بلا ندم ولا أوبة، بين من يتجرؤون على المعاصي بلا خوف وندم، ومن يكفرون الناس بالذنوب وإن كانت كبيرة كالزنا، أمة وسط تحتب كباثر ما تُنهى عنه، وتجاهد نفسها في مرضاة الله، إن وقعت ثابت من قريب، وإن أطاعت أسندت الفضل في ذلك والمنة إلى القريب المجيب، تحافظ على الأركان والفرائض وتسارع إلى الخيرات، وتكثر من النوافل أماً في محبة الله جل في علاه، تفرح بطاعة الطائعين، وتشفق على العاصين فتكره معصيتهم، وتنصح بلطف ولين وحكمة وعلى بصيرة ليجعلها الله سبباً في هداية المهتدين، فخيريتها مستمدة من نشرها للخير وحبها للعطاء بالعلم والمال والخير للناس أجمعين، فما أرسل نبيها وقودتها إلا رحمةً للعالمين، قال ربنا ﷺ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [سورة آل عمران: ١١٠] تأمل قوله تعالى ﴿لِلنَّاسِ﴾ ولم يقل: من الناس، ليعلم كل ذو عقل ولُب أن هذه الأمة يجب أن تكون رحمة لباقي الأمم تأمرهم بالمعروف، وتنههم عن المنكر وتدلهم على الخير، وترشدهم إلى الفضائل والمكرمات، وتحذرهم من الشرك والإلحاد والإفساد والشر، لتكون سبباً بإذن ربها في إخراج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، من ظلمات الشرك والإلحاد إلى نور التوحيد، ومن ظلمات البغي والظلم والإفساد إلى نور العدل والإصلاح في الأرض،

ومن ظلمات سوء الأخلاق إلى نور جميلها، ومن ظلمات التكفير والتفجير إلى نور الوسط والاعتدال، وهكذا من كل ظلمة إلى النور منها في كل مجال وفي كل أمرٍ ذي بال، كيف لا، والنور بين يديها في كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ، وقد تضمننا الخير كله، وتأمل لم يقل ربي جل في علاه في الآية: كنتم خير أمة أخرجت للناس تفجرون وتقتلون وتسفكون الدماء، لا، بل تأمرون بالمعروف والخير، وتنهون عن المنكر والشر وتؤمنون بالله، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

حتى الجهاد الحقيقي المكتمل الشروط والأركان المبتغى به إعلاء كلمة الله حقاً هو في أصله رحمة لمن نجاهدهم ونقاتلهم من الأعداء؛ لعلهم يرجعون عن كفرهم، فقد كان المسلمون لا يبدأون القتال حتى يعرضون على أهل الكفر الإسلام والدخول في هذا الدين العظيم، وليس أدل على ذلك من قصة النبي ﷺ في إرساله لعلي رضي الله عنه على رأس جيش المسلمين فأوصاه بهذا، ثم قال له، وتأمل المقام مقام جهاد وقتال ورغم ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم عليه سلم لعلي رضي الله عنه: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً خيراً لك من حُمْر النعم»^(١)، ليتبين بعد ذلك لكل عاقل أن الجهاد الحقيقي في ديننا هدفه نشر النور والهدى، ورغبة في أن يهتدي الناس ويعم الخير، فما أبعد طريقة هؤلاء الضالين من الخوارج عن هذا الهدى الرباني العظيم، نسأل الله العافية والسلامة، ولا نقول إلا كما قال أولوا الألباب: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [سورة آل عمران: ٨].

إذاً دين الإسلام هو دين التوسط والاعتدال، قال ربنا جل في علاه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [سورة البقرة: ١٤٣] قال ابن جرير الطبري -رحمته الله- في تفسيره: "وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٠٠٩) (٦٠/٤) كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم على يديه رجل، ومسلم برقم (٢٤٠٦) (١٨٧٢/٤) كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

غلو فيه غلو النصارى الذين غلوا بالترهب وقولهم في عيسى - ﷺ - ما قالوا فيه، ولا هم أي: المسلمون من أهل التقصير فيه، أي: في الدين تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله، وقتلوا أنبيائهم، وكذبوا على ربهم... ولكنهم - أي: أهل الإسلام - أهل توسط واعتدال فيه، فلا تفريط بترك الأوامر والواجبات، ولا مغالاة في زيادة عن الحد المشروع أو إيجاب ما ليس بواجب، أو التحكم والحكم على الناس بما لا دليل عليه في شرع الله تكفيراً أو تفسيقاً أو تبديعاً" (١).

ومن تأمل سيرة النبي ﷺ وجد أنه أوضح توسط الإسلام واعتداله، وبيّن سماحته وكماله، في أحاديث كثيرة منها، قوله ﷺ: «بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ» (٢).

وقال ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ مَيْسَرِينَ وَلَمْ تَبْعَثُوا مَعْسَرِينَ» (٣).

وقال في الصحيح أيضاً: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ» (٤)، وفي هذا تأكيد من النبي ﷺ على يسر الإسلام وسماحته، وذلك منصوص عليه في القرآن الكريم قال ربنا ﷻ: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [سورة البقرة: ١٨٥].

ويقول - ﷺ - أيضاً: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [سورة الحج: ٧٨] أي: ليس فيه ضيق ولا تشديد ولا عسر.

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطبري، ١٤٢/٣.

(٢) أخرجه أحمد في المسند برقم (٢٢٢٩١) (٢٢٣/٣٦)، والطبراني في الكبير برقم (٧٧١٥) (١٧٠/٨)، وضعفه الأرنؤوط في تحقيقه للمسند.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٢٢٠) (٥٤/١) كتاب الوضوء، باب صب الماء على البول في المسجد.

(٤) أخرجه البخاري برقم (٣٩) (١٦/١)، كتاب الإيمان، باب الدين يسر.

وورد أنه ﷺ قال في الحديث: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثاً^(١)، أي: المتنشدون تشدداً غير مشروع.

ثم قال ﷺ: «إِن الْمُنْبِتَ لَا أَرْضاً قَطَعَ وَلَا ظَهراً أَبْقَى»^(٢)، المنبت هو: المسافر الذي يواصل سفره ليلاً ونهاراً من غير راحة ولا توقف، لماذا يصنع ذلك؟ قال: أُريد أن أجد وأن أجتهد وأن أواصل حتى أبلغ الغاية، ونسي طاقته!، ونسي حاجته!، فما الذي يحصل؟!، قال ﷺ: «إِن الْمُنْبِتَ لَا أَرْضاً قَطَعَ» لم يقطع الأرض التي يريد، ولم يصل المبتغى الذي يطلب، «وَلَا ظَهراً أَبْقَى» لأنه دابته سوف تهلك وتنفى، أو تموت، أو يتعب هو ويمرض فلا يصل إلى المبتغى، وذلك غاية كل تشدد؛ لأن النبي ﷺ حكم في الحديث الصحيح قال: «لَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ»^(٣)، يعني كانت نهايته أنه يُغلب فلا يستطيع أن يكون مواصلاً في هذا التشدد؛ لأن دين الله - ﷻ - هو الكمال المطلق، وهو الملائم للفطر السليمة، وهو الموافق للعقول الراشدة، وهو الموافق لحاجات الناس في كل الأحوال، والمناسب لأوضاعهم كما قال الحق - ﷻ -: «أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» ﴿سورة الملك: ١٤﴾ وكما بين فقال: «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا» ﴿سورة البقرة: ٢٨٦﴾ وقوله تعالى: «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَتَنَهَا» ﴿سورة الطلاق: ٧﴾.

وقد حذر الله - ﷻ - أهل الإيمان والإسلام بما وقعت فيه الأمم السابقة، قال - ﷻ - في ندائه أهل الإيمان: «لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ» ﴿سورة النساء: ١٧١﴾ وإن كان النداء أو السياق في حديث أهل الكتاب «قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ» ﴿سورة المائدة: ٧٧﴾، إلا أن

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٧٠) (٢٠٥٥/٤) كتاب العلم، باب هلك المتنطعون.

(٢) أخرجه البيهقي في الكبرى برقم (٤٧٤٣) (٢٧/٣)، وضعفه النووي في خلاصة الأحكام (٥٩٨/١).

(٣) سبق تخريجه.

الآية فيها تنبيه للمسلمين وتحذير مما وقعت فيه الأمم السابقة من الغلو في الدين، فهل من معتبر.

المطلب الثاني: التحذير من صحبة السوء.

إن أغلب الشباب اللذين اعتنقوا ذلك الفكر الضال - فكر الخوارج - تأثروا بأصدقاء سوء جرّوهم إلى مستنقعهم الآسن، فأخرجوهم عن الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً؛ لذا وجب التنبيه ليحذر الشباب، فالصاحب صاحب، فاختر من تصادق واحذر على دينك ونفسك، فالمصيبة في الدين أعظم المصائب على الإطلاق، لذلك كان من دعاء نبينا ﷺ قوله: (ولا تجعل مصيبتنا في ديننا)^(١)، ومن أعظم الآيات في هذا السياق، قول الله ﷻ في سورة الفرقان: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۖ﴾ ^(٢٧) ^(٢٨) ^(٢٩) ^(٣٠) ^(٣١) ^(٣٢) ^(٣٣) ^(٣٤) ^(٣٥) ^(٣٦) ^(٣٧) ^(٣٨) ^(٣٩) ^(٤٠) ^(٤١) ^(٤٢) ^(٤٣) ^(٤٤) ^(٤٥) ^(٤٦) ^(٤٧) ^(٤٨) ^(٤٩) ^(٥٠) ^(٥١) ^(٥٢) ^(٥٣) ^(٥٤) ^(٥٥) ^(٥٦) ^(٥٧) ^(٥٨) ^(٥٩) ^(٦٠) ^(٦١) ^(٦٢) ^(٦٣) ^(٦٤) ^(٦٥) ^(٦٦) ^(٦٧) ^(٦٨) ^(٦٩) ^(٧٠) ^(٧١) ^(٧٢) ^(٧٣) ^(٧٤) ^(٧٥) ^(٧٦) ^(٧٧) ^(٧٨) ^(٧٩) ^(٨٠) ^(٨١) ^(٨٢) ^(٨٣) ^(٨٤) ^(٨٥) ^(٨٦) ^(٨٧) ^(٨٨) ^(٨٩) ^(٩٠) ^(٩١) ^(٩٢) ^(٩٣) ^(٩٤) ^(٩٥) ^(٩٦) ^(٩٧) ^(٩٨) ^(٩٩) ^(١٠٠) ^(١٠١) ^(١٠٢) ^(١٠٣) ^(١٠٤) ^(١٠٥) ^(١٠٦) ^(١٠٧) ^(١٠٨) ^(١٠٩) ^(١١٠) ^(١١١) ^(١١٢) ^(١١٣) ^(١١٤) ^(١١٥) ^(١١٦) ^(١١٧) ^(١١٨) ^(١١٩) ^(١٢٠) ^(١٢١) ^(١٢٢) ^(١٢٣) ^(١٢٤) ^(١٢٥) ^(١٢٦) ^(١٢٧) ^(١٢٨) ^(١٢٩) ^(١٣٠) ^(١٣١) ^(١٣٢) ^(١٣٣) ^(١٣٤) ^(١٣٥) ^(١٣٦) ^(١٣٧) ^(١٣٨) ^(١٣٩) ^(١٤٠) ^(١٤١) ^(١٤٢) ^(١٤٣) ^(١٤٤) ^(١٤٥) ^(١٤٦) ^(١٤٧) ^(١٤٨) ^(١٤٩) ^(١٥٠) ^(١٥١) ^(١٥٢) ^(١٥٣) ^(١٥٤) ^(١٥٥) ^(١٥٦) ^(١٥٧) ^(١٥٨) ^(١٥٩) ^(١٦٠) ^(١٦١) ^(١٦٢) ^(١٦٣) ^(١٦٤) ^(١٦٥) ^(١٦٦) ^(١٦٧) ^(١٦٨) ^(١٦٩) ^(١٧٠) ^(١٧١) ^(١٧٢) ^(١٧٣) ^(١٧٤) ^(١٧٥) ^(١٧٦) ^(١٧٧) ^(١٧٨) ^(١٧٩) ^(١٨٠) ^(١٨١) ^(١٨٢) ^(١٨٣) ^(١٨٤) ^(١٨٥) ^(١٨٦) ^(١٨٧) ^(١٨٨) ^(١٨٩) ^(١٩٠) ^(١٩١) ^(١٩٢) ^(١٩٣) ^(١٩٤) ^(١٩٥) ^(١٩٦) ^(١٩٧) ^(١٩٨) ^(١٩٩) ^(٢٠٠) ^(٢٠١) ^(٢٠٢) ^(٢٠٣) ^(٢٠٤) ^(٢٠٥) ^(٢٠٦) ^(٢٠٧) ^(٢٠٨) ^(٢٠٩) ^(٢١٠) ^(٢١١) ^(٢١٢) ^(٢١٣) ^(٢١٤) ^(٢١٥) ^(٢١٦) ^(٢١٧) ^(٢١٨) ^(٢١٩) ^(٢٢٠) ^(٢٢١) ^(٢٢٢) ^(٢٢٣) ^(٢٢٤) ^(٢٢٥) ^(٢٢٦) ^(٢٢٧) ^(٢٢٨) ^(٢٢٩) ^(٢٣٠) ^(٢٣١) ^(٢٣٢) ^(٢٣٣) ^(٢٣٤) ^(٢٣٥) ^(٢٣٦) ^(٢٣٧) ^(٢٣٨) ^(٢٣٩) ^(٢٤٠) ^(٢٤١) ^(٢٤٢) ^(٢٤٣) ^(٢٤٤) ^(٢٤٥) ^(٢٤٦) ^(٢٤٧) ^(٢٤٨) ^(٢٤٩) ^(٢٥٠) ^(٢٥١) ^(٢٥٢) ^(٢٥٣) ^(٢٥٤) ^(٢٥٥) ^(٢٥٦) ^(٢٥٧) ^(٢٥٨) ^(٢٥٩) ^(٢٦٠) ^(٢٦١) ^(٢٦٢) ^(٢٦٣) ^(٢٦٤) ^(٢٦٥) ^(٢٦٦) ^(٢٦٧) ^(٢٦٨) ^(٢٦٩) ^(٢٧٠) ^(٢٧١) ^(٢٧٢) ^(٢٧٣) ^(٢٧٤) ^(٢٧٥) ^(٢٧٦) ^(٢٧٧) ^(٢٧٨) ^(٢٧٩) ^(٢٨٠) ^(٢٨١) ^(٢٨٢) ^(٢٨٣) ^(٢٨٤) ^(٢٨٥) ^(٢٨٦) ^(٢٨٧) ^(٢٨٨) ^(٢٨٩) ^(٢٩٠) ^(٢٩١) ^(٢٩٢) ^(٢٩٣) ^(٢٩٤) ^(٢٩٥) ^(٢٩٦) ^(٢٩٧) ^(٢٩٨) ^(٢٩٩) ^(٣٠٠) ^(٣٠١) ^(٣٠٢) ^(٣٠٣) ^(٣٠٤) ^(٣٠٥) ^(٣٠٦) ^(٣٠٧) ^(٣٠٨) ^(٣٠٩) ^(٣١٠) ^(٣١١) ^(٣١٢) ^(٣١٣) ^(٣١٤) ^(٣١٥) ^(٣١٦) ^(٣١٧) ^(٣١٨) ^(٣١٩) ^(٣٢٠) ^(٣٢١) ^(٣٢٢) ^(٣٢٣) ^(٣٢٤) ^(٣٢٥) ^(٣٢٦) ^(٣٢٧) ^(٣٢٨) ^(٣٢٩) ^(٣٣٠) ^(٣٣١) ^(٣٣٢) ^(٣٣٣) ^(٣٣٤) ^(٣٣٥) ^(٣٣٦) ^(٣٣٧) ^(٣٣٨) ^(٣٣٩) ^(٣٤٠) ^(٣٤١) ^(٣٤٢) ^(٣٤٣) ^(٣٤٤) ^(٣٤٥) ^(٣٤٦) ^(٣٤٧) ^(٣٤٨) ^(٣٤٩) ^(٣٥٠) ^(٣٥١) ^(٣٥٢) ^(٣٥٣) ^(٣٥٤) ^(٣٥٥) ^(٣٥٦) ^(٣٥٧) ^(٣٥٨) ^(٣٥٩) ^(٣٦٠) ^(٣٦١) ^(٣٦٢) ^(٣٦٣) ^(٣٦٤) ^(٣٦٥) ^(٣٦٦) ^(٣٦٧) ^(٣٦٨) ^(٣٦٩) ^(٣٧٠) ^(٣٧١) ^(٣٧٢) ^(٣٧٣) ^(٣٧٤) ^(٣٧٥) ^(٣٧٦) ^(٣٧٧) ^(٣٧٨) ^(٣٧٩) ^(٣٨٠) ^(٣٨١) ^(٣٨٢) ^(٣٨٣) ^(٣٨٤) ^(٣٨٥) ^(٣٨٦) ^(٣٨٧) ^(٣٨٨) ^(٣٨٩) ^(٣٩٠) ^(٣٩١) ^(٣٩٢) ^(٣٩٣) ^(٣٩٤) ^(٣٩٥) ^(٣٩٦) ^(٣٩٧) ^(٣٩٨) ^(٣٩٩) ^(٤٠٠) ^(٤٠١) ^(٤٠٢) ^(٤٠٣) ^(٤٠٤) ^(٤٠٥) ^(٤٠٦) ^(٤٠٧) ^(٤٠٨) ^(٤٠٩) ^(٤١٠) ^(٤١١) ^(٤١٢) ^(٤١٣) ^(٤١٤) ^(٤١٥) ^(٤١٦) ^(٤١٧) ^(٤١٨) ^(٤١٩) ^(٤٢٠) ^(٤٢١) ^(٤٢٢) ^(٤٢٣) ^(٤٢٤) ^(٤٢٥) ^(٤٢٦) ^(٤٢٧) ^(٤٢٨) ^(٤٢٩) ^(٤٣٠) ^(٤٣١) ^(٤٣٢) ^(٤٣٣) ^(٤٣٤) ^(٤٣٥) ^(٤٣٦) ^(٤٣٧) ^(٤٣٨) ^(٤٣٩) ^(٤٤٠) ^(٤٤١) ^(٤٤٢) ^(٤٤٣) ^(٤٤٤) ^(٤٤٥) ^(٤٤٦) ^(٤٤٧) ^(٤٤٨) ^(٤٤٩) ^(٤٥٠) ^(٤٥١) ^(٤٥٢) ^(٤٥٣) ^(٤٥٤) ^(٤٥٥) ^(٤٥٦) ^(٤٥٧) ^(٤٥٨) ^(٤٥٩) ^(٤٦٠) ^(٤٦١) ^(٤٦٢) ^(٤٦٣) ^(٤٦٤) ^(٤٦٥) ^(٤٦٦) ^(٤٦٧) ^(٤٦٨) ^(٤٦٩) ^(٤٧٠) ^(٤٧١) ^(٤٧٢) ^(٤٧٣) ^(٤٧٤) ^(٤٧٥) ^(٤٧٦) ^(٤٧٧) ^(٤٧٨) ^(٤٧٩) ^(٤٨٠) ^(٤٨١) ^(٤٨٢) ^(٤٨٣) ^(٤٨٤) ^(٤٨٥) ^(٤٨٦) ^(٤٨٧) ^(٤٨٨) ^(٤٨٩) ^(٤٩٠) ^(٤٩١) ^(٤٩٢) ^(٤٩٣) ^(٤٩٤) ^(٤٩٥) ^(٤٩٦) ^(٤٩٧) ^(٤٩٨) ^(٤٩٩) ^(٥٠٠) ^(٥٠١) ^(٥٠٢) ^(٥٠٣) ^(٥٠٤) ^(٥٠٥) ^(٥٠٦) ^(٥٠٧) ^(٥٠٨) ^(٥٠٩) ^(٥١٠) ^(٥١١) ^(٥١٢) ^(٥١٣) ^(٥١٤) ^(٥١٥) ^(٥١٦) ^(٥١٧) ^(٥١٨) ^(٥١٩) ^(٥٢٠) ^(٥٢١) ^(٥٢٢) ^(٥٢٣) ^(٥٢٤) ^(٥٢٥) ^(٥٢٦) ^(٥٢٧) ^(٥٢٨) ^(٥٢٩) ^(٥٣٠) ^(٥٣١) ^(٥٣٢) ^(٥٣٣) ^(٥٣٤) ^(٥٣٥) ^(٥٣٦) ^(٥٣٧) ^(٥٣٨) ^(٥٣٩) ^(٥٤٠) ^(٥٤١) ^(٥٤٢) ^(٥٤٣) ^(٥٤٤) ^(٥٤٥) ^(٥٤٦) ^(٥٤٧) ^(٥٤٨) ^(٥٤٩) ^(٥٥٠) ^(٥٥١) ^(٥٥٢) ^(٥٥٣) ^(٥٥٤) ^(٥٥٥) ^(٥٥٦) ^(٥٥٧) ^(٥٥٨) ^(٥٥٩) ^(٥٦٠) ^(٥٦١) ^(٥٦٢) ^(٥٦٣) ^(٥٦٤) ^(٥٦٥) ^(٥٦٦) ^(٥٦٧) ^(٥٦٨) ^(٥٦٩) ^(٥٧٠) ^(٥٧١) ^(٥٧٢) ^(٥٧٣) ^(٥٧٤) ^(٥٧٥) ^(٥٧٦) ^(٥٧٧) ^(٥٧٨) ^(٥٧٩) ^(٥٨٠) ^(٥٨١) ^(٥٨٢) ^(٥٨٣) ^(٥٨٤) ^(٥٨٥) ^(٥٨٦) ^(٥٨٧) ^(٥٨٨) ^(٥٨٩) ^(٥٩٠) ^(٥٩١) ^(٥٩٢) ^(٥٩٣) ^(٥٩٤) ^(٥٩٥) ^(٥٩٦) ^(٥٩٧) ^(٥٩٨) ^(٥٩٩) ^(٦٠٠) ^(٦٠١) ^(٦٠٢) ^(٦٠٣) ^(٦٠٤) ^(٦٠٥) ^(٦٠٦) ^(٦٠٧) ^(٦٠٨) ^(٦٠٩) ^(٦١٠) ^(٦١١) ^(٦١٢) ^(٦١٣) ^(٦١٤) ^(٦١٥) ^(٦١٦) ^(٦١٧) ^(٦١٨) ^(٦١٩) ^(٦٢٠) ^(٦٢١) ^(٦٢٢) ^(٦٢٣) ^(٦٢٤) ^(٦٢٥) ^(٦٢٦) ^(٦٢٧) ^(٦٢٨) ^(٦٢٩) ^(٦٣٠) ^(٦٣١) ^(٦٣٢) ^(٦٣٣) ^(٦٣٤) ^(٦٣٥) ^(٦٣٦) ^(٦٣٧) ^(٦٣٨) ^(٦٣٩) ^(٦٤٠) ^(٦٤١) ^(٦٤٢) ^(٦٤٣) ^(٦٤٤) ^(٦٤٥) ^(٦٤٦) ^(٦٤٧) ^(٦٤٨) ^(٦٤٩) ^(٦٥٠) ^(٦٥١) ^(٦٥٢) ^(٦٥٣) ^(٦٥٤) ^(٦٥٥) ^(٦٥٦) ^(٦٥٧) ^(٦٥٨) ^(٦٥٩) ^(٦٦٠) ^(٦٦١) ^(٦٦٢) ^(٦٦٣) ^(٦٦٤) ^(٦٦٥) ^(٦٦٦) ^(٦٦٧) ^(٦٦٨) ^(٦٦٩) ^(٦٧٠) ^(٦٧١) ^(٦٧٢) ^(٦٧٣) ^(٦٧٤) ^(٦٧٥) ^(٦٧٦) ^(٦٧٧) ^(٦٧٨) ^(٦٧٩) ^(٦٨٠) ^(٦٨١) ^(٦٨٢) ^(٦٨٣) ^(٦٨٤) ^(٦٨٥) ^(٦٨٦) ^(٦٨٧) ^(٦٨٨) ^(٦٨٩) ^(٦٩٠) ^(٦٩١) ^(٦٩٢) ^(٦٩٣) ^(٦٩٤) ^(٦٩٥) ^(٦٩٦) ^(٦٩٧) ^(٦٩٨) ^(٦٩٩) ^(٧٠٠) ^(٧٠١) ^(٧٠٢) ^(٧٠٣) ^(٧٠٤) ^(٧٠٥) ^(٧٠٦) ^(٧٠٧) ^(٧٠٨) ^(٧٠٩) ^(٧١٠) ^(٧١١) ^(٧١٢) ^(٧١٣) ^(٧١٤) ^(٧١٥) ^(٧١٦) ^(٧١٧) ^(٧١٨) ^(٧١٩) ^(٧٢٠) ^(٧٢١) ^(٧٢٢) ^(٧٢٣) ^(٧٢٤) ^(٧٢٥) ^(٧٢٦) ^(٧٢٧) ^(٧٢٨) ^(٧٢٩) ^(٧٣٠) ^(٧٣١) ^(٧٣٢) ^(٧٣٣) ^(٧٣٤) ^(٧٣٥) ^(٧٣٦) ^(٧٣٧) ^(٧٣٨) ^(٧٣٩) ^(٧٤٠) ^(٧٤١) ^(٧٤٢) ^(٧٤٣) ^(٧٤٤) ^(٧٤٥) ^(٧٤٦) ^(٧٤٧) ^(٧٤٨) ^(٧٤٩) ^(٧٥٠) ^(٧٥١) ^(٧٥٢) ^(٧٥٣) ^(٧٥٤) ^(٧٥٥) ^(٧٥٦) ^(٧٥٧) ^(٧٥٨) ^(٧٥٩) ^(٧٦٠) ^(٧٦١) ^(٧٦٢) ^(٧٦٣) ^(٧٦٤) ^(٧٦٥) ^(٧٦٦) ^(٧٦٧) ^(٧٦٨) ^(٧٦٩) ^(٧٧٠) ^(٧٧١) ^(٧٧٢) ^(٧٧٣) ^(٧٧٤) ^(٧٧٥) ^(٧٧٦) ^(٧٧٧) ^(٧٧٨) ^(٧٧٩) ^(٧٨٠) ^(٧٨١) ^(٧٨٢) ^(٧٨٣) ^(٧٨٤) ^(٧٨٥) ^(٧٨٦) ^(٧٨٧) ^(٧٨٨) ^(٧٨٩) ^(٧٩٠) ^(٧٩١) ^(٧٩٢) ^(٧٩٣) ^(٧٩٤) ^(٧٩٥) ^(٧٩٦) ^(٧٩٧) ^(٧٩٨) ^(٧٩٩) ^(٨٠٠) ^(٨٠١) ^(٨٠٢) ^(٨٠٣) ^(٨٠٤) ^(٨٠٥) ^(٨٠٦) ^(٨٠٧) ^(٨٠٨) ^(٨٠٩) ^(٨١٠) ^(٨١١) ^(٨١٢) ^(٨١٣) ^(٨١٤) ^(٨١٥) ^(٨١٦) ^(٨١٧) ^(٨١٨) ^(٨١٩) ^(٨٢٠) ^(٨٢١) ^(٨٢٢) ^(٨٢٣) ^(٨٢٤) ^(٨٢٥) ^(٨٢٦) ^(٨٢٧) ^(٨٢٨) ^(٨٢٩) ^(٨٣٠) ^(٨٣١) ^(٨٣٢) ^(٨٣٣) ^(٨٣٤) ^(٨٣٥) ^(٨٣٦) ^(٨٣٧) ^(٨٣٨) ^(٨٣٩) ^(٨٤٠) ^(٨٤١) ^(٨٤٢) ^(٨٤٣) ^(٨٤٤) ^(٨٤٥) ^(٨٤٦) ^(٨٤٧) ^(٨٤٨) ^(٨٤٩) ^(٨٥٠) ^(٨٥١) ^(٨٥٢) ^(٨٥٣) ^(٨٥٤) ^(٨٥٥) ^(٨٥٦) ^(٨٥٧) ^(٨٥٨) ^(٨٥٩) ^(٨٦٠) ^(٨٦١) ^(٨٦٢) ^(٨٦٣) ^(٨٦٤) ^(٨٦٥) ^(٨٦٦) ^(٨٦٧) ^(٨٦٨) ^(٨٦٩) ^(٨٧٠) ^(٨٧١) ^(٨٧٢) ^(٨٧٣) ^(٨٧٤) ^(٨٧٥) ^(٨٧٦) ^(٨٧٧) ^(٨٧٨) ^(٨٧٩) ^(٨٨٠) ^(٨٨١) ^(٨٨٢) ^(٨٨٣) ^(٨٨٤) ^(٨٨٥) ^(٨٨٦) ^(٨٨٧) ^(٨٨٨) ^(٨٨٩) ^(٨٩٠) ^(٨٩١) ^(٨٩٢) ^(٨٩٣) ^(٨٩٤) ^(٨٩٥) ^(٨٩٦) ^(٨٩٧) ^(٨٩٨) ^(٨٩٩) ^(٩٠٠) ^(٩٠١) ^(٩٠٢) ^(٩٠٣) ^(٩٠٤) ^(٩٠٥) ^(٩٠٦) ^(٩٠٧) ^(٩٠٨) ^(٩٠٩) ^(٩١٠) ^(٩١١) ^(٩١٢) ^(٩١٣) ^(٩١٤) ^(٩١٥) ^(٩١٦) ^(٩١٧) ^(٩١٨) ^(٩١٩) ^(٩٢٠) ^(٩٢١) ^(٩٢٢) ^(٩٢٣) ^(٩٢٤) ^(٩٢٥) ^(٩٢٦) ^(٩٢٧) ^(٩٢٨) ^(٩٢٩) ^(٩٣٠) ^(٩٣١) ^(٩٣٢) ^(٩٣٣) ^(٩٣٤) ^(٩٣٥) ^(٩٣٦) ^(٩٣٧) ^(٩٣٨) ^(٩٣٩) ^(٩٤٠) ^(٩٤١) ^(٩٤٢) ^(٩٤٣) ^(٩٤٤) ^(٩٤٥) ^(٩٤٦) ^(٩٤٧) ^(٩٤٨) ^(٩٤٩) ^(٩٥٠) ^(٩٥١) ^(٩٥٢) ^(٩٥٣) ^(٩٥٤) ^(٩٥٥) ^(٩٥٦) ^(٩٥٧) ^(٩٥٨) ^(٩٥٩) ^(٩٦٠) ^(٩٦١) ^(٩٦٢) ^(٩٦٣) ^(٩٦٤) ^(٩٦٥) ^(٩٦٦) ^(٩٦٧) ^(٩٦٨) ^(٩٦٩) ^(٩٧٠) ^(٩٧١) ^(٩٧٢) ^(٩٧٣) ^(٩٧٤) ^(٩٧٥) ^(٩٧٦) ^(٩٧٧) ^(٩٧٨) ^(٩٧٩) ^(٩٨٠) ^(٩٨١) ^(٩٨٢) ^(٩٨٣) ^(٩٨٤) ^(٩٨٥) ^(٩٨٦) ^(٩٨٧) ^(٩٨٨) ^(٩٨٩) ^(٩٩٠) ^(٩٩١) ^(٩٩٢) ^(٩٩٣) ^(٩٩٤) ^(٩٩٥) ^(٩٩٦) ^(٩٩٧) ^(٩٩٨) ^(٩٩٩) ^(١٠٠٠) ^(١٠٠١) ^(١٠٠٢) ^(١٠٠٣) ^(١٠٠٤) ^(١٠٠٥) ^(١٠٠٦) ^(١٠٠٧) ^(١٠٠٨) ^(١٠٠٩) ^(١٠١٠) ^(١٠١١) ^(١٠١٢) ^(١٠١٣) ^(١٠١٤) ^(١٠١٥) ^(١٠١٦) ^(١٠١٧) ^(١٠١٨) ^(١٠١٩) ^(١٠٢٠) ^(١٠٢١) ^(١٠٢٢) ^(١٠٢٣) ^(١٠٢٤) ^(١٠٢٥) ^(١٠٢٦) ^(١٠٢٧) ^(١٠٢٨) ^(١٠٢٩) ^(١٠٣٠) ^(١٠٣١) ^(١٠٣٢) ^(١٠٣٣) ^(١٠٣٤) ^(١٠٣٥) ^(١٠٣٦) ^(١٠٣٧) ^(١٠٣٨) ^(١٠٣٩) ^{(١}

قال ابن القيم في الآية الأولى والثانية: " فكل من اتخذ غير الرسول، يترك لأقواله وآرائه ما جاء به الرسول ﷺ فإنه قائل هذه المقالة لا محالة، وهذا حال الخليلين المتصاحبين على خلاف طاعة الرسول ﷺ؛ فإن مآل خلتهم تلك إلى العداوة واللعنة كما قال الله تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧] وقد ذكر حال هؤلاء الأتباع وحال من تبعوهم في غير موضع من كتابه كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَقُصُّهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ [٦٦] وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا ءَاتِنَامْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَاهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ [سورة الأحزاب: ٦٦-٦٨] تمنى القوم طاعة الله ورسوله حين لا ينفعهم ذلك، واعتذروا بأنهم أطاعوا كبراءهم ورؤساءهم، واعترفوا بأنهم لا عذر لهم في ذلك، وأنهم أطاعوا السادات والكبراء وعصوا الرسول، وآلت تلك الطاعة والموالاة إلى قولهم: ﴿رَبَّنَا ءَاتِنَامْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَاهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٨] وفي بعض هذا عبرة للعاقل وموعظة شافية، وبالله التوفيق". انتهى كلامه ﷺ^(١).

وأختم بكلام جميل للشيخ عبدالرزاق البدر^(٢) عن أهمية اختيار صاحب، يقول: "إنَّ من أخطر ما يكون على الإنسان في حياته ومن أضرَّ ما يكون عليه في دينه مُخالطة من لا تُحمد مخالطتهم من الرفقاء والأصحاب ؛ فإنَّ صاحب مؤثِّر في صاحبه ولا بد ، فالرفيق الصالح يُؤثر في رفيقه صلاحاً، والرفيق الفاسد يُؤثر في رفيقه فساداً، ففي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ كَمَثَلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ ؛

(١) انظر: الرسالة التبوكية؛ أو زاد المهاجر إلى ربه، (ص ٤٦) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)، المحقق: د. محمد جميل غازي، الناشر: مكتبة المدني - جدة .

(٢) هو: عبد الرزاق بن عبد المحسن بن حمد العباد البدر، ولد سنة ١٣٨٢ هـ، تتلمذ على والده الشيخ عبدالمحسن، وعبدالله الغنيمان وغيرهما، وله من التصانيف: فقه الأدعية والأذكار، الحج وتحذيب النفوس، تذكرة المؤتسي شرح عقيدة عبدالغني المقدسي، وغيرها، انظر: ترجمة منشورة للشيخ في موقع مداد على الشبكة العنكبوتية.

فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ يَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً ، وَنَافِعُ الْكَبِيرِ إِمَّا أَنْ يُخْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ يَجِدَ رِيحًا حَبِيبَةً»^(١) .

" وتأمل قول النبي ﷺ في هذا الحديث " إِمَّا ، وَإِمَّا " تنبيهاً منه ﷺ إلى أن المجلس مؤثر في جلسه ولا بد؛ ولهذا صح الحديث عن رسول الله ﷺ بأهمية اختيار الرفقاء والتفقه في الجلساء وإدراك هذا الأمر ووعيه وفهمه، روى الإمام أحمد في مسنده والترمذي في جامعه وأبو داود في سننه وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»^(٢)، الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، أي: أن خليله مؤثر فيه ولا بد، من صلب طلاب العلم رغبوه في الطلب، ومن صلب العباد جذبوه للعبادة، ومن صلب الأخيار ساقوه إلى دروب الخير، ومن صلب صاحب صنعة أكسبه فائدة في صناعته، ومن صلب فاسقاً جرّه إلى الفسوق، ومن صلب صاحب بدعة أوداه وأهلكه في بدعته، فالصاحب صاحب لصاحبه ومؤثر فيه ولا بد؛ ولهذا قال ﷺ ناصح لأمته: «فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ» أي: إذا أردت أن تصاحب رجلاً فتفقه في مصاحبته هل فيها خير أو شر؟ هل فيها نفع أو ضرر؟ ثم بعد ذلك تكون المصاحبة أو عدمها"^(٣).

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه أبو داود برقم (٤٨٣٣) (٢٠٤/٧)، والترمذي برقم (٢٣٧٨) (٥٨٩/٤)، والإمام أحمد في المسند برقم (٨٠٢٨) (٣٩٨/١٣)، والحاكم في المستدرک برقم (٧٣٢٠) (١٨٩/٤)، وقال الترمذي: "حديث حسن غريب"، وصححه الحاكم، وقال المناوي في كشف المناهج (٣١٧-٣١٨): "رواه أبو داود والترمذي... ورجال أبي داود والترمذي رجال الصحيحين إلا موسى بن وردان... وقال الذهبي: صدوق".

(٣) خطبة (التحذير من جلساء السوء) للشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر.

المطلب الثالث: الحث على طلب العلم ولزوم العلماء

لا يختلف اثنان في أهمية العلم، لاسيما العلم الشرعي؛ لأنه أساس الوصول إلى صحة الاعتقاد وتتمام العبادات، ومن خلاله يعرف المسلم ما يجب وينبغي عليه القيام به، وما ينبغي عليه الاجتناب منه، والتخلي عنه، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الزمر: ٩]، ولذا فرض الشارع تعلُّمه على كل مكلف، فقال ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»^(١)، وجعله أفضل من بقية العبادات، وأحب إلى الله من نوافل الطاعات فقال ﷺ: «فضل العلم خير من فضل العبادة»^(٢).

ومن هنا فإن الجهل بالعلم الشرعي وأحكامه آفة خطيرة، وبلية جسيمة؛ لأنه يحجب عن معرفة الحق، ويُبعد عن سُنن الهدى، ويؤدي إلى الضلال. وبسبب الجهل بالعلم الشرعي يميل المكلف إلى التشديد والتضييق، والإفراط والتفريط، ويحيد عن مسار الوسطية والاعتدال إلى الغلو والتنطع أحياناً، وإلى التسبب والتفلت والتساهل المذموم أحياناً أخرى، ويقع في حائل النفس، وشياطين الإنس والجن فيفتي بالتحليل والتحريم حسب تصوره وهواه من غير ترو أو تثبت، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ

(١) أخرجه ابن ماجه في مقدمة سننه، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم برقم (٢٢٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، وقال المزي والزرکشي: روي من طرق تبلغ رتبة الحسن، وقد جود إسناده السخاوي، وصححه السيوطي فيض القدير للمناوي (٤/ ٢٦٧-٢٦٨).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم (٤١٠٧) عن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه، قال المنذري: رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن، الترغيب والترهيب (١/ ١١٨).

هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ [سورة النحل: ١١٦].

فلا تتحقق الوسطية ولا تُقَوِّم إلا بالرجوع إلى العلم الشرعي المأثور عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضي الله تعالى عنهم، وتلقي هذا العلم عن علماء الشريعة الثقات، وهذه هي الحكمة التي جاء ذكرها في قوله ﷺ: «يُؤْتَى الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا» [سورة البقرة: ٢٦٩] وهذه هي الخيرية التي تضمنه قول الرسول الكريم ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»^(١) قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: "العلم النافع من هذه العلوم كلها ضبط نصوص الكتاب والسنة وفهم معانيها، والتقيد في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم في معاني القرآن والحديث، وفيما ورد عنهم من الكلام في مسائل الحلال والحرام والزهد والرفائق والمعارف وغير ذلك"^(٢).

ودراسة المرء للنصوص بتصوره وفهمه بعيداً عن فهم السلف باب من أبواب الضلال، وانحراف عن درب الاعتدال، وخروج من الاتباع إلى الابتداع، وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لن يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»^{(٣) (٤)}.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٧١) كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، ومسلم برقم (١٠٣٧) كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنه.

(٢) بيان فضل علم السلف على علم الخلف، (٤٥/١) لعبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥ هـ).

(٣) أخرجه البخاري برقم (١٠٠) كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، ومسلم برقم (٢٦٧٣) كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه، عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما.

(٤) مقال بعنوان (معالم الوسطية ومقوماتها في الإسلام)، للدكتور: محمد ولي الله عبدالرحمن الندوي (العدد الرابع والثلاثون - الجزء الرابع ٢/١) ص ٢٦٨-٢٦٩.

وقد كان السلف يحرصون على تعليم أبنائهم العلم الشرعي صغاراً، وكان الحسن البصري يقول: " قدموا إلينا أحداثكم فإنهم أفرغ قلوباً وأحفظ لما سمعوا "(١).

ومن المعلوم أن الارتباط وثيق بين العلم الشرعي وتحقيق الاعتدال الفكري لدى أفراد المجتمع، ومن القضايا المنهجية المهمة في هذا المجال ضرورة أخذ العلم من العلماء الربانيين؛ لأنهم صمام الأمن الفكري، فبحسن توجيههم وبيانهم يتحقق الفهم الصحيح للنصوص وقواعد الاستدلال، لاسيما في النوازل والمستجدات، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [سورة النساء: ٨٣].

وهنا تتبين خطورة التعالم والمتعلمين، والقائلين على الله بغير علم، والخائضين في أمور الشريعة إفتاءً وتحليلاً وتحريماً وهم ليسوا منها في ورد ولا صدر، مما كان سبباً في الانحراف الفكري، لدى كثير من فئات المجتمع، والله المستعان. (٢).

أخيراً هنا مسألة مهمة بينها قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [سورة النساء: ٥٩].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [سورة النساء: ٨٣]، وهي أن طاعة ولادة الأمر من العلماء والأمراء، والرجوع إليهم في الملهمات والنوازل، والأخذ عنهم والاستضاءة بعلمهم وفهمهم واستنباطهم أماناً من الفتن.

(١) انظر: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (١/٣١٠).

(٢) انظر: بلوغ الأمال في تحقيق الوسطية والاعتدال، لعبد الرحمن بن عبد العزيز السديس (ص ١٧٥-١٧٦)، الناشر:

الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي - إدارة الأمن الفكري بالمسجد الحرام، سنة النشر: ١٤٣٨ -

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ
الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ [النساء: ٨٣] الآية، قال: "هذا تأديب من الله لعباده، عن فعلهم هذا غير
اللائق، وأنه ينبغي لهم، إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة مما يتعلق بالأمن
وسرور المؤمنين أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك
الخبر، بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، أهل الرأي والعلم النصيح والعقل والرزانة
الذين يعرفون الأمور، ويعرفون المصالح وضدها؛ ولهذا قال: ﴿لَعَلَّمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ
مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] أي: يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة، وعلومهم الرشيدة" (١).
وفي التزام هذا الأمر الرباني صلاح المجتمع وأمان الفكر ودحر لمن أراد التغيير بشباب
المسلمين ببث الفرقة في صفوفهم، أو غرس الضلالة في عقولهم.

(١) انظر: تفسير السعدي (١/١٩٠).

المبحث الثاني: سوء عاقبة التكفير والقتل بغير حق في الدنيا والآخرة

من أشد الآيات وعيداً في القرآن الكريم وأقواها بياناً لسوء عاقبة القتل وسفك الدماء قول الله جل في علاه: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء: ٩٣].

هذا وعيد شديد يخلع القلوب، وتأمل قول الله ﷻ قبلها ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾ [النساء: ٩٢] قال الشيخ السعدي رحمه الله: "أي: يُمتنع ويستحيل أن يصدر من مؤمن قتل مؤمن، أي: متعمداً، وفي هذا الإخبار بشدة تحريمه وأنه مناف للإيمان أشد منافاة، وإنما يصدر ذلك إما من كافر، أو من فاسق قد نقص إيمانه نقصاً عظيماً، ويخشى عليه ما هو أكبر من ذلك، فإن الإيمان الصحيح يمنع المؤمن من قتل أخيه الذي قد عقد الله بينه وبينه الأخوة الإيمانية التي من مقتضاها محبته وموالاته، وإزالة ما يعرض لأخيه من الأذى، وأي أذى أشد من القتل؟ وهذا يصدق قوله ﷻ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»^(١).

فعلم أن القتل من الكفر العملي وأكبر الكبائر بعد الشرك بالله.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣] قال السعدي أيضاً: "تقدم أن الله أخبر أنه لا يصدر قتل المؤمن من المؤمن، وأن القتل من الكفر العملي، وذكر هنا وعيد القاتل عمداً، وعيداً ترجف له القلوب وتنصدع له الأفئدة، وتنزعج منه أولوا العقول، فلم يرد في أنواع الكبائر أعظم من هذا الوعيد، بل ولا مثله، ألا وهو الإخبار بأن جزاءه جهنم، أي:

(١) أخرجه البخاري في مواضع كثيرة منها برقم (١٢١) (٣٥/١) كتاب العلم، باب الإنصات للعلماء، ومسلم كذلك منها برقم (٦٥) (٨١/١) كتاب الإيمان، باب لا ترجعوا بعدي كفاراً.

فهذا الذنب العظيم قد انتهض وحده أن يجازى صاحبه بجهنم، بما فيها من العذاب العظيم، والخزي المهين، وسخط الجبار، وفوات الفوز والفلاح، وحصول الخيبة والخسار، فعياداً بالله من كل سبب يبعد عن رحمته".^(١).

وقد بين العلماء الراسخون أن الخلود المذكور محمول على الاستحلال أو انتفاء الموانع كوجود التوبة والندم، وأيضاً شهادة التوحيد في القلب التي تمنع صاحبها من الخلود في النار. قال الشيخ ابن عثيمين: "اشتبه على الوعيدية، ففهموا منه أن قاتل المؤمن عمداً مخلد في النار، وقاسوا ذلك على جميع أصحاب الكبائر، وأعرضوا عن الآيات الدالة على أن كل ذنب دون الشرك فهو تحت مشيئة الله تعالى"^(٢).

وقد قال الله تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ أَنْفُسَ آلِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۖ﴾ [سورة الفرقان: ٦٨-٦٩].

ثم قال: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۖ﴾ [سورة الفرقان: ٧٠].

وقد أجمع أهل السنة على ذم الخوارج وسوء عاقبتهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فيهم: "وأهل السنة والله الحمد متفقون على أنهم مبتدعة ضالون، وأنه يجب قتالهم بالنصوص الصحيحة، وأن أمير المؤمنين علياً عليه السلام كان من أفضل أعماله قتاله الخوارج، وقد اتفقت الصحابة على قتالهم"^(٣).

وسئل نافع كيف كان رأي ابن عمر في الخوارج، فقال: كان يقول: ((هم شرار الخلق

(١) انظر: تفسير السعدي (ص ١٩٢-١٩٣).

(٢) انظر: تفسير سورتي الفاتحة والبقرة للعلامة ابن عثيمين (ص ٥٠) - بتصرف يسير -.

(٣) انظر: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ)، المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م (١١٦/٦).

انطلقوا إلى آيات أنزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين^(١).

وقال الآجري^(٢) رحمه الله: "لم يختلف العلماء قديماً وحديثاً أن الخوارج قوم سوء عصاة لله ﷻ ولرسوله ﷺ وإن صلوا وصاموا واجتهدوا في العبادة، فليس ذلك بنافع لهم وإن أظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس ذلك بنافع لهم؛ لأنهم قوم يتأولون القرآن على ما يههون، ويموهون على المسلمين"^(٣).

وورد في مصنف ابن أبي شيبة أن الخوارج ذكروا عند أبي هريرة فقال: (أولئك شرار الخلق)^(٤).

ويُعني عن ذلك كله قول النبي ﷺ فيهم، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة»^(٥).

(١) انظر: الاستذكار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣ هـ)، تحقيق: سالم محمد عطاء، محمد علي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ - ٢٠٠٠. (٥٠١/٢).

(٢) محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري، ولد سنة ٢٨٠ هـ، وتلمذ على إبراهيم الكشي، وابن أبي داود السجستاني، وغيرهما، له من المؤلفات: أخلاق حملة القرآن، وكتاب الشريعة، وأخلاق العلماء، وغيرها، توفي سنة ٣٦٠ هـ بمكة، انظر: وفيات الأعيان (٢٩٢/٤)، تاريخ الإسلام (١٥٣/٨)، الوافي بالوفيات (٢٧٦/٢).

(٣) انظر: الشريعة؛ المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري البغدادي (ت ٣٦٠ هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميحي، الناشر: دار الوطن - الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م (ص ٢١).

(٤) انظر: المصنف، لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن خواستي العبسي (ت ٢٣٥ هـ)، المحقق: حمد بن عبد الله الجمعة ومحمد بن إبراهيم اللحيان، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، ط ١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، (٥٥٣/٧).

(٥) سبق تخريجه.

ومما قال أيضاً ﷺ فيهم أنهم: «كلاب أهل النار» ^(١) وأنهم: «شر قتلى قُتلوا تحت أديم السماء» ^(٢).

والقتل والتفجير والترويع الذي يقوم به الخوارج لا شك أنه من الإفساد في الأرض الذي توعد الله عليه أشد العذاب في كتابه العزيز: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة المائدة: ٣٣].

ويكفي والله أصحاب العقول ما ذكر؛ في التنفير منهم وبيان سوء مآلهم وعاقبتهم، وقبح فعلهم وجنائيتهم، على الإسلام وأهله، ففي الدنيا جزاؤهم القتل والصلب والتقطيع والنفى، وفي الآخر هم كلاب أهل النار، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

(١) أخرجه ابن ماجه برقم (١٧٦) (١٢٢/١)، والطبراني في الكبير برقم (٨٠٤٢) (٢٧٠/٨)، والحاكم في المستدرک وصححه (١٦٣/٢).

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٣٠٠٠) (٢٢٦/٥)، وابن ماجه برقم (١٧٦) (١٢١/١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٣٤/٦) "ورجاله ثقات".

المبحث الثالث: الشفاء من التكفير وفكر الخوارج على مستوى الفرد

والجماعة.

إن الله رب العالمين قضى بحوله وقوته أن يجعل لكل انحراف عن الدين القويم علاجاً ناجعاً لمن يتنبه له ويأخذ به، ولما كان التكفير الداء العضال الذي يفضي إلى هلاك الأفراد والأمم -لما كان كذلك- جاءت الآيات القرآنية مشتملة على الطريق القويم للعلاج من هذا الداء الخبيث، سواء لعلاج الفرد أو المجتمع، ومن صور ذلك:

أولاً: وصل ما أمر الله به أن يوصل، وأعظم ذلك بعد الفرائض بر الوالدين، قال الله تعالى في سورة الرعد: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ۝٢٥﴾ [سورة الرعد: ٢٥] تأمل الارتباط في قوله تعالى بين قطع ما أمر الله بوصله وبين الإفساد في الأرض: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۝٢٧﴾ [سورة البقرة: ٢٧] ثم انظر إلى هؤلاء الخوارج الذين خرجوا وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل، وأول ذلك وأعظمه وصل آبائهم وأمهاتهم، وأكد أجزم أن أكثرهم بل كلهم خرجوا دون رضاهم، بل وكأني أرى دموع أمهاتهم وتعلقهن بأبنائهن، بل الأدهى والأمر من يُكفر أباه وأمه منهم، وبعضهم يسعى لقتلهما وهما من ربياه على الإسلام وعلى هذا الدين -والعياذ بالله- ثم بعد ذلك يظن أنه على حق، نعوذ بالله من الضلال والعقوب، أين هذا وأمثاله من قول ربنا ﷺ: ﴿إِنْ أَشْكُرْ لِي وَلَوْلَا دَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ [سورة لقمان: ١٤]

ومن قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَهَرَّهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝٢٤﴾ [سورة الإسراء: ٢٣-٢٤].

وتأمل قوله تعالى في الأبوين الكافرين اللذين يحاولان إيقاع ابنهما في الشرك ورغم ذلك قال
ربي فيها: ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [سورة لقمان: ١٥]

فالحمد لله الذي عافانا وهدانا، اللهم ثبتنا وشباب المسلمين على ما يرضيك واكفنا وإياهم
شر الفتن وشر هذا الفكر الضال برحمتك وأنت أرحم الراحمين.

فلو أن خروجهم هذا جهادٌ مكتمل الأركان والشروط في سبيل الله ولإعلاء كلمة الله؛ لما كان
لهم أن يخرجوا إلا برضاهم، ثم رضى ولي أمرهم، فكيف وخروجهم باطل وفكرهم ضال ومصيرهم
إن لم يتوبوا إلى الله النار وسوء المنقلب والمآل، نسأل الله العافية، ألم يسمع هؤلاء بقول نبينا
ﷺ في حسن الصحبة: في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله
ﷺ فقال: «يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي، قال: «أملك» قال ثم من؟
قال: «ثم أملك» قال: ثم من؟ قال: «ثم أملك» قال ثم من؟ قال: «أبوك»^(١).

وكل ما أمر القرآن والسنة به في وصل الرحم فالأب والأم أولى به، جاء رجل إلى النبي ﷺ
يستأذنه في الجهاد، فقال: أحي والداك؟ قال: نعم، قال ﷺ: «ففيهما فجاهد»^(٢).
فالجهاد والقتال أمره عظيم وله شروط وأركان منها: رضى الوالدين، فرضا الله من رضاها،
وأيضاً: إذن ولي الأمر، والراية الواضحة في سبيل الله إلى غير ذلك كما بين الراسخون في
العلم، فكان الواجب على هؤلاء سؤال كبار أهل العلم ليدلوهم على طريق الحق، وترك صغار
المفتين والمتلاعبين بالدين، فالمرء لا يملك إلا روحاً واحدة فليحرص على أن تكون في مرضاة
الله ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة النحل: ٤٣].

وليحذر هؤلاء الشباب ممن يشكك في علمائهم الكبار وولاة أمرهم، كي لا يكونوا ممن يقول
يوم القيامة: ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي أُتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ ﴿يُوَيَّلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٩٧١) (٢/٨) كتاب الآداب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة، ومسلم برقم (٢٥٤٧)

(٢) كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأنهما أحق به.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٠٠٤) (٥٩/٤) كتاب الجهاد والسير، باب الجهاد بإذن الأبوين، ومسلم برقم (٢٥٤٩)

(٢) كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأنهما أحق به.

﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ [سورة الفرقان: ٢٧-٢٩].

لذا ينبغي الحذر من قطع ما أمر الله به أن يوصل، ومن الإفساد في الأرض، ومن قتل النفس التي حرم الله؛ وقد قال الله -ﷻ- في الآية: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [سورة الرعد: ٢٥]. نسأل الله العافية والسلامة.

ثانياً: من آيات الشفاء أيضاً قول الله تعالى في سورة النساء: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدُوًّا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُضَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [سورة النساء: ٢٩-٣٠] تأمل كيف نهي القرآن بأسلوبه المعجز عن قتل نفس المؤمن، ونفوس إخوانه المؤمنين بقوله الجامع المانع: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ ثم جاء السبب من الله الكريم، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ ثم تأمل الوعيد الشديد لمن تجرأ على ذلك ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدُوًّا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُضَلِّيهِ نَارًا﴾ وهل تجرأ أولئك الخوارج على قتل المؤمنين إلا بالعدوان والظلم، نسأل الله العافية.

وقصة أسامة بن زيد رضي الله وقتله لمن قال: لا إله إلا الله، وإنكار النبي ﷺ الشديد عليه مشهورة مذكورة^(١)، وفيها والله معتبر.

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٢٦٩) (١٤٤/٥) كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة، ومسلم برقم (٩٧) (٩٧/١) كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد قول الشهادة، ولفظ مسلم أن النبي قال له: (كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة)، قال: يا رسول الله استغفر لي، قال: (وكيف تصنع بلا إله إلا الله يوم القيامة) فجعل لا يزيده على أن يقول: (كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة).

جاء عند الطبري: "عن عطاء بن أبي رباح^(١) في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ قال: "قتل بعضهم بعضاً".

وأما قوله جل ثناؤه: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ فإنه يعني: أن الله ﷻ لم يزل رحيماً بخلقه، ومن رحمته بكم كفّ بعضهم عن قتل بعض أيها المؤمنون، بتحريم دماء بعضهم على بعض إلا بحقها، وحظر أكل مال بعضهم على بعض بالباطل، لولا ذلك هلكتم وأهلك بعضكم بعضاً قتلاً وسلباً وغصباً^(٢).

ثالثاً: وأيضاً من آيات الشفاء والقرآن كله شفاء، الحذر الشديد من الدماء المعصومة، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [سورة النساء: ٩٤].

في هذه الآية والله من الدروس والعبر ما يشفي أولي الألباب، وكل من كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد.

لنتأمل كيف حذرت الآية ونبّهت على عدم الحكم على ما في القلوب، وأن الواجب الأخذ بالظاهر، فمن سلّم بتحية الإسلام فهو مسلم، وحذرت من التجرؤ على قتله بعد تحيته ابتغاء عرض الدنيا الفاني، فكيف بالله بمن يُكفر المسلمين بظنونه وأوهامه، بل ويفجر المصلين المسلمين في بيوت الله، ويزعم أن ذلك لأجل الآخرة، نسأل الله العافية.

(١) هو: عطاء بن أبي رباح أسلم بن صفوان، ولد، روى عن جمع من الصحابة كعائشة، وأبي هريرة، وابن عباس، وجابر ﷺ أجمعين، وغيرهم، توفي بمكة سنة ١١٤هـ، وكان من أوعية العلم، روى عنه مجاهد بن جبر، وعمرو بن دينار، وقتادة وغيرهم، انظر: وفیات الأعيان (٢٦١/٣-٢٦٣)، سير أعلام النبلاء (٧١/٥-٨٨)، الوافي بالوفيات (٧٨/٢٠).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٦٣٨/٦).

ولو كان على حق وعلى بصيرة لعلم أن الآخرة أعظم وأكبر من عرض الدنيا، فلئن كان النهي في الآية عن القتل بلا تبين لأجل عرض الدنيا، فالآخرة من باب أولى أن يكون فيها التثبت والتبين، بل يجب أن يكون أضعاف أضعاف من أراد الدنيا الفانية، ذلك لمن هدى الله قلبه والتزم بكتاب ربه وسنة نبيه، وتبرأ من الفكر الضال.

ثم إذا علمنا أنه في الجهاد الحقيقي المكتمل الأركان والشروط سواء في العدو الذي يُقاتل، أو في إذن ولاية الأمر، وأيضاً رضا الوالدين والراية الواضحة التي يُقاتل تحتها إلى غير ذلك من الشروط، إذا علمنا أنه في هذا الجهاد أمرنا بعدم الاعتداء إلى ما نهي الله عنه، ثم نجد هؤلاء الخوارج يقتلون النساء والشيخوخ والأطفال بالتفجير ولا يفرقون، بل ويفسدون في الأرض بالقتل والترويع، من رأى ذلك وله عقل وبصيرة علم أن اعتداءهم علامة واضحة على ضلال فكرهم وفساد معتقدهم.

قال الله ﷻ: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٩٠] "عن ابن عباس: أي: لا تقتلوا النساء، ولا الصبيان، ولا الشيخ الكبير، ولا من ألقى إليكم السلم وكف يده، فإن فعلتم هذا فقد اعتديتم. وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة: "إني وجدتُ آية في كتاب الله: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ أي: لا تقتلوا من لا يُقاتلك، يعني: النساء والصبيان والرهبان" (١).

"وقوله: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ أي: قاتلوا في سبيل الله ولا تعتدوا في ذلك، ويدخل في ذلك ارتكاب المناهي - كما قاله الحسن البصري - من المثلة والغلول، وقتل النساء والصبيان والشيخوخ الذين لا رأي لهم ولا قتال فيهم، والرهبان وأصحاب الصوامع،

(١) انظر: تفسير الطبري (٥٦٣/٣).

وتحريق الأشجار، وقتل الحيوان لغير مصلحة، كما قال ذلك ابن عباس، وعمر بن عبد العزيز، ومقاتل بن حيان^(١)، وغيرهم.

ولهذا جاء في صحيح مسلم عن بريدة رضي الله عنه ^(٢) أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اغزوا بسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا»^(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث جيوشه قال: «اخرجوا بسم الله، قاتلوا في سبيل الله من كفر بالله، لا تغدروا ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع»^(٤).

وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنه قال: ((وجدت امرأة في بعض مغازي النبي ﷺ مقتولة، فأنكر رسول الله ﷺ قتل النساء والصبيان))^(٥).

(١) هو: مقاتل بن حيان بن دوال دور أبو بسطام النبطي، حدث عن الشعبي، ومجاهد، والضحاك، توفي في حدود الخمسين ومائة، روى عنه بكير بن معروف، وإبراهيم بن أدهم، وابن المبارك وغيرهم انظر: سير أعلام النبلاء (٦/٢٤٠-٢٤١).

(٢) هو: بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث الأسلمي، أسلم قبل بدر ولم يشهدها، وشهد الحديبية، فكان ممن بايع تحت الشجرة، سكن المدينة ثم تحول إلى البصرة، ثم خرج منها إلى خرسان غازياً فمات بمرو في إمرة يزيد بن معاوية، سنة ٦٣ هـ انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/١٨٥)، أسد الغابة (١/٢٠٩)، الإصابة في تمييز الصحابة (١/٤١٨).

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٧٣١) (٣/١٣٥٧) كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند برقم (٢٧٢٨) (٤/٤٦١)، والطبراني في الكبير برقم (١١٥٦٢) (١١/٢٢٤).

(٥) أخرجه البخاري برقم (٣٠١٤) (٤/٦١) كتاب الجهاد والسير، باب قتل الصبيان في الحرب، ومسلم برقم (١٧٤٤) (٣/١٣٦٤) كتاب الجهاد والسير، باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب.

وجاء في مسند الإمام أن رسول الله ﷺ قال: «إن قوماً كانوا أهل ضعف ومسكنة، قاتلهم أهل تجبر وعداء، فأظهر الله أهل الضعف عليهم، فعمدوا إلى عدوهم فاستعملوهم وسلطوهم فأسخطوا الله عليهم إلى يوم يلقونه»^(١).

ومعناه: أن هؤلاء الضعفاء لما قدروا على الأقوياء، فاعتدوا عليهم واستعملوهم فيما لا يليق بهم، أسخطوا الله عليهم بسبب هذا الاعتداء^(٢).

والأحاديث والآثار والآيات في هذا السياق كثيرة، والمجال يسمح فقط بضرب أمثلة معدودة تكفي بإذن الله، وتدل صاحب العقل السديد على غيرها من آيات القرآن الكريم، ولنتذكر دائماً هذه الآية العظيمة -ففيها والله الوقاية والنجاة- وهي قول الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣]، فنحذر أشد الحذر من مفارقة الجماعة وولادة الأمر والعلماء الراسخين، ونحرص على الاعتصام بحبل الله جميعاً والاجتماع عليه، فذلك من أعظم أسباب الشفاء من الأفكار الضالة بإذن الله.

وللشيخ الفاضل عاصم القريوتي^(٣) بحثٌ جميل حول علاج ظاهرة التكفير، وسأنقل هنا ثلاث نقاط -أختم بها المبحث- ذكرها الشيخ؛ لأهميتها بتصرف، وهي من أسباب شفاء الأفراد والمجتمعات بإذن الله من فكر الخوارج:

أولاً: الحرص على نشر العلم المستمد من الكتاب والسنة وسلف الأمة، نعم العلم نور، والشیطان يصد الناس عن العلم ليبقوا في الظلمات فيتخطبهم كيف شاء، لعلمه أن العلم

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم (٢٣٤٦٢) (٤٤٨/٣٨)، وابن أبي شيبة في المصنف برقم (٣٧٢٠٤) (٤٥٨/٧)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٣٢/٥): "رواه أحمد وفيه الأجلح الكندي، وهو ثقة وقد ضعف، وبقيّة رجاله ثقات".
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٥٢٤/٢).

(٣) هو: عاصم بن عبد الله بن إبراهيم القريوتي، عضو هيئة التدريس بقسم السنة بكلية أصول الدين، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ولد في الزرقاء بالأردن عام ١٣٧٤ هـ، حصل على الدكتوراه في الحديث النبوي عام ١٩٨٣ م، وتلمذ على الألباني، وعبد الفتاح القاضي وغيرهما، له عدد من المؤلفات والتحقيقات منها: الإسناد من الدين ومن خصائص أمة سيد المرسلين، و حديث صلاة الاستخارة دراية ورواية، وكوكبة من أئمة الهدى ومصايح الدجى -تراجم- وغيرها، انظر: ترجمة ذاتية كتبها المترجم له، ونشرت في موقعه الشخصي على الشبكة العنكبوتية.

النافع نور يبدد الظلمات ويكشف مداخله فيحذره أولوا الألباب ويتحصنون منه، وما خرج هؤلاء التكفيريون إلا بشبهات زيتها لهم الشيطان، فصدقوها بجهلهم واستقرت في قلوبهم، ولو كانوا أهل علم، أو عادوا لأهل العلم الراسخين لعلموا الردود على تلك الشبهات، ولكن كما قال نبينا محمد ﷺ في الحديث الصحيح: «خُذْ ثَاءَ الْأَسْنَانِ، سَفْهَاءَ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيْمَانَهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنْ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١). ولا شك أن غالب الشُّبه؛ بل كلها أجاب عنها سلفنا الصالح وبيَّنوها، فالشبه التي يرددونها اليوم أصولها قديمة، فالاهتمام بعلوم القرآن والسنة ثم بكتب السلف الصالح خصوصاً، وطبعها ونشرها بين الشباب في كتب وبرامج ومحاضرات حصن حصين بإذن الله من فكر الخوارج.

ثانياً: إبراز مكانة العلماء الربانيين والتحذير من المجاهيل، والرد إليهم في المسائل المهمة. قال الشيخ صالح الفوزان: "إنما يُطلق التكفير -جُزافاً- الجهلة الذين يظنون أنهم علماء، وهم لم يتفقهوا في دين الله ﷻ، وإنما يقرؤون الكتب، ويتبعون العثرات، ويأخذون مسميات التفسير، ويُطلقونها بغير علم على أصحابها، أو من يستحقها؛ لأنهم لا يعرفون وضع هذه الأمور موضعها، لعدم فقههم في دين الله ﷻ، ومثلهم في ذلك كمثلي إنسان جاهل أخذ سلاحاً وهو لا يعرف كيف يستخدمه؛ فهذا يوشك أن يقتل نفسه وأهله وأقاربه؛ لأنه لا يحسن استعمال هذه الأدلة"^(٢).

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: المنتقى من فتاويه (١/١١٢).

ثالثاً: تحريم الإفتئات في مسائل السياسة والقضايا العامة على اختصاصات ولاية الأمر، وعلى العلماء الراسخين أقصد كبار أهل العلم^(١).

(١) انظر: وسائل علاج ظاهرة التكفير؛ لعاصم القريوتي (ص ٥٤٦٧) و(ص ٥٤٧٢).

المبحث الرابع: الاعتبار بمآل الخوارج وأهل التكفير في الماضي والحاضر.

عبر من التاريخ الماضي:

جاء في كتاب النذير تحت الخاتمة بعنوان الذكرى تنفع المؤمنين، قول الدكتور ماجد المرسل حفظه الله: "ومن أبرز دروس التاريخ وعبره: أن الخروج على الحكام وإن جاروا وظلموا ليس من الإصلاح في شيء، وأن مفسده أكثر من مصالحه، بل هو من أكبر أسباب إيقاظ الفتن العمياء التي تأكل الأخضر واليابس" (١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله -بتصرف-: "كالذين خرجوا على يزيد في المدينة، وكابن الأشعث الذي خرج على عبد الملك بالعراق، وأمثال هؤلاء وغايتهم إما أن يُغلبوا وإما أن يغلبوا، ثم يزول ملكهم فلا يكون لهم عاقبة، فلا أقاموا ديناً لا أبقوا ديناً، والله تعالى لا يأمر بأمر لا يحصل به صلاح الدين ولا صلاح الدنيا، وإن كان فاعل ذلك من أولياء الله المتقين، ومن أهل الجنة، فقد كان -مثلاً- ممن خرج مع ابن الأشعث أناس من أهل العلم والدين، وقد قيل للشعبي في فتنة ابن الأشعث: أين كنت يا عامر: "أصابتنا فتنة لم نكن فيها برة أتقياء ولا فجرة أقوياء"، فهذا يبين أن ما أمر به النبي ﷺ من الصبر على جور الأئمة وترك قتالهم والخروج عليهم هو أصلح الأمور للعباد في المعاش والمعاد، وأن من خالف ذلك متعمداً أو مخطئاً لم يحصل بفعله صلاح بل فساد" (٢)، قال الدكتور المرسل: "وكثيرون من أولئك الذين خرجوا ندموا على استعجالهم، وأسفوا على خروجهم، وتمنوا أنهم لو لم يفعلوا، قال أيوب السخيتاني عن القراء الذين خرجوا مع ابن الأشعث: "لا أعلم أحداً منهم قُتل إلا

(١) النذير-مناقشة علمية لأبرز الشبهات المتعلقة بالإمامة والجهاد والتكفير-؛ للشيخ ماجد المرسل.

(٢) انظر: منهاج السنة (٤/٥٢٧-٥٢٨).

وقدر رغب عن مصرعه، ولا نجا أحد منهم إلا حمد الله الذي سلمه وندم على ما كان منه" (١).

ومن دروس التاريخ وعبره المناظرة التي جرت بين ابن عباس رضي الله عنه والخوارج، والتي عاد بعدها إلى الحق ألفان منهم، فالشُّبه قديمة، والردود عليها مبثوثة في كتب أهل الرسوخ في العلم استنبطوها من كتاب الله وسنة رسوله صلَّى الله عليه وآله فهل من معتبر، هذا ما جرى في المناظرة وشُّبه هؤلاء الخوارج اليوم شبيهة بشُّبه الخوارج الأوائل.

يقول عبدُ الله بن عباس رضي الله عنه - : " لما خرجتِ الحرورية اعتزلوا في دار، وكانوا ستة آلاف، فقلتُ لعلي: يا أمير المؤمنين، أبرد بالصلاة؛ لعلي أكلم هؤلاء القوم.

قال: إني أخافهم عليك.

قلتُ: كلا. فلبستُ، وترجَّلت، ودخلتُ عليهم في دارٍ نصفَ النهار وهم يأكلون.

فقالوا: مرحبًا بك يا ابن عباس، فما جاء بك؟

قلتُ لهم: أتيتكم من عند أصحاب النبي صلَّى الله عليه وآله - المهاجرين والأنصار -، ومن عند ابن عمِّ النبي صلَّى الله عليه وآله وصهره، وعليهم نزل القرآن، فهم أعلم بتأويله منكم، وليس فيكم منهم أحدٌ؛ لأبلغكم ما يقولون، وأبلغهم ما تقولون.

فانتحى لي نفرٌ منهم.

قلتُ: هاتوا ما نقيمت على أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وابن عمِّه.

قالوا: ثلاث.

(١) النذير - مناقشة علمية لأبرز الشبهات المتعلقة بالإمامة والجهاد والتكفير -؛ للشيخ ماجد المرسال.

قلتُ: ما هنَّ؟

قالوا: أمّا إحداهن فإنه حَكَّم الرجال في أمر الله، وقال الله: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]؛ ما شأن الرجال والحكم؟!

قلتُ: هذه واحدة.

قالوا: وأمّا الثانية فإنه قاتلٌ ولم يسب ولم يغنم؛ إن كانوا كفارًا لقد حلَّ سباهم، ولئن كانوا مؤمنين ما حلَّ سباهم ولا قتالهم.

قلتُ: هذه ثنتان، فما الثالثة؟

وذكر كلمةً معناها قالوا: محا نفسه من أمير المؤمنين؛ فإن لم يكن أمير المؤمنين، فهو أمير الكافرين.

قلت: هل عندكم شيءٌ غير هذا؟

قالوا: حسبنا هذا.

قلتُ لهم: رأيتمكم إن قرأت عليكم من كتاب الله - جل ثناؤه - وسنة نبيه ما يردُّ قولكم أترجعون؟ قالوا: نعم.

قلت: أما قولكم: "حَكَّم الرجال في أمر الله" فإني أقرأ عليكم في كتاب الله أن قد صيَّر الله حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم، فأمر الله - ﷺ - أن يحكموا فيه؛ رأيتم قول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [سورة المائدة: ٩٥].

وكان من حكم الله أنه صيَّره إلى الرجال يحكمون فيه، ولو شاء لحكم فيه، فجاز من حكم الرجال، أنشدكم بالله، أحكم الرجال في صلاح ذات البين وحقن دمائهم أفضل أو في أرنب؟

قالوا: بلى، هذا أفضل.

وفي المرأة وزوجها: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [سورة النساء: ٣٥] فنشدتكم بالله، حكم الرجال في صلاح ذات بينهم وحقن دمائهم أفضل من حكمهم في بضع امرأة؟

خرجت من هذه؟

قالوا: نعم. قلت: وأما قولكم: "قاتل ولم يسب ولم يغنم" أفتسبون أمكم عائشة، تستحلون منها ما تستحلون من غيرها وهي أمكم؟! فإن قلت: إنا نستحل منها ما نستحل من غيرها فقد كفرتم، وإن قلت: ليست بأمناء فقد كفرتم: ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [سورة الأحزاب: ٦]

فأنتم بين ضاللتين، فأتوا منها بمخرج.

أفخرجت من هذه؟

قالوا: نعم. قلت: وأما "محا نفسه من أمير المؤمنين" فأنا آتيكم بما ترضون: إن نبي الله ﷺ يوم الحديبية صالح المشركين فقال لعلي: «اكتب يا علي: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله» قالوا: لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك، فقال رسول الله ﷺ: «امح يا علي، اللهم إنك تعلم أني رسول الله، امح يا علي، واكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله» والله، لرسول الله ﷺ خير من علي، وقد محا نفسه، ولم يكن محوه نفسه ذلك محاه من النبوة.

أخرجت من هذه؟

قالوا: نعم.

فرجع منهم ألفان، وخرج سائرهم، فقتلوا على ضلالتهم، قتلهم المهاجرون والأنصار" (١).

أهم الدروس والعبر المستخلصة من المناظرة:

١- الاهتمام باختيار الرجل المناسب للمهمة المرسل إليها؛ ومن أمثالهم السائرة في الناس: " أرسل حكيمًا ولا توصه"، يقول أبو عبيد (٢): "إنَّ عقله وأدبه يغنيك عن وصايته بعد أن يعرف الحاجة" (٣).

فقد كان ابن عباس -رضي الله عنهما- هو الرجل المناسب لتلك المهمة؛ لما تميز به من غزارة العلم، وحسن الفهم؛ فهو ترجمان القرآن، والمدعو له بفهم التأويل.

٢- وفي الأثر دليل صريح على أنه لم يكن في الخوارج أحد من الصحابة -رضي الله عنهم- يقول ابن عباس: (وليس فيكم منهم أحد) وهذا نصّ واضح صريح على براءة الصحابة من تلك الفرقة الضالة.

٣- ويُستفاد من هذا الأثر: أن الأصل في وقوع الخوارج في هذه البدعة مبنيٌّ على أمرين:

الأول: اعتقادهم أن فعل الصحابة مخالف للقرآن الكريم.

(١) أخرجه النسائي في الكبرى برقم (٨٥٢٢) (٤٨٠/٧)، والحاكم في المستدرک برقم (٢٦٥٦) (١٦٤/٢)، والبيهقي في الكبرى برقم (١٦٧٤٠) (٣٠٩/٨)، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه".

(٢) هو: أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي الأزدي الخزاعي، رحل إلى بغداد فولي القضاء بطرسوس ثماني عشرة سنة، ورحل إلى مصر وبغداد، وسمع من إسماعيل بن جعفر، وإسماعيل بن عياش، وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن المبارك وغيرهم، وحج فتوفي بمكة سنة ٢٢٤هـ، وله من التصانيف: الأمثال، والغريب، والأموال، والمقصود والممدود من الآيات وغيرها، انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣٥٥/٧)، تهذيب الأسماء واللغات (٢٥٧/٢)، سير أعلام النبلاء (٤٩٠/١٠).

(٣) انظر: الأمثال، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤ هـ)، المحقق: الدكتور عبد المجيد قطامش، الناشر: دار المأمون للتراث، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م (ص ٢٥٢).

والثاني: اعتقادهم كفر من خالف القرآن مطلقاً، لا فرق بين المخطئ والمتعمّد، ولا بين من ارتكب ذنباً وهو معتقد للوجوب أو التحريم، ومن ارتكب ذنباً وهو غير معتقد للوجوب أو التحريم.

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "لكن خرجوا [يعني: الخوارج] عن السنة والجماعة، فهم لا يرون اتباع السنة التي يظنون أنها تخالف القرآن: كالرجم، ونصاب السرقة، وغير ذلك، فضّلوا؛ فإن الرسول أعلم بما أنزل الله عليه، والله قد أنزل عليه الكتاب والحكمة، وجوّزوا على النبي أن يكون ظالماً؛ فلم ينفذوا لحكم النبي، ولا لحكم الأئمة بعده، بل قالوا: إن عثمان وعليّاً ومن والاهما قد حكموا بغير ما أنزل الله ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة المائدة: ٤٤].

فكفّروا المسلمين بهذا وبغيره، وتكفيرهم سائر أهل البدع مبني على مقدمتين باطلتين: إحداهما: أن هذا يخالف القرآن الكريم.

والثانية: أن من خالف القرآن يكفر، ولو كان مخطئاً، أو مذبذباً معتقداً للوجوب والتحريم^(١).
٤- من الدروس أيضاً: أن في هذه المناظرة تطبيق عملي لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ لِّبُضْلٍ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ [سورة التوبة: ١١٥]؛ فإن علي بن أبي طالب -عليه السلام- والصحابة لم يبادروا إلى قتال الخوارج حتى أقاموا عليهم الحجة، وأزالوا ما علق بأذهانهم من شبهات؛ ولهذا ترجم الإمام البخاري في صحيحه: (باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم)^(٢)، وقد يُعرض الدليل على المخالف فيرجع إلى الحقّ، ويدع ما وقع فيه من المخالفة.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٠٨/١٣-٢٠٩).

(٢) صحيح البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم (١٦/٩).

٥- استعمل ابن عباس في إقامة الحجة على الخوارج أحسنَ القياس وأوضحه^(١)، فنجدته يرد على الشبهة الأولى (تحكيم الرجال في دين الله تعالى) بانتزاع الآيات الدالة على التحكيم في قتل المحرم للصيد، والإصلاح بين الزوجين.

كما نراه يدفع الشبهة الثانية (قاتل ولم يسب ولم يغنم) بأقصر سبيل؛ حيث ضرب لهم المثل بأم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها، والقسمة العقلية لا تخرج عن أحد الأمرين؛ كلاهما كفر بالله العظيم: إما أن يستحلّوا منها ما يستحلّون من غيرها، وإما أن ينكروا أنها أم المؤمنين ويخالفوا الكتاب.

وفي جواب ابن عباس عن الشبهة الثالثة (محا عليّ نفسه من أمير المؤمنين) ومفادها: ما جاء في كتاب الصلح بين علي ومعاوية: كتب عليّ: (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما قاضى عليه علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، فقال عمرو بن العاص: اكتب اسمه واسم أبيه، هو أميركم وليس بأمرنا، فقال الأحنف: لا تكتب إلا أمير المؤمنين، فقال علي: امح: أمير المؤمنين، واكتب: هذا ما قاضى عليه علي بن أبي طالب)^(٢).

فاستشهد ابن عباس بقصة الحديبية؛ مستعملاً قياس الأولى في قوله: (والله لرسول الله صلّى الله عليه وآله خير من علي، وقد محا نفسه، ولم يكن محو نفسه ذلك محاه من النبوة).

(١) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م (١/١٦٤).

(٢) انظر: البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤ هـ)، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م (٣٠٦/٧).

وما إن أتم ابن عباس الحجة عليهم، إذا بثلت الخوارج يرجعون إلى الحق، ويعودون مع ابن عباس، وأما الآخرون فأغاروا على أموال الناس واستحلوا دماءهم، حتى قتلوا ابن خباب^(١)، وقالوا: كلنا قتله، حينئذ قاتلهم علي بن أبي طالب، واستأصل شأفتهم^(٢).

فما أحرانا أن نسلك سبيل من سلف قولاً وعملاً واعتقاداً؛ فقد حذرنا الله تعالى من مخالفة سبيلهم؛ فقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [سورة النساء: ١١٥].

عبر من أفعال الخوارج في التاريخ المعاصر:

" التاريخ المعاصر يؤكد هذه الحقيقة؛ فكل من نزع الطاعة وخرج عن الجماعة ورفع سلاحه على الحكومات لم يقم الله به ديناً ولم يصلح به ديناً، وكان إفساده أكثر من إصلاحه، لو افترضنا وجود شيء من الإصلاح، فماذا جنت جماعات العنف في مصر، والجزائر، وليبيا غير سفك الدماء، وزعزعة الأمن، وإتلاف الممتلكات، وإشاعة الفوضى، وكذلك ماذا كانت عاقبة فتنة الحرم المكي الشريف غير استحلال البلد الأمين والإلحاد فيه بالقتل والإفساد، والله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [سورة الحج: ٢٥]".

وقد سئل الإمام أحمد عن الخروج في فتنة القول بخلق القرآن فقال: "سبحان الله الدماء الدماء، لا أرى ذلك ولا أمر به، الصبر على ما نحن فيه خير من الفتنة يسفك فيها الدماء وتستباح الأموال، وتنتهك المحارم"^(٣).

(١) هو: عبد الله بن خباب بن الأرت، ولد في زمن النبي ﷺ، روى عن أبيه وأبي بن كعب وغيرهما، قتلته الحرورية عام ٣٨هـ، انظر: الطبقات الكبرى (١٨٩/٥)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٨٩٤/٣)، الكمال في أسماء الرجال (١٤٩/٦).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٣ / ٢٠٨-٢٠٩) ببعض التصرف.

(٣) انظر: الجامع لعلوم الإمام أحمد - الفقه (٤٧/١٣).

"من أجل ذلك كله، وللأدلة المعتبرة من الكتاب والسنة التي تأمر بالسمع والطاعة لولاة الأمور^(١)؛ استقر مذهب أهل السنة والجماعة على وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر المعروف، أبراراً كانوا أم فجاراً، ومما يؤكد هذا ويوضحه حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأنها موعظة مودع! فماذا تعهد إلينا؟ فقال: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعصوا عليها بالتواجد، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»^(٢)

قال الطحاوي رحمته الله في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة: "ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمرنا، وإن جاروا ولا ندعوا عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله ﷻ فريضة مالم يأمرُوا بمعصية، وندعوا لهم بالصلاح والمعافة"^(٣). وفي قصة ابني آدم عليهما السلام في القرآن الكريم والآيات التي تليها مزدجر عن سفك الدماء المعصومة وأمرٌ للعقول من فكر الخوارج الضال، قَالَ تَعَالَى:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ

(١) انظر: مبحث البيعة في القرآن الكريم ولوازمها ص .

(٢) أخرجه ابن ماجه برقم (٤٣) (٢٩/١)، وابن أبي داود برقم (٤٦٠٧) (١٦/٧)، وأحمد في المسند برقم (١٧١٤٢) (٣٦٧/٢٨)، والحاكم برقم (٣٢٩) (١٧٤/١) وصححه وقال: "هذا حديث صحيح ليس له علة".

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذري الصالحى الدمشقي (ت ٧٩٢ هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت (٣٧١/١).

الْحَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوَاءَ أَخِيهِ قَالَ يُوزِلْنِي أَعْمَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ [سورة المائدة: ٢٧-٣٤].

وتأمل أيها المكفر قبل أن تسلم عقلك لغيرك ليفكر عنك، تأمل أنت بعقلك الذي وهبك الله إياه، فإنك والله ستأتي الله يوم القيامة فرداً، تأمل قول ابن آدم لأخيه: ﴿لَيْنُ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ [المائدة: ٢٨] واسأل نفسك التي بين جنبيك قبل أن تقتل مؤمناً بريئاً معصوماً: ألا تخافين الله رب العالمين ؟

" قال الله تعالى بعدها: ﴿مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ﴾ أي: قتل ابن آدم أخاه ظلماً وعدواناً: ﴿كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [المائدة: ٣٢] أي: شرعنا لهم وأعلمناهم ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢] أي: ومن قتل نفساً بغير سبب من قصاص، أو فساد في الأرض، واستحل قتلها بلا سبب ولا جناية، فكأنما قتل الناس جميعاً؛ لأنه لا فرق عنده بين

نفس ونفس، ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ [المائدة: ٣٢] أي: حرّم قتلها واعتقد ذلك، فقد سلم الناس كلهم منه بهذا الاعتبار؛ ولهذا قال: ﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

وقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: ((دخلتُ على عثمان يوم الدار فقلت: جئت لأنصرك وقد طاب الضرب يا أمير المؤمنين، فقال: يا أبا هريرة، أيسرك أن تقتل الناس جميعاً وإياي معهم؟ قلت: لا، قال فإنك إن قتلت رجلاً واحداً فكأنما قتلت الناس جميعاً، فرجعت فلم أُقاتل))^(١).

وقال العوفي^(٢) عن ابن عباس، في قوله: ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢] يقول: من قتل نفساً واحدة حرمها الله، فهو مثل من قتل الناس جميعاً، وقال سعيد بن جبیر^(٣): من استحل دم مسلم فكأنما استحل دماء الناس جميعاً، ومن حرّم دم مسلم فكأنما حرم دماء الناس جميعاً^(٤).

" وإذا كان هذا شأن عظم هذه الجريمة، علّم أن تطهير الأرض من المفسدين، وتأمين السبل والطرق عن القتل، وأخذ الأموال، وإخافة الناس، من أعظم الحسنات وأجل الطاعات، وأنه إصلاح في الأرض، كما أن ضده إفساد في الأرض"^(٥).

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه برقم (٢٩٣٧) (٣٨٦/٢)، قال ابن حجر في المطالب العالية (٧٤/١٤): "هذا إسناد صحيح، رواه ثقات".

(٢) هو: عطية بن سعد بن جنادة العوفي، روى عن أبي سعيد الخدري، وابن عباس، وأبي هريرة، وابن عمر، وغيرهم، روى له أبو داود والترمذي وابن ماجه، توفي سنة ١١١ هـ، انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣٠٥/٦)، الكمال في أسماء الرجال (٣١٦/٧)، سير أعلام النبلاء (٣٢٥/٥).

(٣) هو: سعيد بن جبیر بن هشام، مولى بني وائلة، سمع أبا مسعود، وابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير وغيرهم، وقرأ القرآن على ابن عباس وأكثر من الرواية عنه، وسمع منه عمرو بن دينار، وأيوب، وجعفر بن إياس، قتل في شعبان سنة ٩٥ هـ بواسطة قتله الحجاج، انظر: التاريخ الكبير؛ للبخاري (٤٦١/٣)، الكمال في أسماء الرجال (١٣٢/٥)، سير أعلام النبلاء (٣٢١/٤)، الوافي بالوفيات (١٢٩/١٥).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٩٣-٩٢/٣).

(٥) انظر: تفسير السعدي (ص ٢٢٩).

فنحمد الله على نعمة الأمن والأمان، ونسأله أن يحفظ ولاية أمرنا وعلماءنا وأن يعينهم
ويثبتهم على الحق ويجزيهم عنا خير الجزاء.

الباب الرابع

التحصين الفكري في القرآن الكريم من الفرقة

والاختلاف

وفيه فصلان:

الفصل الأول: عناية القرآن الكريم بالاجتماع وتحذيره من

الفرقة والاختلاف

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الأمر بالجماعة ولنزومها في القرآن الكريم .

المبحث الثاني: تحذير القرآن الكريم من الفرقة والاختلاف وبيان سوء عاقبتهم .

المبحث الأول: الأمر بالجماعة ولزومها في القرآن الكريم.

من تدبر القرآن الكريم وجد الأمر بلزوم جماعة المسلمين ظاهراً بيناً في آياته، بل إن من مقاصد الشارع الحكيم حصول الألفة بين المسلمين والاجتماع على الحق المبين، ويظهر ذلك في كثير من العبادات وشعائر الدين، كالصلاة جماعة وصلاة الأعياد والحج وغيرها، بل إن الله عدّ تألف قلوب المؤمنين من أعظم النعم والمنن التي تستحق الحمد والشكر، قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة الأنفال: ٦٣]، وقال سبحانه: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣-١٠٤].

قال الطبري في تفسيره: "يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿ولا تفرقوا﴾ ولا تتفرقوا عن دين الله وعهده الذي عهد إليكم في كتابه، من الائتلاف والاجتماع على طاعته، وطاعة رسوله ﷺ، والانتهاء إلى أمره.

وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]: إِنَّ اللَّهَ ﷻ قد كره لكم الفرقة، وقدم إليكم فيها، وحذركموها، ونهاكم عنها، ورضي لكم السمع والطاعة والألفة والجماعة، فارضوا لأنفسكم ما رضى الله لكم إن استطعتم، ولا قوّة إلا بالله" (١).

(١) انظر: تفسير الطبري (٧/٧٤).

وجاء عند الطبري أيضاً في الآية: "وأما الحبل، فإنه السبب الذي يوصل به إلى البغية والحاجة، ولذلك سمي الأمان حبلاً؛ لأنه سبب يوصل به إلى زوال الخوف والنجاة من الجزع والذعر.

وعن الشعبي، عن عبد الله بن مسعود، أنه قال في قوله: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣] قال: «الجماعة» وَقَالَ: (عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّمَا حَبْلُ اللَّهِ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، وَإِنَّ مَا تَكْرَهُونَ فِي الْجَمَاعَةِ وَالطَّاعَةِ خَيْرٌ مِّمَّا تُحِبُّونَ فِي الْفِرْقَةِ)^{(١)(٢)}.

" والله ﷻ جعل أهل الحق حزباً واحداً قدراً وشرعاً وناط به الفلاح في أنفسهم والغلبة على أعدائهم فقال: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة المجادلة: ٢٢] وقال أيضاً: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [سورة المائدة: ٥٦]، وهذه الغلبة الموعودة ثابتة لحزب الله بالحجة والبرهان في كل صقع وآن، وتتبعها الغلبة بالسيف والسنان إذا كانت أحوالهم مستقيمة"^(٣).

"وهذا الحزب هو المعبر عنه بـ (الجماعة) في حديث افتراق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، قال ﷺ: «ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة وهي الجماعة»^(٤).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف برقم (٣٧٣٣٧) (٤٧٤/٧)، والآجري في الشريعة برقم (١٧) (٢٩٨/٢)، والحاكم في المستدرک برقم (٨٦٦٣) (٥٩٨/٤) وصححه وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، وقال الذهبي: "على شرط البخاري ومسلم".

(٢) انظر: تفسير الطبري (٦٤٣/٥).

(٣) أنظر: السلفيون في مصر؛ لمحمد حامد محمد (ص ٥٣-٥٤).

(٤) أخرجه أبو داود برقم (٤٥٩٧) (٦/٧)، وابن ماجه برقم (٣٩٩٢) (١٢٨/٥)، وقال الحافظ الزيلعي في تحريج أحاديث الكشاف: "وحديث افتراق الأمة منه صحيح بشواهد".

ومن شواهد لفظ: «ما أنا عليه وأصحابي»^(١).

وهو مدلول حديث العرياض بن سارية المرفوع: «فإنه من يعيش منكم بعدي فسيروا اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ»^(٢).

وهذا الحزب حزب واحد قد فُرج من إنشائه على يدي رسول الله ﷺ فيجب على كل مسلم ينشد الحق ويسعى في فكاك نفسه من عذاب الله أن يلزم غرز هذا الحزب وينأى بنفسه عن شق عصاه وإنشاء حزبٍ شقاقٍ داخل هذا الحزب الواحد.

وكان هذا الحزب متمثلاً في جيل الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان، وكانوا ينادون بشدة ويناصبون أشدَّ العداة كلَّ من يفتُّ في عضد هذه الجماعة بمفهومها (العلمي المنهجي) و(السياسي) ويخرج عليها من حيث العقيدة والسلوك والسياسة"^(٣).

ففيما يتعلق بالمخالفة العقدية نجد الإنكار الشديد والحاسم من عبد الله بن عمر رضي الله عنهما على منكري القدر، فقد روى مسلم عن يحيى بن يعمر قال: "كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني"^(٤) فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفق لنا عبد الله

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٦٤١) (٢٦/٥)، والطبراني في الكبير برقم (٦٢) (٣٠/١٣)، والحاكم في المستدرک برقم (٤٤٤) (٢١٨/١)، وقال المناوي في كشف المناهج: "رواه الترمذي... وفي سنده عبدالرحمن بن زياد الأفريقي، قال الذهبي فيه: ضعفه".

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر: مجموع فتاوى العلماء في الجماعات الإسلامية. <https://2u.pw/pZU6NHA>.

(٤) هو: معبد الجهني، البصري اختلف في اسم أبيه وجده، قيل: معبد بن عبد الله بن عكيم الجهني، وقيل: ابن خالد، وقيل: ابن عبد الله بن عؤمر. وروى عن: الحسن بن علي، وابن عباس، وابن عمر، ومعاوية وغيرهم، وكان أول من تكلم بالبصرة في القدر، وصلبه عبدالملك بدمشق سنة ٨٠ هـ، انظر: التاريخ الكبير؛ للبخاري (٣٩٩/٧)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٢٤٤/٢٨).

بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي، أهدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلىّ فقلت: أبا عبد الرحمن ! إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم - وذكر من شأنهم - وأنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف، قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر! لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر^(١).

ومن حيث المخالفة السلوكية نرى كيف أن عبد الله بن مسعود شدّد النكير على هؤلاء الذين أحدثوا أنماطاً في العبادة لم تكن في عهد رسول الله ﷺ من إحصاء الأذكار وعدّها، مما لم يؤمروا به، فكان مما قال لهم في تعنيفهم: ((إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد ﷺ أو مفتتحوا باب ضلالة، قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير، قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه))^(٢).

ومن حيث المخالفة السياسية لجماعة المسلمين نرى كيف أن ابن عمر هدّد حشمه وولده بالمفاصلة بينه وبينهم في شأن خلع يزيد بن معاوية، فقد روى البخاري أن ابن عمر جمع حشمه وولده فقال: إني سمعت النبي ﷺ يقول: «يُنصب لكل غادر لواء يوم القيامة»^(٣)، وإنّا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله ﷺ وإني لا أعلم غدرًا أعظم من أن يُبايع رجلٌ على بيع الله ورسوله ثم يُنصب له القتال، وإني لا أعلم أحداً خلعه ولا بايع في هذا الأمر إلا كانت الفصيل بيني وبينه^(٤).

(١) أخرجه مسلم برقم (٨) (٣٦/١) كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان.

(٢) أخرجه الدارمي برقم (٢١٠) (٢٨٦/١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٢/٥).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٧١١١) (٥٧/٩) كتاب الفتن، باب إذا قال عند قوم شيئاً ثم خرج فقال بخلافه، ومسلم برقم (١٧٣٥) كتاب الجهاد والسير، باب تحريم الغدر.

(٤) أنظر: مجموع فتاوى العلماء في الجماعات الإسلامية، <https://2u.pw/pZU6NHA>.

قال العلامة ابن باز رحمته الله: "وما لا شك فيه أن كثرة الفرق والجماعات في المجتمع الإسلامي مما يحرص عليه الشيطان أولاً، وأعداء الإسلام من الإنس ثانياً؛ لأن اتفاق كلمة المسلمين ووحدهم وإدراكهم الخطر الذي يهددهم ويستهدف عقيدتهم يجعلهم ينشطون لمكافحة ذلك، والعمل في صف واحد من أجل مصلحة المسلمين ودفع الخطر عن دينهم وبلادهم وإخوانهم وهذا مسلك لا يرضاه الأعداء من الإنس والجن، فلذا هم يحرصون على تفريق كلمة المسلمين، وتشيت شملهم، وبذر أسباب العداوة بينهم، نسأل الله أن يجمع كلمة المسلمين على الحق وأن يزيل من مجتمعهم كل فتنة وضلالة، إنه ولي ذلك والقادر عليه"^(١).

وقال الشيخ الألباني رحمته الله: ^(٢) "لا يخفى على كل مسلم عارف بالكتاب والسنة وما كان عليه سلفنا الصالح عليه السلام، أن التحزب والتكتل في جماعات مختلفة الأفكار أولاً والمناهج والأساليب ثانياً، ليس من الإسلام في شيء، بل ذلك مما نهى عنه ربنا ﷻ في أكثر من آية في القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۚ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا ۚ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۚ﴾ [سورة الروم: ٣١-٣٢]. فربنا ﷻ يقول: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۚ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۚ﴾ [سورة هود: ١١٨-١١٩]، فالله ﷻ استثنى من هذا الخلاف الذي لا بد منه كونياً وليس شرعياً، استثنى من هذا الاختلاف الطائفة المرحومة حين قال ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ﴾.

ولا سبيل للوصول إلى الطائفة المرحومة إلا بالرجوع إلى الكتاب، وإلى سنة الرسول ﷺ وإلى ما كان عليه سلفنا الصالح عليه السلام.

(١) انظر: كتاب مجموع فتاوى ومقالات متنوعة؛ لابن باز (٢٠٣/٥).

(٢) هو: محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي الألباني، ولد سنة ١٣٣٣هـ في أشقودرة عاصمة ألبانيا، خدم علم الحديث وبرز فيه، من التصنيف: سلسلة الأحاديث الصحيحة، وسلسلة الأحاديث الضعيفة، ومنار السبيل، والثمر المستطاب، وغيرها الكثير، توفي سنة ١٤٢٠هـ، انظر: ترجمة موجزة للمحدث الألباني، لعاصم القريوتي (ص ٣-٣٧).

ولقد أوضح رسول الله ﷺ المنهج والطريق السليم في غير ما حديث صحيح، فعن عبد الله بن مسعود قال: خطّ لنا رسول الله ﷺ خطاً ثم قال: «هذا سبيل الله» ثم خط خطوطاً عن يمينه، وعن شماله، ثم قال: «هذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ قوله ﷻ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٣].»^(١).

لا شك أن هذه الطرق القصيرة هي التي تمثل الأحزاب والجماعات العديدة.

ولذلك فالواجب على كل مسلم حريص على أن يكون حقاً من الفرقة الناجية أن ينطلق سالكاً الطريق المستقيم، وأن لا يأخذ يميناً ويساراً، وليس هناك حزب ناجح إلا حزب الله ﷻ الذي حدثنا عنه القرآن الكريم ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة المجادلة: ٢٢]^(٢).

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في بيان أن البيعة الحقيقية تكون لولي الأمر فقط، لا لغيره كما يفعل بعض الأحزاب الضالة، يقول: "الإمام أحمد رحمه الله إمام، وله أصحاب ولم يجر بينه وبينهم معاهدة ولا مبايعة، الإمام الشافعي كذلك، الإمام مالك، وأبو حنيفة، وسفيان الثوري وغيرهم من الأئمة، هل أحد منهم طلب من تلاميذه وأصحابه أن يبايعوا أو يعاهدوا على أمرٍ من الأمور، أبداً لم نسمع بهذا ولم نعلم ولا يمكن لدّع أن يدّعيه، فلماذا لا نكون مثلهم.

إنّا لا نعلم أحداً عاهد أو بايع شخصاً ما يكون تحت سيطرته في الشدّة والرخاء والحرب والسلم إلاّ الخوارج الذين يخرجون على أئمة المسلمين ويحصل بخروجهم ما لم تُحمد عقباه"^(٣).

(١) أخرجه ابن ماجه برقم (١١) (٨/١)، أحمد برقم (٤١٤٢) (٢٠٧/٧)، والحاكم في المستدرک برقم (٢٩٣٨)

(٢/٢٦١) وصححه، وقال المناوي في كشف المناهج (١٤٢/١): "رواته ثقات".

(٢) انظر: فتاوى الشيخ الألباني (ص ١٠٦-١١٤).

(٣) دروس مفرغة بعنوان: أسئلة أبي الحسن للشيخين ابن باز وابن العثيمين.

وقال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رحمته الله^(١): "إنَّ إنشاء أي حزب في الإسلام يخالفه بأمر كلي أو مجزئيات لا يجوز، ويترتب عليه عدم جواز الانتماء إليه، ولنعزل تلك الفرق كلها، وعليه فلا يجوز الانصهار مع راية أخرى تخالف راية التوحيد بأي وجه كان من وسيلة أو غاية"^(٢).

وقال أيضا رحمته الله: "جزيرة العرب هي بارقة الأمل للمسلمين في نشر عقيدة التوحيد لأنها موئل المسلمين الأوائل وهي السور الحافظ حول الحرمين الشريفين فينبغي أن تكون كذلك أبداً، فلا يُسمح بحال بقيام أي نشاط عقدي أو دعوي مهما كان تحت مظلة الإسلام مخالفاً منهج النبوة الذي قامت به جماعة المسلمين الأولى: صحابة رسول الله صلوات الله عليهم، والذي جدده وأعلى مناره الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله تعالى.

فالجماعة واحدة: جماعة المسلمين تحت علم التوحيد على منهج النبوة لا تتوازعهم الفرق والأهواء، ولا الجماعات والأحزاب، وإن قبول أي دعوة تحت مظلة الإسلام تخالف ذلك هي وسيلة إجهاز على دعوة التوحيد، وتفتتت لجماعة المسلمين، وإسقاط لامتياز الدعوة وسقوط لجماعتها، وكسر لحاجز النفرة من البدع والمبتدعين والفسق والفساقين.

والجماعات إن استشرى تعددها في الجزيرة فهو خطر داهم يهدد واقعها ويهدم مستقبلها ويسلم بيدها ملف الاستعمار لها، وبه تكون مجمع صراع فكري وعقدي وسلوكي"^(٣).

(١) هو: بكر بن عبد الله بن محمد بن أبوزيد، أخذ اللغة عن الشيخ صالح ابن مطلق، ولزم الشيخ ابن باز وغيرهما، عين قاضياً في المحكمة الكبرى بالمدينة، ومدرساً بالمسجد النبوي، وتقلد عدد من المناصب في الدولة، له عدد من المصنفات منها: فقه النوازل، حراسة الفضيلة، حلية طالب العلم، المدخل المفصل وغيرها، توفي سنة ١٤٢٩هـ، انظر: نثار السيرة وثمار الصحبة؛ لعلي العمران (وهي ترجمة موسعة للشيخ).

(٢) انظر: حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، لبكر بن عبد الله أبو زيد، (ص ١٥٣).

(٣) انظر: خصائص جزيرة العرب، بكر بن عبد الله أبو زيد، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد السعودية (ص ٨٥).

وقال الشيخ صالح آل الشيخ^(١): "جاء في حديث الحارث الأشعري^(٢) أن النبي ﷺ قال: «من دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جثاء جهنم» قال: وإن صلى وصام؟ قال: «وإن صلى وصام، فادعوا بدعوة الله التي سماكم بها ربكم المسلمين والمؤمنين عباد الله»^(٣). وهو حديث صحيح.

كذلك ما جاء في الحديث المعروف أنه ﷺ قال لمن انتخى بالمهاجرين وللآخر الذي انتخى بالأنصار قال: «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم!»^(٤)، مع أنهما اسمان شرعيان، المهاجر والأنصاري، لكن لما كان هناك موالاة ومعاداة عليهما ونصرة في هذين الاسمين، وخرجت النصره عن اسم الإسلام بعامة صارت دعوى الجاهلية، ففيهم من خلال الجاهلية شيء كثير، ولهذا ينبغي للشباب أن يُنبهوا على هذا الأمر بالطريقة الحسنى المثلى حتى يكون هناك اعتناء إلى طريق أهل السنة والجماعة، وإلى منهج السلف الصالح كما أمر الله ﷻ بقوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة النحل: ١٢٥] " (٥)

(١) هو: صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ، ولد سنة ١٣٧٨هـ، تتلمذ على الشيخ ابن باز، ووالده الشيخ عبدالعزيز، وابن غديان، وابن مرشد وغيرهم، عين وزيراً للشؤون الإسلامية عام ١٤٢٠هـ، له عدد من المؤلفات منها: هذه مفاهيمنا، والتكميل لما فات تخريجه صاحب إرواء الغليل وغيرهما، انظر: ترجمة مشورة للشيخ على موقع الآجري على الشبكة العنكبوتية.

(٢) هو: الحارث بن الحارث الأشعري، أبو مالك، له صحبة، روى عنه أبو سلام الأسود، وربيعة الجرشي، وعبد الرحمن بن غنم الأشعري، انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢٨٤/١)، أسد الغابة (٥٩٤/١)، تهذيب الكمال (٢١٧/٥). (٣) أخرجه أحمد برقم (١٧١٧٠) (٤٠٤/٢٨)، والطبراني في الكبير برقم (٣٤٢٧) (٢٨٦/٣)، والحاكم برقم (١٥٣٤) (٥٨٢/١) وصححه، وقال: على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٤) أخرجه البخاري برقم (٤٩٠٥) (١٥٤/٦) كتاب التفسير، سورة المنافقين، ومسلم برقم (٢٥٨٤) (١٩٩٨/٤). كتاب البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً.

(٥) انظر: الفتاوى المهمة في تبصير الأمة، لجمع من العلماء الإمام ابن باز، المحدث الألباني، العلامة العثيمين وفتاوى لغيرهم من العلماء حفظهم الله (ص ١٨٠).

أخيراً يقول الشيخ صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله: "التفرق ليس من الدين، لأن الدين أمرنا بالاجتماع، وأن تكون جماعة واحدة وأمة واحدة على عقيدة التوحيد، وعلى متابعة الرسول ﷺ، يقول الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣]" (١).

هذه أقوال الراسخين في العلم مستدلين بالقرآن الكريم والسنة المطهرة على لزوم جماعة المسلمين والتحذير من مفارقتها ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرِفُونَ﴾ [سورة يونس: ٣٢].

(١) انظر: مراجعات في فقه الواقع السياسي والفكري على ضوء الكتاب والسنة؛ إعداد د. عبدالله الرفاعي (ص ٤٤-٤٥).

المبحث الثاني: تحذير القرآن الكريم من الفرقة والاختلاف وبيان سوء

عاقبتهما

لا يخفى على كل ذي لب، أن عاقبة التنازع وخيمة، وأن مآل الفرقة النهاية الأليمة، فهل سمعت بمتنازعين نجحاً، أم هل رأيت مختلفين أفلحاً، لا والله بل إن الفرقة والاختلاف سبب رئيس في هدم البيوت، وإفلاس الشركات، وخراب الأوطان والمجتمعات، وهل أخرج المسلمون من الأندلس بعد أن شادوا تلك الحضارة المشهودة إلا الفرقة! وهل مكّن الصهاينة واليهود من المسجد الأقصى مسرى رسولنا ﷺ إلا الاختلاف، والشواهد كثيرة، بل إن المسلمين ذاقوا طعم الهزيمة في أحد وخير البشر بين ظهرائهم لما خالف الرماة أمر الرسول ﷺ في القصة المعروفة، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرْسَلْنَاكُمْ مِّمَّا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَّن يُّرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن يُّرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٥٢].

قال الشنقيطي: "ففي هذه الفتوى السماوية بيان واضح؛ لأن سبب تسليط الكفار على المسلمين هو فشل المسلمين، وتنازعهم في الأمر، وعصيانهم أمره ﷺ" (١).

وروي عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفْسُكُمُ وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [سورة الأنفال: ٤٦] يعني: "يذهب نصركم، قال: فذهبت ريح أصحاب محمد ﷺ حين نازعوه يوم أحد" (٢).

(١) انظر: أضواء البيان (٥٣/٣).

(٢) انظر: تفسير مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: ١٠٤ هـ)، المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م (ص ٣٥٦).

وقد حذر القرآن الكريم في مواضع عدة من الفرقة والتنازع وبين سوء عاقبتهم ليحذر أهل الإيمان من ذلك، قال الله تعالى في ذم التنازع: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ [سورة الشورى: ١٣] وقال: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٥] وقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٩] وقال: ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [سورة المؤمنون: ٥٣] وقال: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٦].

قال ابن عباس: " تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف، وتسود وجوه أهل الفرقة والاختلاف "

(١).

وحذر النبي ﷺ - أيضاً من الاختلاف والفرقة، وقد قال ربنا ﷺ في كتابه العزيز: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ [سورة الحشر: ٧] وقال: ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [سورة النساء: ٨٠] وقال: ﴿ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ [سورة النور: ٥٤]

وقد قال النبي ﷺ: « لا تختلفوا فتختلف قلوبكم »^(٢)، وقال: « اقرءوا القرآن ما اختلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا »^(٣)، ومن تأمل سيرة نبينا ﷺ علم أن التنازع والخلاف كان أشد شيء على رسول الله ﷺ، وكان إذا رأى من الصحابة اختلافاً يسيراً في فهم النصوص

(١) لم أجده مسنده، وذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤٢٣/٢٨).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٤٣٢) (٣٢٣/١) كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٥٠٦٠) (١٩٨/٦) كتاب فضائل القرآن، باب اقرءوا القرآن ما اختلفت قلوبكم، ومسلم برقم

(٢٦٦٧) (٢٠٥٤/٤) كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن.

يظهر في وجهه حتى كأنما فُقي فيه حب الرمان ويقول: «أبْهَذَا أُمِرْتُمْ»^(١) "ولقد أخبر النبي ﷺ بافتراق أمته، وأنه سيكون سبب ضعفها، وأن عودة قوتها في عودة اجتماعها؛ ولذا قال النبي ﷺ: «لَيَأْتِينَ عَلَى أُمِّي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذُو النَعْلِ بِالنَعْلِ، وَإِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِלَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمِّي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»^(٢).

قال صاحب زهرة التفاسير: "إن الطريق للخروج من الافتراق هو الذهاب إلى لب الدين بإخلاص، فإنه لا يفرق إلا الأهواء، ولا يهدي إلا الإخلاص، فإذا سيطرت الأهواء المنحرفة، سرى الضلال إلى النفس والفكر"^(٣).

صدق ويضاف إلى الإخلاص اتباع السنة، فلا يجمع الناس مثل الإخلاص لله ومتابعة سنة رسول الله ﷺ، ولا يُفرقهم مثل الأهواء والبدع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والبدعة مقرونة بالفرقة، كما أن السنة مقرونة بالجماعة، فيقال: أهل السنة والجماعة، كما يُقال: أهل البدعة والفرقة"^(٤).

ولذلك أمر الله تعالى في كتابه ونبينا ﷺ في سنته بطاعة ولاة الأمر بالمعروف؛ كي لا يحدث التنازع والشقاق والفرقة، فتذهب القوة، ويستحيل النصر، ومن الأحاديث في السنة

(١) ورد من حديث أبي هريرة: رواه الترمذي (٢١٣٣) في (القدر): باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر، وأبو يعلى (٦٠٤٥)، وقال الترمذي: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث صالح المري، وصالح المري له غرائب يتفرد بها لا يتابع عليها».

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٢٦٤١) (٢٦/٥)، والحاكم في المستدرک برقم (٤٤٤) (٢١٨/١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٩٤٣/٢).

(٣) انظر: زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤ هـ)، دار النشر: دار الفكر العربي (١٣٤٠/٣).

(٤) انظر: الاستقامة، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ)، المحقق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ (٤٢/١).

الصحيحة في ذلك ما أخرج الترمذي بسند صحيح عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى لا يجمع أمتي على ضلالة، ويؤد الله على الجماعة»^(١).

ومن الأحاديث أيضاً ما رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «آمركم بثلاث وأنهاكم عن ثلاث، آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وتسمعون وتطيعون لمن ولّاه الله أمركم، وأنهاكم عن قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»^{(٢)(٣)}.

قال القاضي أبو بكر ابن العربي^(٤): "هذه الوصية هي العمدة التي يكون معها النصر، ويظهر بها الحق، ويسلم معها القلب، فإنما يقاتل المسلمون بأعمالهم لا بأعدائهم، وباعتقادهم لا بأمدادهم"، ثم علّق على ما نهى الله عنه من التنازع، وما ينشأ عن التنازع من فشل فقال: "وهذا أصل عظيم في المعقول والمشروع، فإذا ائتلفت القلوب على الأمر استتب وجوده، وإذا تخلخل القلب قصر عن النظر، وضعفت الحواس عن القبول، والائتلاف طمأنينة للنفس، وقوة للقلب، والاختلاف إضعاف له، فتضعف الحواس، فتتعد عن المطلوب، فيفوت الغرض، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفْسُكُمْ وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصِيرُكُمْ﴾ [سورة الأنفال: ٤٦] كُنِيَ ﴿بالريح﴾ عن اطراد الأمر ومضائه، بحكم استمرار القوة فيه، والعزيمة عليه،

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢١٦٧) (٤/٤٦٦)، والحاكم في المستدرک برقم (٣٩٧) (١/٢٠١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/٣٧٨).

(٢) أخرجه ابن حبان برقم (٤٥٦٠) (١٠/٤٢٣)، والطبراني في الكبير برقم (٨٣٠٧) (٩/٢٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/٦٦).

(٣) انظر: التفسير المأمون، د. مأمون حموش (٣/٣٨٧).

(٤) هو: محمد بن عبد الله بن محمد المعافري، ولد سنة ٤٦٨ هـ، سمع من ابن منظور، وابن عتاب، والطرطوشي وابن الفرات الدمشقي وغيرهم، من مؤلفاته: قانون التأويل، وأحكام التأويل، والقبس في شرح موطأ مالك بن أنس، والعواصم من القواصم، والمحصول في أصول الفقه، وغيرها، توفي في فاس سنة ٥٤٣ هـ. انظر: تاريخ الإسلام (١١/٨٣٤)، الوافي بالوفيات (٣/٢٦٦)، طبقات المفسرين للداوودي (٢/١٦٧).

وأتبع ذلك بالأمر والصبر، الذي يبلغ العبد به إلى كل أمر متعذر، وذلك بوعدة الصادق في أنه مع الصابرين: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة الأنفال: ٤٦].^(١)

وقد قال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُزَيِّقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [سورة الأنعام: ٦٥].

قال ابن عباس - رضي الله عنه -: "أي: يُذَيِّقُكُمُ الْأَهْوَاءَ وَالْاِخْتِلَافَ"^(٢).

"ومن سوء عاقبة النزاع والاختلاف والفرقة؛ ضياع الحق وهدم أصول الدين، ومُشابهة المشركين، وفشو الضلال والكلام بلا علم، والانشغال بها - أي الفرقة - عن العمل بالدين وتعليمه والدعوة إليه، مع تعطيل شعائر الدين الظاهرة؛ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيره.

وبها أيضا تُرفع النعم، أرى النبي ﷺ ليلة القدر، فخرج ليُخبرَ بليلة القدر، فتلاحي رجلان من المسلمين، - أي اختلفا وتعالَت أصواتهما - فقال: «إني خرجتُ لأُخبركم بليلة القدر، وإنه تلاحي فلانٌ وفلانٌ فرُفعت»^(٣).

وكفى والله بهذه نقمة، وسوء عاقبة، اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك.

قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله بعد أن ساق حديث النبي ﷺ: «الجماعة رحمة، والفرقة عذاب»^(٤)، قال: "الفرقة بجميع أنواعها - في الأفكار، أو في الأقوال، أو في الأعمال -

(١) انظر: أحكام القرآن (٣/٣٥٧).

(٢) انظر: تفسير الماوردي (٢/١٢٦).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٤٩) (١٩/١) كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (١٩٣٥٠) (٩٦/٣٢) وضعفه السيوطي في الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة (ص ١٠١).

عذاب يعذب الله ﷻ به من خالف أمره، وذهب إلى غير هداه، لهذا من لزم الجماعة -جماعة أهل السنة والجماعة- واقتدى بأئمتهم وعلمائهم فقد لزم الجماعة، ومن تفرق عنهم؛ فإنه لا يأمن على نفسه أن يكون ممن ذهب إلى الفرقة وعُذِّب بعذاب من عذاب الله في الحياة الدنيا، نسأل الله ﷻ أن يسلمنا جميعاً من ذلك كله. والجماعة بجميع أنواعها وبجميع صفاتها إذا كانت على الهدى والحق فهي رحمة يرحم الله ﷻ بها عباده^(١) " انتهى كلامه؛ ولذا والله أعلم قال ربي ﷻ في الآية: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [سورة هود: ١١٨-١١٩] أي المرحومون هم الذين سلموا من الاختلاف.

قال الشيخ السعدي: " يخبر تعالى أنه لو شاء لجعل الناس كلهم أمة واحدة على الدين الإسلامي، فإن مشيئته غير قاصرة، ولا يمتنع عليه شيء، ولكنه اقتضت حكمته، أن لا يزالوا مختلفين، مخالفين للصراط المستقيم، متبعين للسبل الموصلة إلى النار، كل يرى الحق، فيما قاله، والضلال في قول غيره.

﴿إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ فهداهم إلى العلم بالحق والعمل به، والاتفاق عليه، فهؤلاء سبقت لهم، سابقة السعادة، وتداركتهم العناية الربانية والتوفيق الإلهي. وأما من عداهم، فهم مخدولون موكولون إلى أنفسهم .^(٢)

وهناك قصة جميلة حدثت بين عثمان رضي الله عنه وأمير المؤمنين وعبدالله بن مسعود رضي الله عنه في منى، فقد رأى عثمان أن يتم الصلاة الرباعية لتأويل شرعي تأوله، وكان ابن مسعود يقول: ((سنة المصطفى ﷺ أن يصلي في منى ركعتين لا غير لكل صلاة رباعية)) ف قيل له: يا عبدالله بن

(١) انظر: الضوابط الشرعية لموقف المسلمين من الفتن، للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ.

(٢) انظر: تفسير السعدي (٣٩٢).

مسعود تقول هذا وأنت تصلي مع عثمان بن عفان أربع ركعات لماذا، قال: ((يا هذا،
الخلاف شر، الخلاف شر، الخلاف شر)) رواه أبوداود بإسناد قوي^(١).

وصدق والله ﷻ، فمن الشرور التي تجلبها الفرقة والاختلاف وتمهد لها، أنها تُؤذِنُ بذنوبٍ
عظامٍ، ويُفضي إلى الاقتتال وسفك الدماء، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ
بَعْدِهِمْ مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ
شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٣].

فجعل الاختلاف سبباً للاقتتال بعد مشيئة الله لذا قال الله في آخر الآية: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا
أَقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣] أي لو شاء الله ما اقتتلوا مع وجود السبب
الموجب وهو الاختلاف، فالله تعالى يفعل ما يريد، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

ومن تأمل في حال الأمة علم صدق ما جاء في الآية الكريمة، وتيقن أيضاً أن وبأل
الاختلاف: الهلاك، قال ﷺ: «لا تختلفوا؛ فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا»^(٢).

قال الدكتور عبد المحسن القاسم^(٣): "الفرقة ذل وهوان، والنزاع شر وبلاء، والاختلاف ضعف
وحيرة، والشتات فساد للدنيا والدين، وكلها والله تفرح العدو، وتوهن القوة، وتؤخر سير

(١) أخرجه أبو داود برقم (١٩٦٠) (٣/٣٢٨)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٠٤/٦) وقال: "إسناده صحيح
على شرط الشيخين".

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٤٧٦) (٤/١٧٥) كتاب أحاديث الأنبياء، باب.

(٣) هو: عبدالمحسن بن محمد بن عبدالرحمن آل قاسم، نشأ في بيت علم وفضل، فوالده وجده من أهل العلم، وحفظ
القرآن في سن مبكرة، وتلمذ على ابن باز، وعبدالله بن حميد وغيرهما، تولى القضاء عام ١٤١١هـ، وتولى إمامة المسجد
النبيوي، والتدريس فيه كذلك، له عدد من المصنفات منها: القواعد الواضحات من باب الأسماء والصفات، والمسبوك
على منحة السلوك وغيرها، انظر: ترجمة له بعنوان: (ترجمة فضيلة الشيخ الدكتور عبدالمحسن القاسم) أعده نخبة من طلابه،
منشور على موقع الشيخ على الشبكة العنكبوتية.

الدعوة، وتصد عن نشر العلم، وتوغر الصدور، وتظلم القلوب، وتنغص المعيشة، وتسلب الأوقات، وتشغل العبد عن عمل الصالحات. (١)

وإذا تفرّق الناس شيعاً وأحزاباً تمكّن الشيطان منهم، قال ﷺ: «عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة؛ فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد» (٢).

وأقرب جنود إبليس منه منزلة أشدّهم في الأمة فرقة، قال ﷺ: «إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئاً، قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته قال: فيدنيه منه ويقول: نعم أنت» (٣).

وإذا وقع الاختلاف فسّد دينُ أهله وحُرّموا بركة الأخذ من الكتاب والسنة، وغلبت الأهواء، وذهب سلطان العلم والهدى، واختلفت القلوب، وانقطعت أواصر الأخوة، قال ﷺ: «لا تختلفوا فتختلف قلوبكم» (٤)(٥).

قال الشيخ الغنيمان (٦) في رسالته " ذم الفرقة ": "ومن أعظم شرور الفرقة وأسوأ عواقب الاختلاف خروج الفرق، وفشو الفتن والبدع، فما إن تتفرق الأمة وتخالف أمر الله تعالى لها

(١) انظر: ذم الاختلاف والفرقة، (خطبة مفرغة) للدكتور عبدالمحسن القاسم (ص ٧).

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٢١٦٥) (٤/٤٦٥)، والنسائي في الكبرى برقم (٩١٧٥) (٨/٢٨٤)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، فإني لا أعلم خلافاً بين أصحاب عبد الله بن المبارك في إقامة هذا الإسناد عنه، ولم يخرجاه وله شاهدان"، ووافقه الذهبي، وكذا الألباني في الإرواء (٦/٢١٥).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٨١٣) (٤/٢١٦٧) كتاب صفى القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) انظر: ذم الاختلاف والفرقة، (خطبة مفرغة) للدكتور عبدالمحسن القاسم (ص ٦).

(٦) هو: عبد الله بن محمد الغنيمان، تولى رئاسة قسم العقيدة بالدراسات العليا بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، ثم رأس قسم الدراسات العليا، وله دروس مشهودة في المسجد النبوي، له مصنفات منها: شرح كتاب التوحيد من البخاري،

بالتزام الجماعة وسلوك الصراط المستقيم إلا وتقوى الفرق، وتخرج على إمام المسلمين، وتقاتل الجماعة، وتوقد معها الفتنة، وتنشر معها البدعة مما يزيد الأمة وهناً، والمسلمين بلاء، وتأمل خبر رسول الله ﷺ عن الخوارج، حين قال: «يخرجون على حين فرقة من الناس»^(١).

وهذا شأن الفرق المبتدعة، وشأن الضلالات والظلمات، لا تجسر على الخروج إلا عند ضعف شمس الحق، يقول ابن تيمية رحمه الله: "وتجد الإسلام والإيمان كلما ظهر وقوي كانت السنة وأهلها أظهر وأقوى، وإن ظهر شيء من الكفر والنفاق ظهرت البدع بحسب ذلك"^(٢).

وقال أيضاً بعد أن أورد هذا الحديث الصحيح للنبي ﷺ: «من كره من أميره شيئاً فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية»^(٣)، قال: "وهذا كله محافظة على الاجتماع، وخوفاً من التفرق الذي يُضعف الأمة أمام هجمات الأعداء، ومحافظة على دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم؛ لما يحصل في الخروج على الإمام من الفتن، وسفك الدماء، وذهاب الأموال، وهتك الأعراض؛ كما جرّب الناس ذلك وعانوا منه العنت والشر الكثير، والشرع جاء باحتمال أقل الأمرين ضرراً؛ لدفع ما هو أعظم"^(٤).

ثبات العقيدة الإسلامية أمام التحديات المعاصرة، الهوى وأثره في العلم، وغيرها الكثير، انظر: ترجمة للشيخ منشورة في الألوكة.

(١) أخرجه البخاري برقم (٦١٦٣) (٣٨/٨) كتاب الأدب، باب ما جاء في قول الرجل ويلك، أخرجه مسلم برقم (١٠٦٤) (٧٤٤/٢) كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم.

(٢) انظر: ذم الفرقة والاختلاف في الكتاب والسنة، للشيخ: عبد الله بن محمد الغنيمان (٢٠/١).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٧٠٥٣) (٤٧/٩) كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: سترون بعدي أموراً تنكرونها، ومسلم برقم (١٨٤٩) (١٤٧٨/٣) كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن.

(٤) انظر: الفتاوى؛ لابن تيمية (٢٠/٤).

وحذر النبي ﷺ من الخروج عن الطاعة ومفارقة الجماعة وذم ذلك وجعله من أمر الجاهلية، كما قال ﷺ: «**فإنه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية**»^(١)؛ لأن أهل الجاهلية لم يكن لهم رئيس يجمعهم، وشأنهم التفرق والاختلاف، ويرون السمع والطاعة مهانة وذلة والخروج عن الطاعة وعدم الانقياد عندهم فضيلة يُمتدحون بها، فجاء الإسلام مخالفاً لهم في ذلك، آمراً بالصبر على جور الولاة والسمع والطاعة لهم في غير معصية والنصح لهم، وبالحلوات الله وسلامه عليه في ذلك حتى قال فيما أوصى به الصحابي الجليل أبي ذر: «**اسمع وأطع وإن كان عبداً مُجَدِّعاً الأطراف**»^(٢)، بل كان ﷺ دائماً يأمر بإقامة رئيس حتى في الجماعة القليلة والمدة القصيرة ويحث على طاعته، كما أمر المسافرين إذا كانوا ثلاثة أن يؤمروا أحدهم، مبالغة في طلب الاجتماع، وحرصاً على عدم الفرقة ومخالفة لأمر الجاهلية^(٣). انتهى كلامه

كل ذلك لعلم النبي صلى الله عليه وسلم بهذه النعمة العظيمة، نعمة ائتلاف الكلمة ووحدة الصف، فسعى امتثالاً لأمر مولاه للتحذير من كل أسباب الفرقة والاختلاف، مع الترغيب في الاجتماع وبيان الأجور العظيمة على ذلك.

قال أيضاً الدكتور عبدالمحسن القاسم: "حذر النبي ﷺ أصحابه وأمتة فقال: «إياكم والفرقة» (رواه الترمذي) وبين أن أعظم الفرقة: الانحراف عن توحيد رب العالمين، قال - سبحانه - : ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة يونس: ١٠٦] وأشار إلى أن الإحداث في الدين مُفارقةً لاتباع خير المرسلين، قال ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ**»^(٤).

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٨٣٧) (١٤٦٧/٣) كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية.

(٣) انظر: ذم الفرقة والاختلاف في الكتاب والسنة؛ للشيخ: عبد الله بن محمد الغنيمان (ص ٢٣).

(٤) أخرجه مسلم برقم (١٧١٨) (١٣٤٣/٣) كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور.

وأن الخروج على الأئمة وؤلاة الأمر، ومنازعة الأمر أهله فسادٌ عظيم، وشق للصف وتفرق للكلمة، وفي ذلك بوادر للفتنة، فقال ﷺ: «من خلع يداً من طاعة الله، لقي الله يوم القيامة لا حُجَّةَ له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتةً جاهليَّةً»^(١).

ولأن أهل العلم قُدوةٌ في المجتمعات، وهم أولى الناس بائتلاف قلوبهم، واجتماع كلمتهم، والخلاف بينهم داعٍ لعدم القبول منهم، أوصى النبي ﷺ مُعَاذًا وأبا مُوسَى - رضي الله عنهما -، لما بعثهما إلى اليمن بقوله: «يسراً ولا تعسراً، وبشراً ولا تنقراً، وتطوعاً ولا تحتلفاً»^(٢).

كما نهى ﷺ عن الاختلاف في الحق، فقال: «اقرأوا القرآن ما اتلَّفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فيه فقوموا»^(٣)، ونهى عن التفرُّق في إقامة الصلاة، وأن عدم الاجتماع عليها من استحوذ الشيطان، قال ﷺ: «ما من ثلاثة في قريةٍ ولا بدوٍ لا تقامُ فيهم الصلاة، إلا قد استحوذَ عليهم الشيطانُ، فعليك بالجماعة؛ فإنما يأكلُ الذنبُ القاصية»^(٤).

وأنكر ﷺ التفرُّق عند انتظار الصلاة، قال جابر بن سُمرة - رضي الله عنه -: خرج علينا رسولُ الله ﷺ فرأنا حلقاً، فقال: «ما لي أراكم عزين»^(٥) - أي: مُتفرِّقين -.

(١) أخرجه مسلم برقم (١٨٥١) (١٤٧٨/٣) كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن.
(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٠٣٨) (٦٥/٤) كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب، ومسلم برقم (١٧٣٣) (١٣٥٩/٣) كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير.
(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه أبو داود برقم (٥٤٧) (٤١٠/١)، والنسائي برقم (٨٤٧) (١٠٦/٢)، وصححه الحاكم في المستدرک (٥٢٤/٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٩٩٤/٢).

(٥) أخرجه مسلم برقم (٤٣٠) (٣٢٢/١) كتاب الصلاة، باب الأمر بالسكون في الصلاة.

وَهَيَّ عَنْ اخْتِلَافِ الْمُصَلِّينَ فِي صُفُوفِهِمْ، وَتَوَعَّدَ أَهْلَهُ بِاخْتِلَافِ وَجُوهِهِمْ، وَأَخْبَرَ أَنَّ مَا لَهُ
اخْتِلَافُ الْقُلُوبِ؛ فَاخْتِلَافُ الظَّاهِرِ سَبَبٌ لاختِلَافِ الْبَاطِنِ، قَالَ ﷺ: «لَتَسُونَنَّ صُفُوفَكُمْ
أَوْ لِيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وَجُوهِكُمْ»^(١).

وَكَمَا نَهَى الْإِسْلَامُ عَنِ التَّفَرُّقِ فِي أُمُورِ الدِّينِ، نَهَاَهُمْ أَيْضًا عَنِ الْفُرْقَةِ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا؛
فَلَا جَمَاعَ عَلَى الطَّعَامِ يُورِثُ الْبَرَكَةَ، وَالتَّفَرُّقُ فِيهِ يُذْهِبُهَا، شَكَا أَنَسٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: إِنَّا
نَأْكُلُ وَلَا نَشْبَعُ، فَقَالَ: «فَلَعَلَّكُمْ تَفْتَرِقُونَ؟»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «فاجتمعوا على طعامكم،
واذكروا اسمَ الله عليه يُبَارِكْ لَكُمْ فِيهِ»^(٢).

وَتَفَرَّقُ الرُّفْقَةُ فِي السَّفَرِ مِنْ سَبِيلِ الشَّيْطَانِ، قَالَ ﷺ: «إِنْ تَفَرَّقَكُمْ فِي هَذِهِ الشَّعَابِ
وَالْأَوْدِيَةِ إِنَّمَا ذَلِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ»^(٣).

وَفِي عِلَاقَةِ أَفْرَادِ الْمَجْتَمَعِ بَعْضُهُمْ نَهَى عَنِ التَّهَاجُرِ وَالْقَطِيعَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَخْبَرَ أَنَّ أَبْوَابَ
الْجَنَّةِ تُفْتَحُ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ
بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ «فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذِينَ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذِينَ حَتَّى يَصْطَلِحَا،
أَنْظِرُوا هَذِينَ حَتَّى يَصْطَلِحَا»^(٤).

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ بِرَقْمٍ (٧١٧) (١٤٥/١) كِتَابُ الْأَذَانِ، بَابُ تَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ عِنْدَ الْإِقَامَةِ وَبَعْدَهَا، وَمُسْلِمٌ بِرَقْمٍ (٤٣٦) (٣٢٤/١) كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ تَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ وَإِقَامَتِهَا وَفَضْلُ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ مِنْهَا.
(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ بِرَقْمٍ (٣٧٦٤) (٥٨٨/٥)، وَابْنُ مَاجَهَ بِرَقْمٍ (٣٢٨٦) (٤١٨/٤)، قَالَ ابْنُ الْقَطَّانِ فِي بَيَانِ الْوَهْمِ
وَالْإِيهَامِ (٥٩٩/٤) مَعْلَقًا عَلَى تَخْرِيجِ أَبِي دَاوُدَ وَسُكُوتِهِ عَنْهُ: "وَسَكَتَ عَنْهُ، وَأَرَاهُ تَسَامَحَ فِيهِ، وَلَمْ يَنْبَغِي لَهُ ذَلِكَ... وَهُوَ
لَا يَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ فِيهِ: صَحِيحٌ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَرُويهِ وَحْشِي بْنُ حَرْبٍ وَابْنُ وَحْشِيٍّ وَابْنُ حَرْبٍ، عَنْ أَبِيهِ حَرْبٍ، عَنْ جَدِّهِ وَحْشِيٍّ
بْنِ حَرْبٍ الصَّحَابِيِّ، فَحَرْبُ بْنُ وَحْشِيٍّ وَابْنُهُ وَحْشِيٌّ بْنُ حَرْبٍ لَا تَعْرِفُ حَالَهُمَا".
(٣) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ بِرَقْمٍ (٢٦٢٨) (٢٦٧/٤)، وَابْنُ حَبَانَ فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمٍ (٢٦٩٠) (٤٠٨/٦)، وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ
بِرَقْمٍ (٢٥٤٠) (١٢٦/٢) وَصَحَّحَهُ ابْنُ حَبَانَ، وَالْحَاكِمُ، وَالذَّهَبِيُّ، وَالْأَلْبَانِيُّ أَنْظَرُ: صَحِيحُ أَبِي دَاوُدَ (٣٧٨/٧).
(٤) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ بِرَقْمٍ (٢٥٦٥) (١٩٨٧/٤) كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ النَّهْيِ عَنِ الشَّحْنَاءِ وَالتَّهَاجُرِ.

وَهَى عن العصبية ودعاوى الجاهلية، فلما قال رجلٌ من الأنصار: يا للأنصار! وقال آخر: يا للمهاجرين! قال ﷺ: «ما بالُ دعاوى الجاهلية! دعوها فإنها مُنتنة»^(١).

وأخبر أن الله تعالى لا يُحِبُّ اختلافَ عباده ولا يرضاه، ولا تكون الفرقة بينهم إلا من عند غير الله، لذلك جاء النهي عن كل سبيلٍ قد يُؤدِّي إلى الفرقة بين المسلمين؛ من سوء الظنِّ، والحسد، والتجسُّس، والنَّميمة، والرِّبا، وبيع المسلم على بيع أخيه، وخطبته على خطبته، وتتبع عورته، والغشِّ، وغير ذلك من الأمور التي تكون سبباً في النزاع والفرقة^(٢).

كل ذلك تحذير من مغبة الاختلاف، ومن سوء عاقبة التنازع والفرقة، فالحمد لله الذي حدّرنا منها، والحمد لله الذي ألّف ما بين قلوبنا، وهدانا ووفقنا لاجتماع الكلمة ووحدة الصف، وصلى الله على نبينا محمد الذي ما ترك خيراً إلا ودلّ الأمة عليه، ولا شراً إلا وحذّرها منه، نشهد أنه تركنا على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فاللهم وفقنا لالتزام سنته، والسير على هديه، وتوفنا على ملته، واحشرنا في زمرة، واسقنا من حوضه الشريف شربة لا نظماً بعدها أبداً.

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: ذم الاختلاف والفرقة، (خطبة مفرغة) للدكتور عبدالحسن القاسم (ص ٥).

الفصل الثاني: الوقاية من الفرقة والاختلاف وعلاج ذلك في القرآن

الكريم

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: سبل الوقاية من الفرقة والاختلاف في القرآن الكريم .

المبحث الثاني: التنفير من مشابهة أهل الفرقة والاختلاف في القرآن الكريم .

المبحث الثالث: العبرة والعظة من مآل أهل الفرقة والاختلاف .

المبحث الرابع: الثناء والحث على وحدة الصف واجتماع الكلمة والاعتصام بالله في القرآن

الكريم .

المبحث الأول: سبل الوقاية من الفرقة والاختلاف في القرآن الكريم

إن من أعظم وأجل أسباب الوقاية من التنازع والفرقة توحيد الله وإفراده بالعبادة؛ وقد حذرنا القرآن الكريم من التشبه بالمشركين الذين تفرقوا في الدين فكانوا شيعاً وأحزاباً، قال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۚ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا ۚ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [سورة الروم: ٣١-٣٢].

فنهانا أن نكون منهم في تفرقهم في الدين، وحالمهم أنهم "كانوا شيعاً يعني: فرقاً متعددة، وأحزاباً متعادية، وأعاد لفظة "من" في قوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ [الروم: ٣٢] لبيان أن هذا بدل من الذي قبله، والبدل هو المقصود، وما قبله توطئة له، فهذا تحذير بليغ عن الاختلاف والتفرق، ودلت هذه الآية على أن الاختلاف والتفرق شيعاً لا ينفك عن الشرك لما فيه من عبادة الأهواء" (١).

فالشرك بالله، داعٍ للاختلاف وتعدد المعبودات من دون الله، كما بين ربنا ﷺ في الآية السابقة، وأيضاً الإعراض عن الكتاب والسنة، أو أخذ شيءٍ منهما وترك بعضه سبيل النزاع والشقاق، قال سبحانه: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَسَوْأَ حَظًا مِّمَّا دُكِّرُوا بِهِ ۖ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [سورة المائدة: ١٤].

ومن أعظم سبل الوقاية أيضاً من التنازع والفرقة: لزوم سنة المصطفى ﷺ قولاً وعملاً واعتقاداً، قال ربنا ﷺ: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۚ﴾ [سورة النساء: ٨٠]، قال أهل العلم: "وقد أجمع العقلاء على أن من أعظم أسباب الهزيمة التنازع، وأشدّه -ولا شك- التنازع

(١) انظر: ذم الفرقة والاختلاف في الكتاب والسنة (٣٢/١).

في الدين، ولما كان التنازع ناشئاً عن التقصير في طاعة الله ورسوله قرن الله بينهما في آية واحدة: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة الأنفال: ٤٦] ولما كان الالتزام بالسنة هو سفينة النجاة في بحر الاختلاف، أمر النبي ﷺ بلزومها عند وقوعه -وهنا الشاهد- قال ﷺ: «وإنه من يعيش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور»^{(١)(٢)}.

وقد وعد الله جل في علاه من أطاع رسوله ﷺ بالهداية، وإذا وفق الله ﷻ وهدى أمة أو مجتمعاً إلى توحيده وطاعة رسوله، كان ذلك ولا ريب نجاة لهم وأمناً من التنازع والفرقة، ومن آثارها كالفتن والافتتال، قال الله العليم الحكيم: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [سورة النور: ٥٤] قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: وإن تطيعوا -أيها الناس- رسول الله -فيما يأمركم وينهاكم- ترشدوا وتصيبوا الحق في أموركم"^(٣).

ومن قول السلف: "من أَمَرَ السنة على نفسه قولاً وفعلاً: نطق بالحكمة، ومن أَمَرَ الهوى على نفسه قولاً وفعلاً: نطق بالبدعة"^(٤).

وقال ربنا جل في علاه في سورة الحشر أمراً بطاعة نبيه ﷺ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [سورة الحشر: ٧].

(١) سبق تخریجه.

(٢) مدارك النظر في السياسة بين التطبيقات الشرعية؛ للشيخ عبد المالك رمضان (ص ٧٧).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٣٤٥/١٧).

(٤) انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠ هـ)، السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م، ثم صورتها عدة دور منها: ١ - دار الكتاب العربي - بيروت. ٢ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت. ٣ - دار الكتب العلمية - بيروت (طبعة ١٤٠٩ هـ بدون تحقيق). (٢٤٤/١٠).

ومما نهي عنه النبي ﷺ التفرق والعصبية البغيضة، إما لعرق أو قبيلة أو عائلة أو حزب؛ لما في ذلك من شق الصف؛ وتفرق الكلمة؛ وذهاب القوة؛ وانتشار الفتن، وقصة الرجلين اللذين تنازعا الأول من الأوس والثاني من الخزرج ثم تنادوا يا للأوس ويا للخزرج معروفة، وفيها أنهما حين تنادوا بذلك خرج عليهم النبي ﷺ مغضباً غضباً شديداً وقال: «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم، دعوها فإنها مُنتنة»^(١)، نعم والله مُنتنة، صدق رسول الله ﷺ، فالخير والقوة والعزة بل ومحبة الله والهداية والخير أجمع في طاعة النبي ﷺ.

ومن أظهر الأمور التي تدل صاحب العقل وذو اللب على أن في التزام سنة النبي ﷺ أمان من الاختلاف والفتن، مسألة طاعة ولاية الأمور بالمعروف، مع نصحتهم في السر بالحكمة واللفظ واللين والموعظة الحسنة، ومن تأمل تاريخ المسلمين رأى ما جرّه عدم التزام هذه السنة من الفرقة والتنازع وانتشار الفتن، بل والتقاتل وسفك الدماء، وخروج الفرق المبتدعة كالخوارج وغيرهم، وقد كان عبدالله بن عمر رضي الله عنه وهو من أشد الصحابة التزاماً بسنة النبي ﷺ شديداً في هذا الأمر على أهله ومن حوله، أي في لزوم السنة مع ولاية الأمر، كذلك سيد التابعين الحسن البصري رحمته الله تعالى، وكلاهما عاصر فتن عظيمة نجاهما الله منها بلزوم سنة النبي ﷺ، فقد وعيا وغيرهما من سلفنا الصالح قول الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ أي: أمر النبي ﷺ ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، فالتزما قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [سورة النساء: ٥٩]، بالمعروف، ولم ينزعا يداً من طاعة اتباعاً لهدي نبينا ﷺ، وكى لا يتسببا في الفرقة وسفك الدماء وانتشار الفتن.

((١)) سبق تخريجه.

وقد جاء في الحديث الذي رواه عبد الله بن عمر نفسه رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»^(١).

وورد عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: (بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة، في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا. وأن لا ننازع الأمر أهله، قال: إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان)^(٢)، وفي الحديث الآخر عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «اسمعوا وأطيعوا، وإن أمر عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة»^(٣)، وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: ((إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع، وإن كان عبدا مجدع الأطراف))^(٤). وعن أم الحصين^(٥) أنها سمعت رسول الله ﷺ يخطب في حجة الوداع يقول: «ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله، اسمعوا له وأطيعوا»^(٦).

وجاء أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «سيلكم بعدي ولادة، فيليكم البر بربه والفاجر بفجوره، فاسمعوا لهم وأطيعوا في كل ما وافق الحق وصلوا وراءهم فإن أحسنوا فلكم ولهم وإن أساءوا فلكم وعليهم»^(٧).

(١) أخرجه البخاري برقم (٧١٤٤) (٦٣/٩) كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، ومسلم برقم (١٨٣٩) (١٤٦٩/٣) كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) هي: أم الحصين بنت إسحاق الأحمسية، صحابية شهدت حجة الوداع، روى عنها العيزار بن حريث، ويحيى بن حصين، روى لها الجماعة إلا البخاري، انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٩٣١/٤)، الكمال في أسماء الرجال (٨٣/٢)، الإصابة في تمييز الصحابة (٣٧٦/٨).

(٦) أخرجه مسلم برقم (١٨٣٨) (١٤٦٨/٣) كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية.

(٧) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم (٦٣١٠) (٢٤٧/٦)، والدارقطني برقم (١٧٥٩)، قال الألباني في الإرواء (٣٠٥/٢): "وهذا سند ضعيف جداً".

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي وسيكون خلفاء فيكثرون» قالوا: يا رسول الله، فما تأمرنا؟ قال «أوفوا ببيعة الأول فالأول، وأعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم»^(١)، وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى من أميره شيئاً فكرهه فليصبر، فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً فيموت إلا مات ميتة جاهلية»^(٢).

وعن ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول «من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»^(٣)، وفي الحديث الصحيح المتفق عليه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني»^(٤)، فهذه كلها أوامر بطاعة العلماء والأمراء، ولهذا قال تعالى أطيعوا الله، أي: اتبعوا كتابه، وأطيعوا الرسول أي: خذوا بسنته، وأولي الأمر منكم أي: فيما أمروكم به من طاعة الله لا في معصية الله، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله كما تقدم في الحديث الصحيح «إنما الطاعة في المعروف»^(٥).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «عليك السمع والطاعة، في عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ، وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ، وأثره عليك»^(٦).

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤٥٥) (١٦٩/٤) كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ومسلم برقم (١٨٤٢) (١٤٧١/٣) كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه البخاري برقم (٧١٣٧) (٦١/٩) كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾، ومسلم برقم (١٨٣٥) (١٤٦٦/٣) كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٣٠٢/٢-٣٠٤).

(٦) سبق تخريجه.

وهذا كله محافظة على الاجتماع، وخوفاً من التفرق الذي يُضعف الأمة أمام هجمات الأعداء، ومحافظة على دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم؛ لما يحصل في الخروج على الإمام من الفتن، وسفك الدماء، وذهاب الأموال، وهتك الأعراض؛ كما جرب الناس ذلك وعانوا منه العنت والشر الكثير، والشرع جاء باحتمال أقل الأمرين ضرراً؛ لدفع ما هو أعظم^(١).

والمقصود أن النبي ﷺ حذر من الخروج عن الطاعة، ومفارقة الجماعة، ودم ذلك وجعله من أمر الجاهلية؛ لأن أهل الجاهلية لم يكن لهم رئيس يجمعهم، وشأنهم التفرق والاختلاف، ويرون السمع والطاعة مهانة وذلة، والخروج عن الطاعة وعدم الانقياد عندهم فضيلة يُمتدحون بها، فجاء الإسلام مخالفاً لهم في ذلك، آمراً بالصبر على جور الولاة والسمع والطاعة لهم في غير معصية والنصح لهم، وبالغ صلوات الله وسلامه عليه في ذلك حتى قال فيما أوصى به الصحابي الجليل أبي ذر رضي الله عنه حيث قال: ((إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع، وإن كان عبداً مُجَدِّعَ الأطراف))^(٢).

وهو ﷺ كان دائماً يأمر بإقامة رئيس حتى في الجماعة القليلة والمدة القصيرة ويحث على طاعته، كما أمر المسافرين إذا كانوا ثلاثة أن يؤمروا أحدهم، مبالغة في طلب الاجتماع، وحرصاً على عدم الفرقة، ومخالفة لأمر الجاهلية وتقدم الحديث الذي في صحيح مسلم: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»^{(٣)(٤)}.

(١) انظر: ذم الفرقة والاختلاف في الكتاب والسنة (٢٠/١).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٧١٥) (١٣٤٠/٣) كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة.

(٤) انظر: ذم الفرقة والاختلاف في الكتاب والسنة (٢٣/١).

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يعملون بالسنة فيطيعون السلطان المعروف ويأمرونه وينهونه بالحكمة والموعظة الحسنة سرّاً، ولا يُفشون ذلك؛ خشية إثارة الفتن، وخشية حبوط عملهم بإعلانه، وهم أغيّر منّا على دين الله، وأعلم منّا بطرق النصيح الناجعة.

وهاهم كبار علمائنا اليوم يلتزمون ذلك النهج الأصيل، ويلزمون السنة ويسيروا خلف سلفنا الصالح يرجون ما عند الله، فيا شباب هم والله الأسوة والقُدوة.

ومما لاشك فيه ولا ريب أن أرحم هذه الأمة بالأمة نبينا صلى الله عليه وسلم، وهو الذي أرسله ربه رحمة للعالمين، بل هو الذي بكى رحمةً بأمته وقال: يارب أمتي أمتي، كما جاء في الحديث^(١)، فلن يأمرها والله إلا بالخير ولن ينهاها إلا عن الشر، وهو القائل: «تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً كتاب الله وسنة نبيه»^(٢)، وقد علم النبي صلى الله عليه وسلم الشرور المترتبة على الخروج على ولاة الأمر ونزع الطاعة فنهى أمته عن ذلك شفقة بهم، وهو الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيفًا﴾ [سورة النساء: ٨٠].

وفي بيان الحكمة من أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر والسمع والطاعة لولاة الأمر بالمعروف مع نصحتهم سرّاً لا جهراً، يقول العلامة الشيخ ابن باز رحمته الله: "وما ذاك إلا لأن الخروج على ولاة الأمور يسبب فساداً كبيراً، وشرّاً عظيماً فيختل به الأمن، وتضيع الحقوق، ولا يتيسر رد الظالم ولا نصر المظلوم، وتختل السبل ولا تأمن"، وقال أيضاً رحمته الله: "وليس من منهج السلف التشهير بعيوب الولاة، وذكر ذلك على المنابر؛ لأن ذلك يُفضي إلى الفوضى وعدم السمع والطاعة في المعروف، ويُفضي إلى الخوض الذي يضر ولا ينفع"^(٣).

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٠٢) (١٩١/١) كتاب الإيمان، باب دعاء النبي لأمته وبكاؤه شفقة عليهم.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک برقم (٣١٨) (١٧١/١)، والبيهقي في الكبرى برقم (٢٠٣٣٦) (١٠/١٩٤)، وقال الحاكم: "وقد احتج البخاري بأحاديث عكرمة، واحتج مسلم بأبي أويس، وسائر روايته متفق عليهم".

(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن باز (٢٠٣/٨).

ولما وقعت الفتنة في عهد عثمان رضي الله عنه، قال بعض الناس لأسامة بن زيد رضي الله عنه: " ألا تدخل على عثمان فتكلمه؟ فقال: أترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم؟ والله لقد كلمته فيما بيني وبينه، دون أن أفتح أمراً لا أحب أن أكون أول من فتحه" ^(١).

ولما فتحوا -أي الخوارج- الشر في زمان عثمان رضي الله عنه، وأنكروا على عثمان جهرَةً تمت الفتنة والقتال والفساد الذي لا يزال الناس في آثاره إلى اليوم، حتى حصلت الفتنة بين عليٍّ ومعاوية رضي الله عنه، وقُتِل عثمان رضي الله عنه بأسباب ذلك، وقُتِل جمعٌ كثير من الصحابة وغيرهم بأسباب الإنكار العلي، وذكر العيوب علناً، حتى أبغض أناس ولي أمرهم وقتلوه، نسأل الله العافية، وقد روى عياض بن غنم الأشعري ^(٢) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يُبده علانية، ولكن يأخذ بيده فيخلوا به فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدّى الذي عليه» ^(٣).

أما الحديث الذي يستشهد به البعض على الإنكار علانية، ففيه والله الحجة عليهم بأن الحق في النصح بالسر لو فقهوا، الحديث فيه: «...وكلمة حق عند سلطان جائر» ^(٤) تأمل قوله صلى الله عليه وسلم «عند» لم يقل على المنابر أو وسائل التواصل، لا، بل عنده في مجلسه مشافهة، قال الشيخ السعدي رحمه الله: "وعلى من رأى منهم -أي من ولاة الأمر- ما لا يحل أن ينبههم سرّاً لا علناً بلطف، وعبارة تليق بالمقام، ويحصل بها المقصود، فإن في تنبيههم على هذا الوجه

(١) صحيح مسلم برقم (٢٩٨٩) (٢٢٩/٤) كتاب الزهد والرفائق، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله.

(٢) هو: عياض بن غنم بن زهير بن أبي شداد الفرشي، له صحبة، أسلم قبل الحديبية وشهدها، وكان بالشام مع ابن عمه أبي عبيدة بن الجراح، ولما توفي أبو عبيدة استخلفه بالشام، وهو الذي فتح بلاد الجزيرة وصالحه أهلها، توفي سنة ٢٠هـ، انظر: أسد الغابة (٢٧-٢٩)، تاريخ الإسلام (١٨٤/٢)، الإصابة في تمييز الصحابة (٦٣٠/٤).

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة برقم (١٠٩٦) (٥٢١/٢)، وقال الألباني: "إسناده صحيح ورجاله ثقات، وبقيّة مدلس وقد صرح بالتحديث" ظلال الجنة في تخريج السنة (٥٢١/٢).

(٤) أخرجه أبو داود برقم (٤٣٤٣) (٤٠٠/٦)، والترمذي برقم (٢١٧٤) (٤٧١/٤)، والنسائي برقم (٤٢٠٩) (١٦١/٧)، وابن ماجه برقم (٤٠١١) (١٤٤/٥)، كل أصحاب السنن بلفظ (كلمة عدل) إلا النسائي بلفظ (كلمة حق)، وفيه عطية وهو ضعيف، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (٨٨٧/١): "لكن يقوي حديثه هنا الطريق الآتية وهي..." وذكرها.

خير كثير، وذلك علامة الصدق والإخلاص، وليحذر الناصح لهم على الوجه المحمود أن يفسد نصيحته بالتمدح عند الناس، فيقول لهم: إني نصحتهم وقلت وقلت، فإن هذا عنوان الرياء، وعلامة ضعف الإخلاص، وفيه أضرار أخرى معروفة^(١).

وفي رسالة أرسلها العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمته الله^(٢) إلى من لم يلتزم بمنهج السلف مع الولاة، يقول له فيها: "بلغني أن موقفك مع الإمارة ليس كما ينبغي، وتدرى - بارك الله فيك - أن الإمارة ما قُصد بها إلا نفع الرعية، وليس شرطها ألا يقع منها زل، والعقل بل وغير العقل يعرف أن منافعها وخيرها الديني والدنيوي يربو على مفسادها بكثير، ومثلك إنما منصبه منصب وعظ وإرشاد وإفتاء، ونصيحة الأمير والمأمور بالسر، وبنية خالصة تُعرف فيها النتيجة النافعة للإسلام والمسلمين، ولا ينبغي أن تكون عثرة الأمير - أو العثرات - تُصب عينيك، والقاضية على فكرك، والحاكمة على تصرفاتك، بل في السر قم بواجب النصيحة، وفي العلانية أظهر وصرّح بما أوجب الله من حق الإمارة والسمع والطاعة لها"^(٣).

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمته الله: "فإن الله في فهم منهج السلف الصالح في التعامل مع السلطان، وأن لا يُتخذ من أخطاء السلطان سبيلاً لإثارة الناس، وإلى تنفير القلوب عن ولاة الأمور؛ فهذا عين المفسدة، وأحد الأسس التي تحصل بها الفتنة بين الناس، كما أن ملء القلوب على ولاة الأمر يُحدث الشر والفتنة والفوضى".

(١) انظر: الفواكه الشهية في الخطب المنبرية؛ للسعدي (١٠٣/١).

(٢) هو: محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف الشيخ، فقيه حنبلي، مولده ووفاته في الرياض، تعلم بها، وفقد بصره في الحادية عشرة من عمره، فتابع الدراسة إلى أن أتم حفظ القرآن، وتصدر للتدريس، وعين مفتياً للمملكة، ثم رئيساً للقضاة، رئيساً للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وتولى عدد من المناصب، أملى من تأليفه كتباً منها: الجواب المستقيم، وتحكيم القوانين، ومجموعة من أحاديث الأحكام، والفتاوى في عدة مجلدات، توفي سنة ١٣٨٩هـ، انظر: الأعلام (٣٠٦/٥).

(٣) انظر: فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ (١٨٢/١٢).

ومن أعظم أسباب الوقاية أيضاً من التنازع والخلاف والفتن الرجوع إلى الراسخين في العلم ولزوم
 غرهم واتباع قولهم، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى
 الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنِيطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
 وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة النساء: ٨٣].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: "هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق، وأنه ينبغي
 لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو
 بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى
 الرسول وإلى أولي الأمر منهم، أهل الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور
 ويعرفون المصالح وضدها، فإن رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطاً للمؤمنين، وسروراً لهم وتحزراً من
 أعدائهم فعلوا ذلك، وإن رأوا أنه ليس فيه مصلحة، أو فيه مصلحة ولكن مضرته تزيد على
 مصلحته، لم يذيعوه، ولهذا قال: ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنِيطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] أي:
 يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة وعلومهم الرشيدة" (١).

فلا يرجع في النوازل عموماً وفي الأمور المهمة في الأمة إلى صغار طلبة العلم، أو الحزبيين، أو
 الدعاة أو غيرهم، بل إلى العلماء الراسخين في العلم الذين أفنوا أعمارهم في تحصيله، ورزقهم
 الله الفهم فيه، وأجمع عليهم الناس أنهم من كبار أهل العلم.

ومن الوقاية الحذر من اتباع الهوى وولوج باب الشبهات أو السير وراء الشهوات، فذاك داءٌ
 أفسد الأمم، وفرق أجيالها قال - سبحانه - : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا
 السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٣]
 وإذا نشأ الخلاف عن هوى وتعصب، أو بغي وتقليد، أو حمية وتحزب، فهو سبيل للفرقة ويجب
 البعد عنه.

(١) انظر: تفسير السعدي (ص ١٩٠).

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: "مواضع التفريق والاختلاف عامتها تصدر عن اتباع الظن وما تهوى الأنفس" (١).

أيضا البعد عن التنافس على الدنيا تنافساً يورث العداوة والبغضاء، قال ﷺ: «فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم» (٢).

والعقل من أعرض عن النزاع، واعتصم بالكتاب والسنة، وأصلح نفسه وغيره، وتلك وصية النبي ﷺ للأمة للنجاة من الفرقة والاختلاف.

ولا شك ولا ريب أن القرآن شفاء للمؤمنين، وآياته شفاء لما في الصدور قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمُلُ مَوْعِظَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس: ٥٧] وقال ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [سورة فصلت: ٤٤] وقال جل في علاه: ﴿وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ﴾ [سورة الإسراء: ٨٢].

ومن الشفاء الذي يقدمه القرآن من الفرقة والتنازع ومسبباتها؛ أنه دعا إلى كل ما من شأنه تأليف القلوب، ووحدة الصف، وجمع الكلمة بين المؤمنين، فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [سورة الحجرات: ١٠]، وقال: ﴿وَقُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة الإسراء: ٥٣].

ووصف الصحابة رضي الله عنهم فقال: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة الفتح: ٢٩] وأثنى على قوم يحبهم ويحبونه فقال: ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [سورة المائدة: ٥٤] وقال لرسوله ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٩٩] وقال: ﴿وَإِخْفِضْ

(١) انظر: الفتاوى الكبرى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ)، دراسة وتحقيق: حسين محمد مخلوف، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩٨ هـ-١٩٧٨ م. (١٠٥/٥).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٠١٥) (٨٤/٥) كتاب المغازي، باب، ومسلم برقم (٢٩٦١) (٢٢٧٣/٤) كتاب الزهد والرقائق.

جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ [سورة الشعراء: ٢١٥] وقال: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِنْ لَّهْمُ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِظَ الْقَلْبُ لَأَنفَضُوكَ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ [سورة آل عمران: ١٥٩].

وأمر القرآن الكريم على مستوى الأسرة بالبر والصلة، ولا شك أن ترابط الأسر وتراحمها وتآلفها سيكون له أجل الأثر على ترابط وتماسك المجتمع ككل، فقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [سورة الإسراء: ٢٣] وقال: ﴿إِنْ أَشْكُرْ لِي وَلَوْلَا ذِيكَ﴾ [سورة لقمان: ١٤]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الرعد: ٢١].

وفي المقابل حذر الله تعالى في القرآن أهل الإيمان من أسباب النزاع والفرقة، كالسخرية، والتنازع بالألقاب، وظن السوء، والتجسس، والغيبة وغيرها، ونهاهم عنها، وما سورة الحجرات إلا خير مثال على ذلك، قال الله ﷻ فيها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَر قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّغَابِ بِسَاءِ الْأَسْمَاءِ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [سورة الحجرات: ١١-١٢].

وأمر أيضاً كما بيّنّا برد الأمور إلى أهلها، وبطاعة ولاة الأمر بالمعروف: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [سورة النساء: ٥٩] ففوضى بذلك القرآن الكريم على جميع أسباب الخلاف، وأمر في المقابل بجميع أسباب الائتلاف، وبقي الأمر على أهل الإيمان، فإن أطاعوا القرآن نجحوا وأفلحوا، وإن أطاعوا الشيطان خابوا وخسروا، نسأل الله العافية.

فيا ذا اللب، هل وقر الإيمان في القلب، فإن كان الجواب نعم:

" فكن في أمورك كلها متمسكا ... بالوحي لا بزخارف الهديان

وانصر كتاب الله والسنن التي ... جاءت عن المبعوث بالفرقان^(١)

وهنا سأوجز ما ذكر من أسباب الوقاية من التفرق والاختلاف:

أولاً: العمل بالبينات التي أنزلها الله إلينا، في القرآن والسنة، فأى مجتمع يعتصم بنور القرآن العظيم ويلتزم بسنة النبي ﷺ، يحفظه الله بإذنه تعالى من الفرقة والتنازع قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ﴾ [سورة النساء: ١٧٥] وقال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣].

ثانياً: الرجوع في المسائل المهمة إلى الراسخين في العلم، ولزوم غرضهم.

ثالثاً: السمع والطاعة لولاة الأمور بالمعروف، وعدم الخروج عليهم طاعة لله تعالى ولنبيه ﷺ.

رابعاً: الحذر من اتباع الهوى والتفرق في المجتمع الواحد إلى أحزاب وجماعات، فالحزب واحد في القرآن والسنة: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة المجادلة: ٢٢] والجماعة واحدة هي جماعة المسلمين ﴿هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة الحج: ٧٨] ومن الوقاية هنا بيان الفروق بين الأحزاب والجماعات من جهة، وأهل السنة والجماعة الفرقة الناجية من جهة، ليحذر شباب الأمة وليستبينوا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم، الذين أمرنا الله في كتابه وفي سنة نبيه ﷺ أن نكون منهم ومعهم، وسيأتي بيان ذلك بإذن الله.

خامساً: التزام أخلاق القرآن الكريم والافتداء بالنبي ﷺ في التعامل فيما بيننا، والحذر من التنافس المحموم على الدنيا دون الالتزام بأخلاق الإسلام السامية.

(١) نونية ابن القيم = الكافية الشافية (١/١٦).

قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ [سورة آل عمران: ١٠٤-١٠٥].

الخطاب في الآيات موجّه إلى المسلمين، وقد أمرتهم الآية الأولى بأن يكون منهم دائماً جماعة يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، وأمّا الآية الثانية فنهتهم عن احتذاء سيرة الذين من قبلهم الذين اختلفوا وتفرقوا بعد أن جاءتهم آيات الله وبياناته، ووضحت لهم طريق الحق والباطل والهدى والضلال، وكان الأحرى بهم الاجتماع على الحق والعمل بما أنزل الله إليهم؛ لأن العمل بالبينات من أعظم موجبات وحدة الصف واجتماع الكلمة، ولكنهم تفرقوا رغم ذلك وأعرضوا فاستحقوا بذلك العذاب العظيم، فنسأل الله العافية، فالذين يعملون ما أمرت به الآية الأولى هم الناجون المفلحون، والذين يفعلون ما نهت عنه الثانية لهم الوبال والعذاب المذكور في الآية.

في الختام: لا شك أيها الكرام أن من أعظم الوقاية من التفرق والتنازع تذكر النعمة وشكرها باللسان والجنان والأركان، نعمة وحدة الصف واجتماع الكلمة على التوحيد لله واتباع سنة رسول الله ﷺ، قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٣﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣].

هكذا كان المؤمنون، ثم هكذا أصبحوا، كانوا أعداء فألف الله بين قلوبهم، فأصبحوا بنعمته إخواناً، كان العرب قبل الإسلام عبدة أوثان وأصنام، شرك وضلال يهوديان بالمشركين الضالين إلى مهاوي السعير، وكانوا في فرقة وتنازع وقتال، يسفكون دماء بعض من أجل ناقة، ولا أدل

على ذلك من الحروب التي كانت بين الأوس والخزرج^(١) في المدينة، فأُنقذهم الله، إذ دخلوا في الإسلام، فأصبحوا بنعمة الله إخواناً، فليذكر المسلمون هذا الذي كانوا فيه، فإن لم يذكره في أنفسهم ذكره في آبائهم وأجدادهم، ثم ليذكروا هذه النعمة السابعة التي أضفاها الله عليهم بالإسلام، ومن أجلها تأليف القلوب والتوحيد على التوحيد والسنة، والأمن والأمان، ثم ليحفظوا هذه النعمة، وليحرصوا عليها، وليحرسوها من الآفات التي تطلع عليها من آفاق شتى، وبهذا يسلم لهم دينهم، وتسلم لهم أنفسهم.^(٢)

وهذه وصية الله تعالى في كتابه: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٣].

قال صاحب تفسير حدائق الروح والريحان في بيان وتوضيح هذه الوصية العظيمة: "نهي الله تعالى عن التفرق في صراط الحق، وسبيله؛ لأن التفرق في الدين الواحد، وجعله مذاهب يتشيع لكل منها شيعة وحزب ينصرونه، ويتعصبون له ويخطئون من خالفه، ويرمون أتباعه بالجهل والضلال سبب لإضاعته؛ إذ كل شيعة تنظر فيما يؤيد مذهبها ويظهرها على مخالفه، ولا يهتمها إثبات الحق وفهم النصوص، والحق لا يكون وقفاً على عالم معين، ولا على أتباعه، بل كل باحث يخطئ ويصيب، وذلك ما دل عليه العقل، وأثبتته الكتاب والسنة والإجماع، ولما كان اتباع الصراط المستقيم وعدم التفرق فيه يجمع الكلمة ويعز أهل الحق؛ كان التفرق فيه سبب ضعف المتفرقين وذلمهم وضياح حقهم، وفي الآية دعوة إلى أهل المذاهب التي انحرفت في عقيدتها عن أهل السنة والجماعة وتنكبت سبيل الفرقة الناجية - ما كان عليه النبي ﷺ

(١) قبيلتان تسكنان المدينة، فالأوس ينتسبون إلى الأوس بن حارثة، والخزرج ينتسبون إلى الخزرج بن حارثة؛ وهما ابنا قبيلة بنت الأرقم بن عمرو بن جفنة، وقيل: قبيلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن قضاة، وأبوهما حارثة بن ثعلبة من اليمن، وهم من ناصروا النبي ﷺ في المدينة لما هاجر إليهم، انظر: سير أعلام النبلاء (١/٥٢٥)، تحفة الأحوذى (١٠/٢٧٣).
(٢) انظر: التفسير القرآني للقرآن؛ عبد الكريم يونس الخطيب (ت بعد ١٣٩٠ هـ)، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة (٢/٥٤١).

وأصحابه ﷺ - لعودتهم إلى الحق والاعتصام بحبل الله والسير مع أهل السنة والجماعة على صراط الله المستقيم، وترك السبل المفرقة.

روى ابن جرير عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] قال: أمر الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنه إنما أهلك من كان قبلهم بالمرء والخصومات^(١).

ومن علم حال هذه البلاد المباركة سواءً قبل قيام الدولة السعودية الأولى^(٢)، أو قبل توحيد المملكة على يد المغفور له الملك عبدالعزيز ﷺ^(٣) على التوحيد؛ علم حقيقة النعمة التي نعيشها، فنسأل الله أن يوزعنا شكرها، فبالشكر تدوم النعم ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [سورة إبراهيم: ٧].

وأختم بكلمة قالها الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله في كتاب "سمات المؤمنين في الفتن وتقلب الأحوال"، توضح سببين مهمين ينتج عنهما الافتراق والفتن، لنحذر منهما ونُحذّر شبابنا ممن يروج لهما، قال: "ويتحتم على الأمة الإسلامية أن تعي تماماً ما بيّنه الكتاب

(١) انظر: تفسير حقائق الروح والريحان؛ محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الحرري الشافعي [ت ١٤٤١ هـ]، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م (١٤٣/٩).

(٢) الدولة السعودية الأولى أو إمارة الدرعية هي دولة تأسست في وسط شبه الجزيرة العربية سنة ١٧٤٤م، أسسها محمد بن سعود آل مقرن أمير الدرعية والذي اتخذها عاصمة لدولته. استمرت الدولة السعودية الأولى في التوسع حتى نهايتها سنة ١٨١٨م على يد الجيش العثماني بقيادة إبراهيم باشا، انظر: التاريخ الإسلامي الحديث والمعاصر للدكتور: إسماعيل أحمد ياغي، محمود شاكر. الناشر: مكتبة العبيكان. تاريخ الإصدار: ١٩٩٨ (ص ٦٨).

(٣) هو: عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل ابن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود، من آل مقرن، من ربيعة بن مانع، ملك المملكة العربية السعودية الأولى، ومنشئها، وأحد رجالات الدهر. ولد في الرياض، وصحب أباه، واستقر مع أبيه في الكويت سنة ١٣٠٩ هـ وشب فيها، وشن الغارات على آل رشيد، وجدد في الرياض إمارة آل سعود سنة ١٣١٩ هـ، وتم توحيد المملكة في الدولة السعودية الثالثة على يديه، توفي سنة ١٣٧٣ هـ، انظر: الأعلام (١٩/٤)، تذكره أولي النهى والعرفان بأيام الله الديان (٢٦٩/١).

وكذلك السنة أن أهل الكتاب تفرقوا واختلفوا، وضرب بعضهم بعضاً، لا لنقص العلم عندهم، بل من البغي والتأويل، قال الله ﷻ في البغي: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [سورة الشورى: ١٤]، وقال في التأويل الفاسد: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة آل عمران: ٧] ولذلك قال العلماء في كتب العقائد: إن أعظم ما حصل به الافتراق والفتن والبغضاء في هذه الأمة شيئين: البغي والتأويل، فإذا حصل البغي أو حصل التأويل بغير مستند شرعي صحيح وقعت الفتنة، والعياذ بالله^(١).

وقد علم الراسخون في العلم -وهم صمام الأمان بعد الله من الفتن- خطورة الأمر، فسألوا الله مباشرة بعد بيان زيغ قلوب الفاسدين باتباع المتشابه في سورة آل عمران، قالوا ونقول معهم تشبهاً بهم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [سورة آل عمران: ٨].

(١) انظر: سمات المؤمنين في الفتن وتقلب الأحوال، صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، الناشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية (١٩/١) -بتصرف يسير-.

المبحث الثاني: التنفير من مشابهة أهل الفرقة والاختلاف في القرآن

الكريم

قال الله تعالى في كتابه العزيز في آيات واضحة تُحذّر من مشابهة المشركين في الفرقة والتنازع فقال سبحانه مخاطباً أهل الإيمان: ﴿مُتَّبِعِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۚ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا ۚ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [سورة الروم: ٣١-٣٢].

لذلك كان من أعظم أسباب الوقاية من الاختلاف؛ التحذير من الجماعات وبيان الفرق بينها وبين أهل السنة، ليحذر الشباب من تلك الجماعات والأحزاب، مع بيان خطورتها في شق الصف وتفرق الكلمة وحدوث الفرقة والتنازع الذي يُضعف المسلمين، ويُغري الأعداء بهم.

ولعلني أضرب مثلاً هنا بجماعة الإخوان ليتضح المقال، بيّن الدكتور هشام بن عبد الملك آل الشيخ حفظه الله^(١) في رسالته القيمة بعنوان: (بيان المنهج الحق والتحذير من جماعة الإخوان) بعض النقاط المهمة الفاصلة بين المنهج السلفي والمناهج الباطلة، يقول: -
بتصرف-: (٢)

١. من أبرز سمات أصحاب المنهج السلفي الدعوة إلى توحيد الله بالعبادة ومحاربة الشرك بأنواعه، مع نشر التوحيد وتعليمه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٥].

(١) هو: هشام بن عبد الملك بن عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ، الأستاذ بالمعهد العالي للقضاء، من مؤلفاته: أثر التقنية الحديثة في الخلاف الفقهي (رسالة الدكتوراه) التكرار وأثره في غير العبادات (رسالة الماجستير) انظر: سيرته الذاتية في موقع الشيخ الإلكتروني على الشبكة العنكبوتية.

(٢) انظر: بيان المنهج الحق والتحذير من جماعة الإخوان المسلمين أ.د. هشام بن عبد الملك آل الشيخ، (ص ١١).

أما الجماعات المنحرفة كالإخوان وغيرهم لا يهتمون بهذا الأصل، ولا يقيمون له اعتباراً، قال الشيخ ابن باز رحمته الله: "وأما الإخوان المسلمون فليس لهم نشاط واضح في بيان التوحيد وبيان عقيدة أهل السنة والجماعة" ^(١)، وقد قال سابقاً مرشدهم التلمساني ^(٢): "لا داعي إذن للتشدد في النكير على من يعتقد في كرامة الأولياء واللجوء إليهم في قبورهم الطاهرة والدعاء فيها عند الشدائد، وكرامات الأولياء من أدلة معجزات الأنبياء" انتهى كلامه، نسأل الله العافية، ومن تأمل هذا الكلام علم ببعده عن التوحيد الذي أمرنا الله به في كتابه وسنة نبيه ﷺ. قال ابن باز رحمته الله أيضاً: "حركة الإخوان ينتقدها خواص أهل العلم؛ لأنه ليس لديها نشاط في الدعوة إلى توحيد الله وإنكار الشرك وإنكار البدع". إضافة إلى تقاربهم مع الصوفية وتأثرهم بها.

٢. من أبرز سمات أصحاب المنهج السلفي أنهم يحبون الصحابة رضي الله عنهم ويُنزلونهم منازلهم التي يستحقونها، أما الإخوان فعلى غير ذلك فهم يتواصلون ويتقاربون مع الروافض الذين يسبون أصحاب نبينا ﷺ، عليهم من الله ما يستحقون.

٣. من أبرز سمات أصحاب المنهج السلفي السمع والطاعة لولاة الأمر بالمعروف، كما أمر الله تعالى بذلك في كتابه، وأمر بذلك أيضاً نبينا ﷺ في السنة الصحيحة مع النصيح بالسر بالحكمة والرفق والموعظة الحسنة، أما الجماعات فتجدهم ينكرون علناً على الولاة، وفي ذلك من الشر ما يعلمه أهل العلم، ويضخمون السلبيات ولا يُثنون على الإيجابيات، وفي ذلك من بث الفرقة والخلاف بين الصف الواحد ما لا يعلمه إلا الله، وقد يترتب على ذلك الصدام والمظاهرات والإفساد والفتن التي ينعلم فيها الأمن وتنقطع السبل وتُسفك الدماء نسأل الله العافية، وصدق

(١) انظر: فتاوى نور على الدرب (٤/٢٠٢٦)

(٢) هو: عمر بن عبد الفتاح بن عبد القادر مصطفى التلمساني. وهي نسبة تشعر بأن أصوله القريبة وافدة من تلمسان الجزائرية إلى مصر، ولد في القاهرة، وكان جده ووالده يعملان أول الأمر في تجارة الأقمشة والأحجار الكريمة، وكان جده سلفي النزعة، قد طبع العديد من كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فنشأ المترجم له في جو بعيد عن البدع، وتلقى دراسته الابتدائية في مدارس الجمعية الخيرية. وبعد وفاة جده انتقلت الأسرة إلى القاهرة، فالتحق بالمرحلة الثانوية من المدرسة الإلهامية في الحلمية، ثم انتظم في كلية الحقوق، وبعد التخرج عام ١٩٣٣م قرأ على المحاماة، ثم اتخذ له مكتباً في بندر شبين القناطر، وانضم إلى جماعة الإخوان المسلمين، توفي سنة ١٩٨٦هـ انظر: تنمة الأعلام (٢/٧٥).

الله تعالى حين قال: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ [سورة النور: ٦٣]، أي أمر النبي ﷺ وسنته ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]

٤. من أبرز سمات أصحاب المنهج السلفي التحذير من المظاهرات والثورات لما يترتب عليها من الفساد والفتن وانعدام الأمن، أما الجماعات فلا يرون بذلك بأساً وقد ينظمونها ويسعون فيها.

٥. من أبرز سمات أصحاب المنهج السلفي الاهتمام بالعلم الشرعي وبثه والعمل به، مع الدعوة إلى تعليم السنة الصحيحة، والافتداء بنبينا ﷺ في جميع مناحي الحياة، أما جماعة الإخوان فلا يهتمون بذلك غالباً، قال الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ حفظه الله عن جماعة الإخوان: "لا يحترمون السنة ولا يحبون أهلها، وإن كانوا في الجملة لا يُظهرون ذلك، لكنهم في حقيقة الأمر لا يحبون السنة ولا يدعون لأهلها، وقد جرّبنا ذلك في بعض من كان منتصباً لهم، فتجد أنه لما بدأ يقرأ كتب السنة مثل صحيح البخاري، أو الحضور عند بعض المشايخ لقراءة بعض الكتب حدّروه وقالوا هذا لا ينفعك، ماذا تنتفع من صحيح البخاري، وماذا تنفعك هذه الأحاديث، فهم لا يُقرّون فيما بينهم تدريس السنة، ولا محبة أهلها"، قال الشيخ هشام: "وكثيراً ما ينتقصون العلماء الكبار ويصفونهم بعدم فقه الواقع، وهذا كله من الجناية على الإسلام وأهله، إذ بهذا يصرفون وجوه الشباب عن العلماء الكبار الموثوقين، بالتقليل من شأنهم وعلمهم، ولئن كان في الخروج على الحكام من الشر ما برهن عليه تواطؤ النصوص الشرعية مع الأخبار الواقعية، كما ظهر من صنيع خُدثاء الأسنان في كل الأزمان؛ فشُرّ منه الخروج على العلماء - الراسخين في العلم - بإهدار حقهم، وعدم اعتماد فتواهم إلاّ ما وافق أهواء الحركيين، واستصغار شأنهم في السياسة، ورميهم بعلماء بيت الوضوء، وما أشبهها من الألقاب التي ينبز بها المبتدعة صاغراً عن صاغر العلماء السلفيين كابراً عن كابر؛ وفي هذا إهدار للشرعية بتجريح حملتها وشهودها، والله الموعود"^(١).

(١) انظر: بيان المنهج الحق والتحذير من جماعة الإخوان المسلمين، أ.د. هشام بن عبد الملك آل الشيخ (١٤-١٨).

وأقول: ولم يصلوا في الأصل إلى المصيبة الأولى إلا بعد أن وقعوا في الطامة الثانية، أي أنهم لم يصلوا إلى مرحلة الخروج على الحكام إلا بعد أن سقّوها العلماء الربانيين، وخرجوا على أقوالهم وفتاويهم، فكانت العاقبة شرورٌ وفتن تن تحت وطأتها الأمة أينما اتجهت، ولا حول ولا قوة إلا بالله، نسأل الله أن يرد الأمة إليه رداً جميلاً، وإلى العمل بالكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

٦. من أبرز سمات أصحاب المنهج السلفي الوضوح في دعوتهم وبيان منهجهم، فلا تدليس ولا تقية ولا كذب ولا سرية، أما التنظيمات والجماعات فلديهم الفرقة والتحزب والتكتل والسرية، قال الشيخ صالح آل الشيخ: "أما جماعة الإخوان المسلمين فإن من أبرز مظاهر الدعوة عندهم التكتم والخفاء والتلون، والتقرب إلى من يظنون أنه سينفعهم، وعدم إظهار حقيقة أمرهم".

ثم قال الدكتور هشام في ختام رسالته كلاماً في بيان رعاية واهتمام مملكتنا وبلادنا وولاية أمرنا منذ الدولة السعودية الأولى إلى اليوم بالمنهج السلفي الصحيح والعقيدة الصحيحة: "والمملكة العربية السعودية وهي مهبط الوحي ومنبع الرسالة، دأب حكامها منذ التأسيس الأول على التمسك بهذا المنهج والتأكيد عليه، بل ونشره وتدرسه في الجامعات والمدارس، وبث الدعوة في الخارج لتعليم الناس وهدايتهم إلى الدين الحق والمنهج الصواب".^(١) فالحمد لله حمداً كثيراً.

ومن تحذير القرآن الكريم من الفرقة قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٩] تأمل قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا شِيعًا﴾ أي: أشتاتاً متفرقون، ثم قال: ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾، هؤلاء اتفقوا بأبداهم

(١) انظر: بيان المنهج الحق والتحذير من جماعة الإخوان المسلمين، أ.د. هشام بن عبد الملك آل الشيخ (ص ٦٢).

وافترقت قلوبهم، فكانوا مجتمعين جهراً متفرقين - في التحقيق - سراً. قال السعدي رحمه الله: "أمر الله نبيه ﷺ أن يتبرأ من فرقوا دينهم فقال: ﴿لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ ❦ أي: لست منهم وليسوا منك؛ لأنهم خالفوك وعاندوك" ^(١). فنسأل الله العافية.

وُروى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: " يا أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها جبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة هو خير مما تحبون في الفرقة " ^(٢).
ومن جميل كلام الشيخ صالح الفوزان حفظه الله قوله -بتصرف يسير-: " التفرق ليس من الدين؛ لأن الدين أمرنا بالاجتماع وأن نكون جماعة واحدة وأمة واحدة على عقيدة التوحيد وعلى متابعة الرسول ﷺ يقول تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء: ٩٢] وقال سبحانه: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣] وقال ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ تُرِيبُنِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٩] والنبي ﷺ أمر أن نكون جماعة واحدة قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» ^(٣) وقال أيضاً ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد» ^(٤)، فمعلوم أن البنيان وأن الجسد شيء واحد متماسك ليس فيه تفرق؛ لأن البنيان إذا تفرق سقط، كذلك الجسم إذا تفرق فقد الحياة، فلا بد من الاجتماع، وأن نكون جماعة واحدة أساسها التوحيد ومنهجها دعوة الرسول ﷺ ومسارها على دين الإسلام ، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا

(١) انظر: تفسير السعدي (ص ٢٨٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٧٥/٧).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٦) (١٢٩/٣) كتاب المظالم، باب نصر المظلوم، ومسلم برقم (٢٥٨٥) (١٩٩٩/٤) كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٦) (١٩٩٩/٤) كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.

السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ [سورة الأنعام: ١٥٣]، فهذه الجماعات وهذا التفرق الحاصل اليوم لا يقره دين الإسلام، بل ينهى عنه أشد النهي، فالتفرق وتعدد الجماعات إنما هو من كيد شياطين الجن والإنس لهذه الأمة، فما زال الكفار والمنافقون من قديم الزمان يدسون الدسائس لتفريق الأمة، قال اليهود من قبل : ﴿ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكُفِّرُوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [سورة آل عمران: ٧٢]، أي: يرجع المسلمون عن دينهم إذا رأوكم رجعت عنه، وقال المنافقون: ﴿ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا ﴾ [سورة المنافقون: ٧].

وتأمل قوله تعالى في من اتخذ المسجد الضرار ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة التوبة: ١٠٧] " (١).

ولنتأمل قصة صحابي جليل تربى على منهج نبينا ﷺ، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال: كان سعد بن أبي وقاص ؓ في إبله، فجاءه ابنه عمر، فلما رآه سعد قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب، فنزل فقال له: أنزلت في إبلك وغنمك، وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم؟ فضرب سعد في صدره فقال: اسكت، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي» (٢).

أقول: مع العلم أن سعد ؓ هو الملقب بالأسد في برائته، وقد جمع له النبي ﷺ أبويه في دعوة فقال: «ارم فداك أبي وأمي» (٣)، وهو الذي قاد المسلمين في معركة القادسية العظيمة للانتصار على فارس وزوال ملكهم، ورغم هذا كله قال ما قاله لولده الطامح للأمانة حين

(١) انظر: المنتقى من فتاوى الفوزان (٧/٢٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٩٦٥) (٢٢٧٧/٤) كتاب الزهد والرقائق.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٢٩٠٥) (٣٩/٤) كتاب الجهاد والسير، باب الجن ومن يتربس بترس صاحبه، ومسلم برقم

(٢٤١١) (١٨٧٦/٤) كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل سعد بن أبي وقاص ؓ.

رأى تلاطم أمواج الفتن، وأن الفرقة قد وقعت في صفوف المسلمين، فأراد أن يفر بدينه ويسلم من ذلك كله.

وفي كلمة جميلة للشيخ محمد البشير الإبراهيمي^(١) في حكم التحزب، قال: "أوصيكم بالابتعاد عن هذه الحزبيات التي نَجَمَ بالشر ناجمها، وهجم -ليفتك بالخير والعلم- هاجمها، وسَجَمَ على الوطن بالملح الأجاج ساجمها، إن هذه الأحزاب كالميزاب، جمع الماء كدراً وفرقه هَدَراً، فلا الزُّلال جمع، ولا الأرض نَفَعَ".

وقال أيضاً: "ولو أن مدارسنا اشتدت أصولها، وامتدت فروعها، وكانت تأوي في الجانب المالي إلى ركن شديد، وترجع في الجانب العلمي إلى رأي رشيد، لكان وبال هذه النعرات الحزبية الشيطانية راجعاً على أصحابها وحدهم، هذه إحدى جنايات الحزبية على التعليم، زيادةً على جناياتها على الأخوة والمصلحة الوطنية العامة"^(٢).

(١) هو: محمد البشير بن محمد بن عمر الإبراهيمي، ولد سنة ١٣٠٦، من كبار علماء الجزائر، وله جهود في الإصلاح، واشتغل بالدعوة في فرنسا، وله مؤلفات وكتب جمعت في مجموع آثار الإبراهيمي، توفي سنة ١٣٨٥هـ، انظر: الأعلام (٥٤/٦).

(٢) انظر: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي (المتوفى: ١٣٨٥ هـ)، جمع وتقديم: نجله الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٩٩٧ (٢٦٥/٣).

المبحث الثالث: الشاء والحث على وحدة الصف واجتماع الكلمة

والاعتصام بالله تعالى في القرآن الكريم

لا يعرف قدر النور حقاً إلا من عاش في الظلمات ثم نجّاه الله منها، ومما امتن الله به على هذه البلاد اجتماعها بعد فرقة، ووحدة صفها بعد تنازع، وأمانها وأمنها بعد ترويع واقتتال، ومن عاش في ظلمات الفرقة أو سمع بها قبل التوحيد على يد المغفور له الملك عبدالعزيز، الذي أعانه الله على جمع الكلمة وتوحيد الصف وتأمين السبل؛ فهم خطورة ما أقول، وعلم حقاً نعمة الاجتماع على إمام واحد، وعلى راية واحدة هي لا إله إلا الله، جعلها الملك المؤسس رمزاً وبيرقاً وشعاراً ودثاراً لوطننا ومملكتنا، فالحمد لله على ذلك حمداً كثيراً، فقد كان الناس في تنازع واختلاف، يُغير بعضهم على بعض ويقتل بعضهم بعضاً، لا يأمن المصلي أن يذهب إلى مسجده، ولا البائع في تجارته، ولا المسافر في رحلته، ولخطورة التنازع وسوء عاقبة الفرقة نجد أن القرآن الكريم حذر من ذلك تحذيراً شديداً في آيات كثيرة كما تمّ بيانه، فمن غايات إنزال القرآن على نبينا ﷺ إخراج الناس من الظلمات إلى النور، فقد أخرج الله بآيات القرآن أهل الإيمان من ظلمات الفرقة والتنازع والاختلاف، إلى نور الوحدة والاجتماع والائتلاف.

ومن تدبر القرآن علم أن من أعظم ما امتنّ به الكريم المنان على نبينا ﷺ تأليف القلوب، ووحدة الصف، واجتماع الكلمة، تأمل قول الله تعالى في سورة الأنفال: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة الأنفال: ٦٣] في الآية دلالة على أن تأليف القلوب في المجتمع المسلم على الحق والخير

وعلى إمام واحد على كتاب الله وسنة نبيه نعمة عظيمة من أجل النعم التي يمن الله بها على عباده، وأنه لا يقدر على ذلك إلا الله العزيز الحكيم.

قال صاحب تفسير حدائق الروح والريحان: "ائتلاف قلوب المؤمنين من أسباب النصر التي أئد الله بها رسوله" (١).

وتأمل ذكر النصر قبل منة تأليف القلوب، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (٦٢) ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [سورة الأنفال: ٦٢-٦٣] الآية وقال تعالى في آية أخرى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٤٥) ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرُسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (٤٦) [سورة الأنفال: ٤٥-٤٦].

قال السعدي رحمه الله: "فأخبر أن ائتلاف قلوب المؤمنين وثباتهم وعدم تنازعهم سبب للنصر على الأعداء، وأنت إذا استقرأت الدول الإسلامية وجدت السبب الأعظم في زوال ملكها ترك الدين والتفرق الذي أطمع فيهم الأعداء وجعل بأسهم بينهم" (٢).

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: "فاجتمعوا وائتلفوا، وازدادت قوتهم بسبب اجتماعهم، ولم يكن هذا بسعي أحد، ولا بقوة غير قوة الله، فلو أنفقت ما في الأرض جميعاً من ذهب وفضة وغيرها لتأليفهم بعد تلك النفرة والفرقة الشديدة" ﴿مَا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ لأنه لا يقدر على تقليب القلوب إلا الله تعالى.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي: ومن عزته أن أَلَّفَ بين قلوبهم، وجمعها بعد الفرقة كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ

(١) انظر: تفسير حدائق الروح والريحان؛ لمحمد الأمين الهرري (١١/٦٥).

(٢) انظر: تفسير السعدي (١/١٢٦).

أَعْدَاءُ فَأَلْفَ بَيِّنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٣﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣]"^(١).

قال الحافظ ابن حجر^(٢) في الآية: "وقد رتب ﷺ ما منّ الله عليهم على يديه من النعم ترتيباً بالغاً فبدأ بنعمة الإيمان، التي لا يوازي بها شيء من أمر الدنيا، وثنى بنعمة الألفة، وهي أعظم من نعمة المال؛ لأن الأموال تبذل في تحصيلها، وقد لا تُحصّل"^(٣).

فالحمد لله على نعمة تأليف القلوب في بلادنا المباركة المملكة العربية السعودية، فقد جمعنا الله على دين واحد، وكتاب واحد، ونبي واحد، وإله واحد، ولغة واحدة، وإمام واحد، وراية واحدة هي: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فنسأل الله أن يحفظ علينا نعمته، وأن يرزقنا شكرها واستعمالها في مرضاته.

وأقول: أفبعد هذا الاجتماع منذ عهد الملك عبد العزيز ﷺ إلى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان حفظه الله، يأتي من يريد شق صفنا وتفريق كلمتنا، وكأنهم لم يسمعوا بكل تلك الآيات والأحاديث في الكتاب والسنة التي تحذر من الفرقة والتنازع، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "متى ترك الناس بعض ما أمرهم الله به وقعت بينهم العداوة والبغضاء، وإذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا، وإذا اجتمعوا صلحوا وملكوا، فإن الجماعة رحمة والفرقة عذاب"^(٤).

(١) انظر: تفسير السعدي (١/٣٢٥).

(٢) هو: أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، ولد سنة ٧٧٣هـ بمصر، ورحل لطلب العلم في العديد من البلدان، فتتلمذ على إبراهيم التنوخي، والبلقيني، وابن الملقن، الأناسي، وابن القطان، وغيرهم، له من المؤلفات: فتح الباري شرح صحيح البخاري، والتلخيص الحبير، ونزهة النظر، وتحذيب التهذيب، ورفع الإصر، توفي ٨٥٢هـ، انظر: سلم الوصول إلى طبقات الفحول (١/١٨١)، البدر الطالع (١/٨٧-٩٢).

(٣) انظر: فتح الباري (٨/٥٠).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى؛ ابن تيمية (٣/٤٢١).

لذا فليحذر دعاة الفرقة من فعل أولئك القوم الذين كفروا نعمة الله حين قال ربنا ﷻ:

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيُبَالِيَ

وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ

مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾ [سورة سبأ: ١٨-١٩] إي والله صدق ربي جل في

علاه: ظلموا أنفسهم نسأل الله العافية والسلامة، فكان الجزاء: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ

كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ نسأل الله العافية والسلامة من عقابه وانتقامه، كما نسأله أن يؤلف ما بين قلوبنا

على الخير والحق، وأن يحفظ علينا أمننا وإيماننا، ووحدة صفنا في أوطاننا، وأن يوزعنا شكر

أفضاله، ونعمه وآلائه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المبحث الرابع: العبرة والعظة من مآل أهل الفرقة والاختلاف

الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، والصلاة والسلام على البشير النذير والسراج المنير، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اتبع هداه وسار على خطاه إلى يوم الدين، أما بعد:

العقل يعتبر بما مضى من دروس الأيام، وقصص الأقوام، يقتدي بالصالحين، ويحذّر طريق المفسدين، يحيد عن العثرات، ويتعلم الحكمة في اجتياز العقبات، فمن يقرأ بعيني بصيرته التاريخ يضيف أعماراً إلى عمره، وقد أرشد القرآن الكريم إلى ذلك في مواطن عدة، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [سورة يوسف: ١١١] وقال: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّشْرِكِينَ﴾ [سورة الروم: ٤٢] والآيات هنا كثيرة، والمقصود أن من تأمل أحداث الزمان علم أن الله في كونه وخلقه سنن لا تتبدل ولا تتغير ولا تحابي أحداً كائناً من كان، قال الله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٧] وقال سبحانه: ﴿وَلَن يَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢].

ومن تأمل القرآن والسنة وجد أنهما حذرا هذه الأمة من الاختلاف الذي وقعت فيه الأمم الماضية، قال النبي ﷺ: «فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم»^(١)، وفي القرآن من ذلك الكثير في سورة البقرة مثلاً، وفيها بيان اختلاف بني إسرائيل على موسى ﷺ، أمرهم بذبح البقرة فتعنّوا، أرشدهم إلى قول حطة لتُغفر الذنوب فاستكبروا، أمرهم بالصبر فعبدوا العجل، جاوزوا البحر فرأوا من يعبد ما لا ينفع فقالوا اجعل لنا إلها

(١) أخرجه مسلم برقم (١٣٣٧) (٤/١٨٣٠) كتاب الفضائل، باب توقيفه ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، أو لا يتعلق به تكليف وما لا يقع ونحو ذلك.

وأشركوا، أيضاً اختلاف النصارى في عيسى عليه السلام ظاهر معروف كما بين القرآن الكريم، وصل بهم إلى الحروب والتقاتل، فمن قائل أنه نبي، وآخر أنه إله، وثالث أنه ابن الله، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، وقد بين الله تعالى اختلافهم وأن هذا القرآن العظيم يُخبرهم بالحق فيما اختلفوا فيه: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [سورة النمل: ٧٦].

وما يهمنا هنا استنطاق العبر واستلهاهم الدروس، وعدم الوقوع فيما وقعوا فيه، وسأذكر هنا قصتين من التاريخ فيهما العبرة بإذن الله، الأولى من غزوة أحد، والثانية لسقوط الأندلس.

قبل الشروع في بيان القصص يستحسن هنا بيان أمر مهم، أجلاه القرآن وأوضحته السنة في بيان شافٍ كافٍ، وهو أن الفرقة والاختلاف سبب هلاك الأمم، قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة يونس: ١٠٥] **يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ أُسْوِدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ** [سورة آل عمران: ١٠٥-١٠٦].

وقد ذكر أئمة التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما - أن المراد في الآية الكريمة: "تبيض وجوه أهل السنة والاجتماع، وتسود وجوه أهل البدعة والاختلاف" ^(١)، وأما في السنة فقد ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه - قال: سَمِعْتُ رَجُلًا قَرَأَ آيَةً، وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقْرَأُ خِلَافَهَا، فَجِئْتُ بِهِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَأَخْبَرْتُهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةَ، وَقَالَ: «كِلَاكُمَا مُحْسِنٌ، وَلَا تَخْتَلَفُوا؛ فَإِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا» ^(٢).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٩٥٠) والخطيب البغدادي في تاريخه (٣٧٩/٧) وفي سنده علي بن قدامة الجزري، قال أبو حاتم الرازي: ليس بقوي الميزان (١٥١/٣) وفيه أيضاً ميسرة بن عبد ربه الفارسي، كذاب وأحاديثه غير محفوظة انظر: الضعفاء؛ للعقيلي (٢٦٣/٤) ولسان الميزان (١٧٨/٦).

(٢) سبق تخريجه.

قال الأستاذ مصطفى عشية: "فالخلاف يؤدي إلى الفرقة، والفرقة تؤدي إلى الضعف، والضعف يُجرى الأعداء علينا، وهذا عين ما يحدث الآن؛ فالمرء منا قليل بنفسه كثير بإخوانه، ضعيف بمفرده قوي بجماعته".

وقال أيضاً -بتصرف يسير-: "يقول لنا التاريخ أن الفرقة والاختلاف كانت سبباً في هزيمة المسلمين في أحد حينما جمع المشركون لقتال النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وخرجوا في ثلاثة آلاف مقاتل، وكان عدد الصحابة سبعمائة مقاتل، فخرج الرسول إلى جبل أحد، وجعل ظهره إلى المدينة، وجعل على الجبل خلف المسلمين خمسين من الرماة، وقال لهم: «احموا ظهورنا، فإن رأيتُمونا نُقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتُمونا غنمنا فلا تشركونا»^(١)، وبدأت المعركة، وقُتل مُصعب حامل اللواء، فأخذ اللواء علي بن أبي طالب، وما هو إلا أن انكشف جيش المشركين مُنهزمين وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون، فتكلم الرماة الذين كانوا على الجبل في النزول، واختلفوا فيما بينهم، فنزل كثيرٌ منهم يظن أن الحرب قد وضعت أوزارها، وبقي عبد الله بن جُبَيْر ومعه جماعة من أصحابه، وهكذا اختلفوا فيما بينهم، وخالفوا أمر رسول الله ﷺ، فكانت النتيجة أن كرّر عليهم خالدٌ قتلهم، وانكشف جيش المسلمين، وشجّ وجه النبي، وقُتل حمزة وأنس بن النضر وغيرهم"^(٢).

أما سقوط الأندلس:

فيقص لنا التاريخ حكاية سقوط حضارتنا فيقول:

بعد أن حكمها المسلمون قرابة ثمانمائة عام، أسسوا فيها الحضارة الحديثة، واكتشفوا العلوم التجريبية التي نقلها عنهم الغرب، ووصلوا إلى شأٍ عظيم في التقدم وذلك في كافة العلوم،

(١) أخرجه أحمد برقم (٢٦٠٩) (٣٦٨/٤)، الطبراني في الكبير برقم (١٠٧٣١) (٣٠١/١٠)، والحاكم برقم (٣١٦٣)

(٢/٣٢٤) وصححه الحاكم، والذهبي.

(٢) انظر: مقال (خطورة الفرقة وأسبابها) لمصطفى حمودة عشية.

حتى أن شوارع قرطبة كانت تُغسل وتُضاء بالقناديل، وأوروبا غارقة في الجهل والظلام، بل كانوا يُرسلون أبناءهم للدراسة في الأندلس لينهلوا من علومها، فما الذي أنهى تلك الحضارة العظيمة؛ إنها الفرقة والانقسام والاختلاف، نعم، اختلفوا فيما بينهم وأصبحوا طوائف وجماعات متفرقة، حتى أن بعضهم تحالف مع الأعداء ضد إخوانه، فكانت النتيجة الحتمية أن فقدوا أعظم حضارة، وانتهت تلك الدولة، فسنن الله لا تتغير ولا تبدل ولا تُحاي أحدًا كائنا من كان، فأصبح الأمر أثرًا بعد عين، وتظل إلى الآن تلك البلاد بزخارفها ومعالمها شاهدةً على حضارة المسلمين وتقدمهم الذي ضاع بسبب اختلافهم وتفرقهم.

وفي المقابل لنأخذ نموذجاً واحداً لأثر اجتماع الكلمة ووحدة الصف، لتكتمل بإذن الله العبرة، وليتعض من أراد الله به خيراً، هذا المثال والنموذج هو القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي رحمه الله، الذي حرص حرصاً شديداً على جمع كلمة المسلمين، والانطلاق بهم صفاً واحداً للقدس كما يحب الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَنٌ مَّرْصُومٌ﴾ [سورة الصف: ٤] فكان الفتح والنصر في معركة حطين الخالدة، التي لا تزال الأيام تروي تفاصيلها للمسلمين، وتصرخ في وجوههم: إن أردتم النصر على الأعداء؛ فوحدوا صفوفكم واجمعوا كلمتكم على الحق واحذروا الفرقة.

تقول الموسوعة البريطانية: "لقد نجح صلاح الدين في قلب الميزان العسكري للقوة في صالحه عن طريق الاتحاد، وضبط العدد العظيم من القوى المشتتة أكثر من استخدام التكتيك العسكري الحديث أو المتطور"؛ لذلك عمل الأعداء قديماً وحديثاً على تفريق المسلمين، وزرع الشقاق بينهم، ووجدوا للأسف بيننا سماعون لهم، فلنحذر من هؤلاء وأولئك، ولنعتصم بحبل الله جميعاً ولا نتفرق، مستعينين بالله متوكلين عليه، وهو حسبنا ونعم الوكيل^(١).

(١) انظر: مقال (خطورة الفرقة وأسبابها) لمصطفى حمودة عشية.

ختاماً: هنا أمر مهم يجب التنبيه إليه، وهو مستخلص من دروس الأيام وعبر السنين، نبّه عليه الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله، فقال بتصريف: " من قرأ كتب التاريخ وجد أن الفتن إذا ظهرت فأول ما يلجأ إليه الناس الذين اشتبهت عليهم الأمور هو الطعن في أهل العلم، والمسارة في ذلك، فينبغي الحذر من ذلك، هذا ما حصل من الخوارج مع علماء الصحابة "(١).

لذا فإن الالتفاف حول الراسخين في العلم وتوقيدهم، والسماع منهم، وطاعتهم في مرضاة الله؛ صمام أمان بعد الله من الفتن، فالعلماء الكبار الراسخون في العلم يرون الفتنة قبل أن تقع، والعامة لا يعلمون بها إلا بعد وقوعها، ومن تأمل كلام أولئك العلماء في الفتن وخطرها وجد أن جلّ كلامهم في التحذير من الفرقة والخلاف والتنازع، مع الترغيب في السمع والطاعة بالمعروف، والحث على لزوم الجماعة ووحدة الصف، وهذا عين ما أمر الله تعالى به في كتابه الكريم، وبينه رسوله ﷺ في سنته المطهرة.

العبرة من الواقع المعاصر:

الواقع المعاصر مليء بالدروس والعبر، والتي تشهد بأن مآل الفرقة شر، وأن مصير التنازع والخلاف الهلاك، والموفق من تأمل ذلك واعتبر به، فازداد تمسكاً بالوحدة وتآلف الصفوف والقلوب، لتأمل حال الغرب أولاً ثم العرب، وكيف أن الله نهي أهل الإسلام عن التشبه بالمشركين فقال جلّ في علاه: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۚ مِنَ الَّذِينَ قَرُّوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۚ﴾ [سورة الروم: ٣١-٣٢].

(١) انظر: كتاب سمات المؤمنين في الفتن وتقلب الأحوال (ص ٣٠).

وفي الآية نُهيّ واضح عن التشبه بالمشرّكين، ومع هذا وللأسف نرى اليوم كيف أخذت الدول العربية فكرة الأحزاب والتحزبات من المشرّكين المتفرّقين، وانظر إلى حال الأحزاب في أمريكا والانقسام بين الحزبين الكبيرين وكيف يتفنن كل حزب في تعطيل مشاريع الآخر حتى أن بعضهم يقدم مصالح الحزب على مصالح الدولة والخاسر الأكبر من ذلك الدولة وشعبها، وكذلك في أوروبا، وبالإضافة إلى مصائب الفرق والانقسام هناك طوام أخرى تنتج عن ديمقراطيتهم، وهي إمكانية وصول المفسدين للسلطة، وهل أوصل هتلر الذي قُتل بسببه الملايين إلا حزب انتمى إليه وديمقراطية عفنة اعتمدوا عليها، جعلت الحكم للشعب الذي فيه العالم والجاهل، والسفيه والعاقل، والصحيح والمجنون بدلاً من أن يكون الحكم بشرع الله وبكتابه وبسنة نبيه ﷺ كما من الله به على هذه البلاد المباركة المملكة العربية السعودية، فبدلاً من تَلَقُّفِ الخلاف والفرقة النتنة التي وصفها النبي ﷺ بذلك لما رأى اختلاف الأوس والخزرج أمام عينيه، فقال: «دعوها فإنها مُنتنة»^(١)، وقبول ما تُصدِّره تلك الدول التي حادت عن منهج الله تعالى، كان الأولى والأجدر أن نصدِّر نحن ما أنعم الله به علينا - بحمد الله - في هذه البلاد من الخير، ووحدة الصف، واجتماع الكلمة على الكتاب والسنة إلى الدول العربية، بل إلى العالم أجمع، فيا دعاة الانقسام والتحزب أستمبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير! مالكم كيف تحكمون.

وهاهم الآن في أوروبا يخافون من وصول الأحزاب اليمينية المتطرفة للحكم، وبأصوات الشعب الذي جعلوا قرارهم ومصيرهم بين يديه، وفي بريطانيا جعلوا الشعب يقرر خروجهم من الإتحاد الأوروبي ثم ندم بعض عقلائهم وعلموا خطأهم، فالحمد لله الذي هدانا لهذا الذي هَدانا لثبوت شرعه وكتابه وسنة نبيه ﷺ وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وهو القائل جل في علاه في كتاب العزيز: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [سورة الإسراء: ٩] وذلك في كل مجال وفي كل أمر ذي بال.

(١) سبق تخريجه.

وتأمل وتدبر يا صاحب العقل السليم حرص القرآن على جمع الكلمة ونبذ التفرق والتحزب، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [سورة المؤمنون: ٥٢]. ثم ذكر تفرق الناس في سياق الذم ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ٥٣].

وفي موضع آخر حذر من الاتصاف بصفة المشركين كما بينا آنفا، فقال ﷺ: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [٣١] مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [سورة الروم: ٣١-٣٢]. صدق ربنا جل في علاه، هذا ما نراه الآن بأعيننا، وتأمل من اقتدى بالغرب في البلاد العربية، فأنشأوا الأحزاب فحصل التفرق والاختلاف، الذين رأينا عواقبه الوخيمة في القلاقل والفتن حولنا، فهذا التحزب والتفرق أتاننا من الغرب الذي يتخبط لغياب النور، نور الشريعة فقد حرفوا وبدلوا كتبهم، فاضطروا لإعمال عقولهم القاصرة فأتوا بمسخ الديمقراطية التي تجعل مصير الدول بأيدي الدهماء من الناس وفيهم من فيهم، ونحن لدينا هذا النور العظيم في كتاب الله تعالى وسنة نبينا ﷺ، فمن كان يخشى التغريب وصدق، فدعاة الديمقراطية الزائفة هم من أكبر دعاة التغريب بدعوتهم للاقتداء والسير على خطى الغرب المتخبط سياسياً، والذين أمرنا الله في كتابه أن لا نكون مثلهم، بل إن من عرف واقع الغرب علم أن هناك من عقلائهم من كشف عوار الديمقراطية وبين سلباتها والقصور فيها، فهل بعد أن من علينا ربنا ﷻ بوحدة الصف واجتماع الكلمة على كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ نرضى بأن نعود متفرقين متنازعين، كل حزب منا بما لديهم فرحون، لا يقول هذا إلا جاهل أو منافق أو عدو يُغيظه اجتماع كلمة أهل الإسلام على (لا إله إلا الله) فاللهم زدنا اجتماعاً على الخير، واكفنا شر من أراد بنا شراً، واحفظ وحدتنا بحفظك أنت خير الحافظين وأنت أرحم الراحمين.

وأما في العرب، فقد وعظنا الله تعالى في هذا العصر بما رأت أعيننا من حال بعض الدول العربية التي قلّدت الغرب وأنشأت الأحزاب وعملت بالديمقراطية، وما آل إليه الأمر من التنازع

والفرقة التي ولدت تلك الثورات الدامية الهدامة التي أكلت الأخضر واليابس، وكل ذلك لعدم التزام سنة رسول الله ﷺ والصبر عليها، مع السير على هدى السلف الصالح، ولو أطاعوا الله ورسوله لما كان ما كان، وصدق ربنا ﷺ حين قال عن نبيه ﷺ: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [سورة النور: ٥٤]، وقال عن المخالفين لأمر النبي ﷺ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة النور: ٦٣]، وقد أمر النبي ﷺ بوحدة الصف ونبد التنازع، ولزوم الجماعة، وطاعة ولي الأمر بالمعروف، مع الصبر على الجور، وأداء الحق الذي عليك، وسؤال الله الحق الذي لك، كل ذلك درءاً للفتن والقتل والتشريد والفساد في الأرض، وما خرجت جماعة عبر التاريخ على إمامهم إلا أتوا بالفتن والفساد كما قال ابن تيمية رحمه الله (١).

وقد لاحظنا في تلك الثورات الدامية من كان يطالب بالحرية أو بزيادة راتبه؛ فأصبح بعد وقوع الفتنة يطالب برغيف الخبز وأمن أبنائه وبناته ولا حول ولا قوة إلا بالله، فهل من مُدَّكر، أسأل الله أن يفرج هم المهمومين، وأن يحقن دماء المسلمين، وأن يجنبهم الفتنة، وأن يرزقهم الأمن والأمان، والعقيدة الصحيحة، ولزوم السنة المباركة، وأن يُؤَيِّ عليهم خيارهم، وأن يُقَرِّر أعيننا بوحدة المسلمين جميعاً، واجتماع كلمتهم على الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أختم بكلام جميل للشيخ محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله ساقه صاحب كتاب مدارك النظر، قال الإبراهيمي محذراً للشباب من تلك الفتنة: "العلم العلم أيها الشباب، لا يُلْهِيكُم عنه سمسار أحزاب ينفخ في ميزاب، ولا داعية انتخاب في المجامع صحّاب، ولا يلفتتكم عنه مُعَلِّلٌ بسراب، ولا حاو بجراب، ولا عاو بخراب يَأْتُمُّ بغراب، ولا يفتنتكم عنه مُنزَوٍ ولا مُلتَوٍ جالس على بساط، يُحاكي فيكم سنة الله في الأسباط، فكل واحد من هؤلاء مشعوذ خلاب،

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "ولعله لا يكاد يُعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته" أنظر: منهاج السنة النبوية (٣/٣٩١).

وساحرٌ كذاب، إنكم إن أطعتم هؤلاء الغواة، وانصعتم إلى هؤلاء الغواة، خسرتم أنفسكم وخسرتم وطنكم، وستندمون يوم يجني الزارعون ما حصدوا، ولات ساعة ندم" (١).
 "وسنة الله في الأسباط التفرق، قال تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ [سورة الأعراف: ١٦٠].

وما أصدق هذه الأوصاف التي ذكرها الشيخ على التحزب، فإنه وإن بدا التحزب واصلاً جامعاً، فإنه لا يلبث أن يكون ممزقاً قاطعاً، وإن بدا أنه يحيي في الناس الغيرة على المحارم، فإن حقيقته أن يحيي فيهم الغيرة على (محارم الحزب) ويقتل فيهم الغيرة على محارم الله؛ ألا ترى الواحد منهم إذا انتقد قطب حزبه كيف يفارق، وتحيا فيه معاني البراء، وإذا جاءه الطاعن في الصحابة فلا بأس أن يعانق، ويذكر معه معاذير الولاء، بل لا يمانع من التقارب مع الطاعن في صفات ربه بخنجر التأويل والتحريف، أو بتسليط سيف التكذيب والتكليف، وهكذا يجمع الحزب ما صفا وكدر من المعتقد، كما يجمع الميزاب من الماء ما صلح وفسد" (٢).

أسأل الله أن يجعلنا من المصلحين الذين ينهون عن الفساد في الأرض، وأعظم الفساد الشرك بالله والإلحاد، والتفجير والتكفير، مع الفرقة والتنازع وشق الصف. قال ربنا ﷺ: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (١١٦) وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ [سورة هود: ١١٦-١١٧].

(١) انظر: آثار الإبراهيمي (٢/٣٥٠-٣٥١).

(٢) انظر: مدارك النظر في السياسة؛ لعبدالمالك رضواني (ص ٤٣٧).

الباب الخامس

الوطنية ولنزوم البيعة في القرآن الكريم وأثرهما في دفع الفتن

وفيه فصلان:

الفصل الأول : الوطنية في القرآن الكريم مفهومها وحقوقها

وفيه مبحثان:

المبحث الأول : مفهوم الوطنية في القرآن الكريم .

المبحث الثاني : حقوق الوطنية وأثرها في دفع الفتن .

توطئة:

إن الكلام عن الأوطان وحبها والحنين إليها يُذكر المؤمن بالله تعالى بالوطن الأول لأبيه آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو الجنة، فذلك هو موطننا الأصلي الذي نسيه وتناساه أكثر الناس، وقد ذُكر عن الفضيل بن عياض - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قوله - بتصرف -: "المؤمن في الدنيا همّة التزود بما ينفعه عند العود، فمن حين خلق الله آدم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وأُسكن هو وزوجته الجنة، ثم أُهبط منها ووُعد بالرجوع إليها وصالحو ذريتهما، وهو يحن إلى وطنه الأول، وحب الوطن من الإيمان" ^(١).

وما أجمل أبيات ابن القيم - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - التي تؤكد هذا الانتماء الجميل في قصيدته الميمية:

"طفحيّ على جنات عدن فإنها * منازلك الأولى وفيها المخيم

ولكننا سبي العدو فهل تُرى * نعود إلى أوطاننا ونُسَلِّم" ^(٢)

فأجمل حنين وأصدقه ينبغي أن يكون إلى وطننا الأول سكن أبينا، ودار السلام والنعيم المقيم.

وجاء في الحديث قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فإذا سألتكم الله فسلوه الفردوس؛ فإنه أوسط الجنة، وأعلى

الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة» ^(٣).

فاللهم إنا نسألك الفردوس الأعلى من الجنة، وأن تحرم وجوهنا على النار.

(١) انظر: كشف الكربة في وصف أهل الغربة؛ لابن رجب (١/ ٣٢٧).

(٢) انظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح؛ لابن القيم (١/ ٢٨٤).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٧٤٢٣) (٩/ ١٢٥) كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء.

المبحث الأول: مفهوم الوطنية في القرآن.

الوطن لغة:

قال ابن فارس: فالوطن: محل الإنسان. وأوطان الغنم: مرابضها. وأوطنت الأرض: اتخذتها وطنًا. والميطان: الغاية. (١)

وفي الاصطلاح الوطن: هو منزل إقامة الإنسان ومقره، ولد به أو لم يولد (٢)

والمواطنة كمصطلح معاصر تعني: علاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة وبما تتضمنه تلك العلاقة من واجبات وحقوق متبادلة في تلك الدولة، متضمنة هذه المواطنة مرتبة من الحرية مع ما يصاحبها من مسئوليات.

وأما التعريف الإسلامي للمواطنة : فهو ينطلق من خلال القواعد والأسس التي تبنى عليها الرؤية الإسلامية لعنصري المواطنة، وهما الوطن والمواطن وبالتالي فإن الشريعة الإسلامية ترى أن المواطنة هي التعبير عن الصلة التي ترتبط بين المسلم كفرد وعناصر الأمة، وهم الأفراد المسلمون والحاكم والإمام، وتتوج هذه الصلة جميعا الصلة التي تجمع بين المسلمين وحكامهم من جهة وبين الأرض التي يقيمون عليها من جهة أخرى، وبمعنى آخر فإن المواطنة هي تعبير عن طبيعة وجوهر الصلة القائمة بين دار الإسلام وهي (وطن الإسلام) وبين من يقيمون على هذا الوطن أو هذه الدار من المسلمين وغيرهم.

أجل: إن المواطنة انتماء وموالاتة لعقيدة، وقيم ومبادئ انتماء تغمره أحاسيس العزة ويكمله الفخر وموالاتة تعكسها سمات التضحية وتترجمها معاني الإيثار.

(١) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (١٢٠/٦) [كتاب الواو] [باب الواو والطاء وما يثلاثهما].

(٢) انظر: التعريفات الفقهية للبركتي (٢٣٨/١) .

خلاصة تعريفات مفهوم المواطنة أنها تحدد الحقوق وواجبات يفرضها انتماء الفرد نحو مجتمعة ووطنه واعتزازه بالانتماء إليه، واستعداداته للتضحية من أجله وإقباله طوعية على المشاركة في أنشطة وإجراءات وأعمال تستهدف المصلحة العامة، وقد ارتبط المفهوم تاريخياً بالتطور في حق المشاركة في النشاطات السياسية والاقتصادية والاجتماعية بفاعلية ومسئولية، فضلاً عن المساواة أمام القانون^(١).

ولم أقف على كلمة وطن بلفظها الثلاثي في القرآن الكريم ولكن لها مدلول ومفهوم ورد فيه، فقد ورد مفهوم الوطن في القرآن الكريم بصيغة المواطن بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ [سورة التوبة: ٢٥].

قال الشوكاني: المواطنة جمع موطن ومواطن الحرب مقاماتها،^(٢) وقال ابن الجوزي: موطن أي: أماكن^(٣).

وقال الواحدي عند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ﴾ [سورة الحشر: ٣]. قضى الله ﴿عَلَيْهِمْ الْجَلَاءَ﴾ الخروج عن الوطن^(٤).

وقد وردت كلمة الدار أو الديار بمعنى الوطن في القرآن الكريم ثماني عشرة مرة منها قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [سورة الحشر: ٩].

(١) انظر: دراسة بعنوان: المواطنة الصالحة : السمات والمطالب، أ/ هبة أحمد كامل الرشيدى، أ.د/ سعيد إسماعيل

القاضي، العدد السابع والثلاثون (٣١٧) .

(٢) انظر: فتح القدير للشوكاني (٢٣٦/٣).

(٣) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (١٦٢/٣).

(٤) انظر: الوجيز للواحدي (١٠٨١/١).

وقوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ [سورة القصص: ٨١] وقوله تعالى: ﴿فَجَاسُوا خَلَلِ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ [سورة الإسراء: ٥].

وقد اقترن حب الديار بحب الحياة في القرآن الكريم؛ قال الله - ﷻ -: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [سورة النساء: ٦٦].

﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة الممتحنة: ٨].

وقد اشتهر عند بعضهم قول: "إذا أردت أن تعرف الرجل فانظر كيف تحننه إلى أوطانه، وتشوقه إلى إخوانه، وبكاؤه على ما مضى من زمانه" (١).

إن محبة الأوطان والانتماء للبلدان أمر فطري، جبل الله النفوس عليه، وحين يولد الإنسان في أرض وينشأ فيها؛ فإن فطرته تربطه بها، فيحبها ويبدل لها ويكفي الإنسان هما أن يكون بلا وطن.

ولا ريب أن الوطنية بهذا المفهوم الطبيعي أمر غير مستغرب، وهذه السعادة به، وتلك الكآبة لفراقه، وهذا الولاء له، كلها مشاعر إنسانية لا غبار عليها ولا اعتراض؛ فالإسلام لا يغير انتماء الناس إلى أرضهم ولا شعوبهم ولا قبائلهم، فقد بقي بلال حبشياً، وصهيب رومياً، وسلمان فارسياً، ولم يتضارب ذلك مع انتمائهم للإسلام، والميزان عند الله والتفاضل بالتقوى قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَى اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة الحجرات: ١٣].

ولما كان الخروج من الوطن قاسياً على النفس؛ كان من فضائل المهاجرين أنهم ضحوا بأوطانهم هجرة في سبيل الله، وفي سنن الترمذي بإسناد صحيح: عن عبد الله بن عدي قال:

(١) انظر: كشف الخفاء؛ للعجلوني (٣٤٧/١) نقلاً عن المجالسة للدينوري.

رأيت رسول الله ﷺ واقفاً على راحلته فقال: «إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت»^(١).

قال العيني: "ابتلى الله نبيه بفراق الوطن"^(٢).

ولما علم النبي ﷺ أنه سيقى مهاجراً دعا بتحييب المدينة إليه؛ كما في الصحيحين^(٣)

وفي صحيح البخاري: «أن النبي ﷺ كان إذا قدم من سفر فأبصر درجات المدينة أوضع ناقته»^(٤) - أي أسرع بها-.

قال ابن حجر -رحمه الله-: "فيها دلالة على فضل المدينة، وعلى مشروعية حب الوطن والحنين إليه"^(٥).

ومما يؤكد على حب الوطن وأهميته ومكانته: أن النفي منه استمر عقوبة شديدة منذ فجر التاريخ، فعاقب الله تعالى اليهود فأخرجهم من ديارهم، وحرمها عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض، ثم جاء الشرع الحنيف فاختر النفي عن الوطن عقوبة شرعية لبعض المحاربين لله ورسوله ومرتكبي الجرائم الكبيرة.

^(١) أخرجه الترمذي برقم (٣٩٢٥)، (٧٢٢/٥)، وابن ماجه برقم (٣١٠٨)، (٢٨٩/٤)، والإمام أحمد في المسند برقم (١٨٧١٦)، (١٢/٣١)، صحيحه الترمذي، والذهبي في تنقيح التحقيق (٣٧/٢).

(٢) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٥١/١٠).

(٣) قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ ﷺ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، اللَّهُمَّ وَصِّحْهَا وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّهَا وَصَاعِهَا، وَأَنْتُمْ لَهَا حُمَاهَا فَاجْعَلْهَا بِالْجُحْفَةِ» . [رواه الإمام البخاري في صحيحه برقم: (٥٣٣٠)، (٢١٤١/٥)، كتاب المرضى، باب: عيادة النساء والرجال.

(٤) أخرجه البخاري برقم (١٨٠٢) (٧/٣) أبواب العمرة، باب من أسرع ناقته إذا بلغ المدينة.

(٥) انظر: فتح الباري؛ لابن حجر (٦٢١/٣).

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَأُوا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة المائدة: ٣٣].

المبحث الثاني: حقوق الوطنية وأثرها في دفع الفتن

إن من حقوق الوطن الدفاع عنه وعن عقيدته ومقدساته ومواطنيه، وحفظ نظامه، وإصلاح أهله.

وإن من حقوق الوطن الأخذ عن العلماء والالتفاف حولهم والصدور عنهم فيما يتعلق بأمور الدنيا والدين، العلماء المحققين الربانيين، الذين أمضوا أعمارهم وأوقاتهم في طاعة الله وتعلم العلم والاستفادة والاستزادة من أجل نفع أنفسهم ونفع الناس.

قال الإمام أحمد - رحمه الله - : "طلب العلم أمره عظيم لمن صحت نيته، قيل: يا أبا عبد الله وكيف يصحح الإنسان نيته؟ قال: ينوي بتعلمه رفع الجهل عن نفسه وعن الناس" ^(١)، وهذا هو الذي يعتمد عليه علماءنا ويسيروا عليه وينهجونه، ولا شك أن الإنسان إذا التصق بهؤلاء العلماء وأخذ عنهم، ورجع إليهم فيما يشكل عليه؛ كان على هدى وبصيرة في أمور دينه ودنياه.

ومن حقوق الوطن :

○ وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر وامتنال أوامرهم:

يقول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [سورة النساء: ٥٩].

وقد ذكر ابن جماعة ^(٢) - رحمه الله - عشرة من الواجبات والحقوق التي تجب على الأمة

للكام أو للأمير :

(١) انظر: مجموع الفتاوى؛ لابن تيمية (٢٩/١٢).

(٢) هو: محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناي الحموي الشافعي، بدر الدين، أبو عبد الله، ولي قضاء القدس مدة، ثم درس بالقيصرية بدمشق، ثم ولي خطابة القدس وقضاءها، ثم نقل منها إلى قضاء القضاة بالديار المصرية، ثم ولي

١ - السمع والطاعة في غير معصية الله ﷺ؛ لقوله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [سورة النساء: ٥٩]؛ ولقوله ﷺ: «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية»^(١)، فدل كتاب الله وسنة رسوله على وجوب السمع والطاعة في غير المعصية.

٢ - بذل النصح لولي الأمر ظاهراً وباطناً، لما ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي رقية تميم ابن أوس الداري - رضي الله عنه - قال: قال الرسول ﷺ: «الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(٢) فخص أئمة المسلمين فدل على عظيم حقهم، والسنة أن يكون النصح في السر لا في العلن وبأدب وحكمة ولين خطاب.

٣ - نصرتهم في الباطن والظاهر ببذل أقصى المجهود في ذلك؛ لأن في ذلك نصرة للمسلمين وردعاً للمعتدين.

٤ - أن يعرف له عظيم حقه، وما يجب من تعظيم قدره، فيعامل بما يجب له من الاحترام والإكرام، وما جعل الله تعالى له من الإعظام، ولذلك كان العلماء الأعلام من أئمة الإسلام يعظمون حرمتهم، ويلبسون دعوتهم مع زهدهم وورعهم وعدم الطمع فيما لديهم، وما يفعله بعض المنتسبين إلى الزهد من قلة الأدب معهم، فليس من السنة.

قضاء دمشق وخطاباتها، سمع بمصر من أصحاب البوصيري، ومن ابن القسطلاني، وقرأ بدمشق على أصحاب الخشوعي، توفي سنة ٧٣٣هـ، له من المصنفات: المنهل الروي، وتذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، وتحرير الأحكام وغيرها، انظر: طبقات الشافعية الكبرى (١٣٩/٩)، العقد المذهب في طبقات حملة المذهب (٤١٧/١).

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٥٥) (٧٤/١) كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين نصيحة.

٥ - إيقاظه عند غفلته وتنبيهه عند هفوته بحكمة وموعظة حسنة وفي السر؛ لأن في ذلك تعاون على البر والتقوى؛ ولأن ولي الأمر بشر يخطئ ويصيب.

٦ - تحذيره من عدو يرومه، أو حاسد يقصده بسوء، أو خارجي يريد الخروج عليه، وهذا من أعظم حقوقه وأوجبها.

٧ - إعلامه بسيرة عماله: الذين هو مطالب بهم، ومشغول الذمة بسببهم لينظر لنفسه في خلاص ذمته، وللأمة في مصالح ملكه ورعيته.

٨ - التعاون معه على حمل الأمانة وأدائها؛ لأنها أمانة عظيمة يقول الله ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [سورة المائدة: ٢]، وخير من أُعين على الخير هم ولاة الأمر.

٩ - رد القلوب النافرة إليه، وجمع الناس عليه؛ لأن في ذلك تقوية لصف المسلمين وردعاً لمن خالفهم وشق عصا طاعتهم.

١٠ - الذب عنه بالأقوال والأفعال، باللسان والسنان والأهل والمال، ظاهراً وباطناً وسراً وعلانية^(١).

ولنعلم أن السلف الصالح ضربوا أروع الأمثلة وانصع الحجج في الإلتفاف حول ولاة الأمر؛ فهذا الإمام أحمد - رحمه الله - إمام أهل السنة وقامع البدعة، والفضيل بن عياض أحد الأئمة الثقات وغيرهم يقولون: " لو كان لنا دعوة مستجابة لصرفناها للسلطان "^(٢).

(١) انظر: تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام؛ لاب جماعة (٦١-٦٤).

(٢) أخرجه البرهاري في شرح السنة (١١٣)، والأصفهاني في حلية الأولياء (٩١/٨).

ومن حقوق الوطن:

○ الاجتماع والاتلاف على الحق:

قال تعالى : ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٣﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣]، ويقول ﷺ : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [سورة الحجرات: ١٠].

وقد أكد الرسول ﷺ في سنته على هذا الائتلاف والاتفاق والأخوة ، فقال: « مثل المؤمنين في توادهم وتعارفهم وترحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر »^(١).

والله ﷻ حذرنا أن نكون مثل الذين تفرقوا في دينهم، فقال : ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الروم: ٣١- ٣٢]؛ ولهذا لما اختلف الصحابة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - في القدر كما في الحديث الصحيح، وسمع الرسول ﷺ وهو في حجراته كلامهم واختلافهم خرج عليهم مغضباً كأنما فقىء في وجهه حب الرمان^(٢).

(١) سبق تخرجه.

(٢) عن أبي هريرة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع في القدر فغضب حتى احمر وجهه، حتى كأنما فقىء في وجنتيه الرمان، فقال: «أبهذا أمرتم أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمتم عليكم ألا تنازعوا فيه». أخرجه الترمذي برقم (٢١٣٣) أبواب الولاء والهبة، (٤/٤٤٣) وقال: "لا نعرفه إلا من طريق صالح المري، وصالح له غرائب تفرد بها"، وصالح قال أبو داود: لا يكتب حديثه، قال الذهبي: ضعفه ولم يخرج له سوى الترمذي من أصحاب الكتب الستة فيها، انظر: كشف المناهج (١/١٠٩).

كل ذلك لعلمه ﷺ بالآثار السيئة للفرقة والتنازع والتي تُؤذن بخراب الأوطان وذهاب الحقوق وانتشار الفساد.

فمن الآثار السيئة الناجمة عن التفرق والاختلاف:

١ - ذهاب قوة المسلمين.

فالنزاع والخلاف نتيجته الضعف، والتمزق، وإهدار قوة الأمة بانشغالها بعداوة بعضها بعضاً؛ قال - تعالى -: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة الأنفال: ٤٦]، أي: تذهب قوتكم.

٢ - الهزيمة والفشل.

وهي نتيجة طبيعية للتفرق والتشردم، كما حدث في معركة أحد وقد تمّ بيان ذلك آنفاً.

٣ - ظهور الفرق والمذاهب.

فمنذ أن بدأ الاختلاف والفرقة بين المسلمين؛ وجدت البدعة والفتنة لها مرتعاً بين ظهرائهم، فظهرت الفرق والمذاهب المتعددة، كالروافض والخوارج وغيرهم، وقد قال ﷺ في وصفه للخوارج: عن أبي سعيد أن النبي ﷺ ذكر قوماً يكونون في أمته يخرجون في فرقة من الناس سيماهم التحالق، قال: «هم شر الخلق - أو من أشر الخلق - يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق»^(١)

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠٦٤) كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (٧٤٥/٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رَحِمَهُ اللهُ -: "وتجد الإسلام والإيمان كلما ظهر وقوي كانت السنة وأهلها أظهر وأقوى، وإن ظهر شيء من الكفر والنفاق ظهرت البدع بحسب ذلك" (١).

٤ - وقوع العداوة والبغضاء.

وهذا واقع مشاهد فالتفرق أحزابا وطوائف كل منسب إلى حزب ينتصر لحزبه ويُعادي غيره ومن يختلف معه، كل ذلك ولا بد يُثير العداوة والبغضاء، وقد حذرنا الله تعالى من مشابهة المشركين في ذلك فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ قَرَّعُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الروم: ٣١-٣٢].

وإذا كان الخوف من تحقق هذه الآثار السيئة في عموم الأوطان يجب أن نحذره، فإن الحذر من وقوعه في وطن التوحيد والسنة أوجب وألزم، فإنه الوطن الذي أختصه الله واصطفاه بالرسالة، ومكّن له في هذا العصر بأن جعل هم ولاة أمره فيه نصر التوحيد والسنة، ولذا وجب الحفاظ على أمن هذا البلد وأمانه.

ومن حقوق الوطن أيضاً:

○ الحفاظ على أمن الوطن وأمانه:

إن الأمن والأمان مطلب عظيم، ومبدأ تسعى إلى تحقيقه الأمم منذ خُلقت الدنيا إلى يومنا هذا، وتُبدل في سبيله الطاقات، والمقدّرات المادية والمعنوية ولكنها قد لا تصل إليه، وهذه البلاد المباركة بحمد الله تعيش في رغد عيش وفي أمن وأمان، فكيف وصلت إلى ذلك؟!، لقد وصلت بفهمها وعملها بقول الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة الأنعام: ٨٢].

(١) انظر: مجموع الفتاوى؛ لابن تيمية (٢٠/٤).

والمقصود بالظلم هنا الشرك كما بيّنت ذلك السنة وأشارت إلى قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة لقمان: ١٣].

والأمن في الآية يشمل: الأمن المطلق في الحياة الدنيا وفي الآخرة، فيأمن الإنسان في حياته الدنيا على نفسه وعقله وفكره وماله وعرضه، وأيضاً في الآخرة يأمن من العذاب الذي يلحق الكفار والعاصين.

وقد حققت هذه البلاد المباركة التوحيد بتوفيق الله لها، فسخر الله لها حكماً وملوكاً منذ عهد الملك المؤسس ﷺ إلى يومنا هذا يدافعون عن التوحيد ويحققون ويعملون به، بل جعلوا كلمة التوحيد مسطرة على راية هذه البلاد، فكان التوحيد شعاراً ودثاراً لمملكتنا، والفضل في ذلك لله وحده جل في علاه، فאלلهم لك الحمد.

ولو تأملنا في قصة إبراهيم عليه السلام عندما ترك إسماعيل وأمه هاجرا عند البيت الحرام ماذا قال؟، قال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [سورة البقرة: ١٢٦]

فقدّم إبراهيم عليه السلام طلب الأمن قبل طلب الرزق؛ لأهمية الأمن؛ وكونه أساساً للحياة الطيبة، ومؤدياً إلى الحصول على الرزق، فمن المتصور أن يعيش الإنسان فقيراً قليل ذات اليد إذا كان آمناً، فيسعى وهو آمن في طلب الرزق، أما من يعيش خائفاً لا يأمن على أهله ونفسه؛ فكيف يسعى لكسب رزقه وقوته.

والرسول ﷺ يقول في هذا الشأن : «من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده،
عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا»^(١) ^(٢).

ومن حقوق الوطن أيضاً:

حب الوطن: وهذا الحب حب غريزي ولكنه يختلف من شخص إلى آخر، فكم من الناس
من يتشدقون بحبهم لوطنهم وهم عالة عليه، وآلة هدم في بنائه، وهذا هو الحب الزائف.
أما الحب الصادق للوطن فإنما يظهر فيما يقوم به المواطن من بذل وعطاء، وجهد وبناء في
سبيل إعلاء مكانة وطنه بين الأمم، فهو يحبه ويتعلق به، ويكون ذلك باحترام الأنظمة
الموضوعة لحفظ أمنه، ونشر العدل بين ربوعه، ويبذل قصارى جهده في سبيل إعزازه ونصرته
ورفع شأنه وحفظ مقدراته، ونشر إيجابياته، وستر عيوبه، والعمل على حفظ أمنه من كل من
يريد به الشر والأذى^(٣).

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٣٤٦) (٥٧٤/٤)، وابن ماجه برقم (٤١٤١) (٢٥٣/٥) وقال الترمذي: "حسن غريب،
لا نعرفه إلا من حديث مروان"، قال ابن القطان معلقاً على قول الترمذي في بيان الوهم والإيهام (٦٠٥/٣): "ولم يبين
لم لا يصح، وذلك أنه من رواية مروان بن معاوية... وهو أيضاً لا تعرف حاله".

(٢) ينظر: مقومات المواطنة الصالحة؛ للدكتور سليمان أبا الخيل-بتصرف-.

(٣) ينظر: المواطنة الصالحة وأثرها على الفرد والمجتمع والأمة (مفرغة بدون ترقيم) للدكتور: عبدالله الطيار.

الفصل الثاني: أهمية البيعة في القرآن الكريم والأخذ

بلوانزمها وبيان آثارها،

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: البيعة في القرآن الكريم ولوانزمها.

المبحث الثاني: أهمية البيعة وأثرها في دفع الفتن.

المبحث الأول: البيعة في القرآن الكريم ولوازمها.

البيعة لغة:

قال ابن منظور: " والبيعة: الصفقة على إيجاب البيع وعلى المبايعة والطاعة، والبيعة: المبايعة والطاعة، وقد تبايعوا على الأمر: كقولك أصفقوا عليه، وبايعه عليه مبايعة: عاهده، وبايعته من البيع والبيعة جميعاً، والتبايع مثله، وفي الحديث أنه قال: «ألا تبايعوني على الإسلام»^(١).

وفي المعجم الوسيط: " البيعة هي التولية وعقدتها"^(٢).

وأما في الاصطلاح: قال ابن خلدون: " اعلم أن البيعة هي العهد على الطاعة، كأن المبايع يعاهد أميره على أنه يسلم له النظر في أمر نفسه، وأمور المسلمين لا ينازعه في شيء من ذلك، ويُطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط والمكروه"^(٣).

والذي عليه أهل السنة والجماعة أن الإمام يجب نصبه على الناس، وذلك أن أمور الإسلام لا تتم إلا بذلك كالجهاد في سبيل الله، والأمر المعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود، وإنصاف الضعيف من القوي، وغير ذلك أمور الدين؛ ولهذا أوجب الله طاعة أولي الأمر، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [سورة النساء: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣].

(١) انظر: لسان العرب؛ لابن منظور (٢٦/٨).

(٢) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة (٧٩/١).

(٣) انظر: تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن بن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٨ هـ) الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م (٢٦١/١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "يجب أن يُعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس حتى قال النبي ﷺ: «إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم». رواه أبو داود، من حديث أبي سعيد، وأبي هريرة.

فأوجب عليهم تأمير الواحد في الجمع القليل العارض في السفر، تنبيهها بذلك على سائر أنواع الاجتماع، ولأن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة" (١).

قال مفتي الديار الشيخ محمد بن إبراهيم رحمته الله: "نصب الإمام واجبٌ ضروري يُسمع له ويُطاع" (٢).

وقال عبد الرحمن بن قاسم في شرح منظومة السفاريني:

ولا غنى لأمة الإسلام في كل عصر كان من إمام

يذب عنها كل ذي جحود ويعتني بالغزو والحدود

وفعل معروف وترك نكر ونصر مظلوم وقمع كفر

(١) انظر: السياسة الشرعية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ)، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ. (١/١٢٩).

(٢) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية، المؤلف: علماء نجد الأعلام المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (١٦٢/٩).

أي: لا بد لأمة الإسلام من إمام، في كل عصر وزمان كان، بل نصبه فرض كفاية لازم واجب، بالسنة والإجماع، لمسيس الحاجة إليه. (١)

واستدل القرطبي وغيره بقوله تعالى: ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةٌ﴾ [سورة البقرة: ٣٠]، على وجوب نصب الإمام، ليفصل بين الناس فيما اختلفوا فيه، وقوله: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [سورة ص: ٢٦] (٢).

وفيما يأتي ذكر للآيات الكريمة التي ورد فيها موضوع البيعة:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ [سورة الممتحنة: ١٢]

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ [سورة الفتح: ١٠].

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [سورة الفتح: ١٨].

والبيعة الشرعية لا تكون إلا لولي أمر المسلمين يبايعه أهل الحل والعقد وهم: العلماء والوجهاء، وإذا بُويع ثبتت ولايته، ويحرم على المسلم نكث البيعة مالم يظهر من الإمام كفر بواح.

(١) انظر: حاشية الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي النجدي

(ت ١٣٩٢ هـ) الباب السادس، في ذكر الإمامة ومتعلقاتها (١٣٣).

(٢) انظر: الدرة المضية في القراءات الثلاث المتممة للعشر شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف

(ت ٨٣٣ هـ)، المحقق: محمد تميم الزعبي (١/٢٢٣).

وقد قرر أئمة الدعوة هذا اللازم، فقال حمد بن معمر رحمته الله: "ولا ننكث ببيعة، فمن فعل ذلك فهو مبتدع مخالف مفارق للجماعة"^(١).

وبين الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمته الله أن نقض البيعة مخالف لقول الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [سورة النحل: ٩١].

كما بين أن نقض البيعة من الأمور المنكرة التي يجب قتال من فعلها^(٢).

وقال الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف رحمته الله: ولا يجوز لآحاد الناس أن يتكلم في الأمور العامة التي هي متعلقة بالإمامة؛ لأن الرسول صلوات الله عليه جاء بفريضة السمع والطاعة، ولزوم البيعة، وعدم الخروج على الأئمة، والحض على السمع والطاعة في قوله صلوات الله عليه: «عليكم بالسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي».

فإنه إذا اختل أمر السلطان دخل الفساد على الجميع، ولو جعل ظلم السلطان حولاً في كفة، ثم جعل فساد الرعية وظلمهم وهرجهم في ساعة إذا اختل أمر السلطان في كفة، كان هرج ساعة أعظم وأرجح من ظلم السلطان حولاً.

وكيف لا، وفي زوال السلطان أو ضعف شوكته سوق أهل الشر^(٣)، بل ووقوع الفساد العظيم الذي لا يعلمه إلا الله.

(١) انظر: مجموعة الرسائل والمسائل، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨ هـ)

الناشر: لجنة التراث العربي، (١/٥٥٩).

(٢) انظر: الدرر السنية (٩/١٢).

(٣) انظر: المرجع السابق (٩/٨٤).

قال الفضيل: "جور ستين سنة خير من هرج سنة، ولا يتمنى زوال السلطان إلا جاهل معرور، أو فاسق يتمنى كل محذور"^(١).

وقال الطرطوشي^(٢): "قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [سورة البقرة: ٢٥١]، يعني: لولا أن الله تعالى أقام السلطان في الأرض يدفع القوي عن الضعيف وينصف المظلوم من الظالم؛ لأهلك القوي الضعيف، وتوالت الخلق بعضهم إلى بعض، فلا ينتظم لهم حال، ولا يستقر لهم قرار، فتفسد الأرض ومن عليها، ثم امتن الله تعالى على الخلق بإقامة السلطان، فقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٥١]

يعني: في إقامة السلطان، فيأمن الناس به، فيكون فضله على الظالم كف يده عن المظلوم، وفضله على المظلوم أمانه وكف يد الظالم عنه"^(٣).

وقال الفقيه ابن جماعة الشافعي -رحمته الله-: "فإن بذلك - أي بمبايعة الإمام وطاعته - : صلاح البلاد، وأمن العباد، وقطع مواد الفساد؛ لأن الخلق لا تصلح أحوالهم إلا بسلطان يقوم بسياستهم، ويتجرد لحراستهم؛ ولذلك قال بعض الحكماء: جور السلطان أربعين سنة خير من رعية مهملة ساعة واحدة"^(٤).

(١) انظر: سراج الملوك، أبو بكر محمد بن محمد ابن الوليد الفهري الطرطوشي المالكي (المتوفى: ٥٢٠ هـ)، الناشر: من أوائل المطبوعات العربية - مصر، تاريخ النشر: ١٢٨٩ هـ، ١٨٧٢ م (١/ ١٨٧).

(٢) هو: أبو بكر محمد بن الوليد بن بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري، الأندلسي، الطرطوشي، لازم القاضي أبا الوليد الباجي بسرقسطة، وأخذ عنه مسائل الخلاف، وتفقه عند أبي بكر الشاشي، توفي سنة ٥٢٠ هـ، من مصنفاته: سراج الملوك، والحوادث والبدع، والتعليقة وغيرها، انظر: سير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٩٠)، وفيات الأعيان (٢٦٢/ ٤).

(٣) انظر: المرجع السابق (١/ ١٧٤) ونقله ابن جماعة عنه مقررًا له في تحرير الأحكام (٢٤٦-٢٤٧).

(٤) انظر: تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام لبدر الدين بن جماعة (١/ ٢٤٦).

وقال العلامة الشوكاني -رحمه الله-: "فإن السلطان عزّة من الله جعلها بين أظهر عباده، ولولا ذلك لأغار بعضهم على بعض، وأكل شديدهم ضعيفهم" (١).

وقال شيخنا العلامة ابن عثيمين -رحمه الله-: "ولاة الأمر من الأمراء والسلاطين يجب احترامهم، وتوقيرهم؛ لأنهم إذا احتقروا أمام الناس، وأذلّوا، وهوّن أمرهم: ضاع الأمن، وصارت البلاد فوضى، ولم يكن للسلطان قوة ولا نفوذ" (٢).

وهذا من أعظم مقاصد إقامة الإمام بين الناس، فإذا احتقر الإمام وأهين ضاع هذا المقصد العظيم الذي تقوم عليه كثير من المقاصد والمصالح الشرعية، بل حتى في أداء العبادات قد تحصل الفتن لولا وجود هيبة السلطان في النفوس؛ ولذلك لابد في وجوده، أو وجود من ينيبه فيها ليمنع الناس من الفتن" (٣).

ومن رأى ما حدث في دولٍ حولنا حين فُقد ولي الأمر من الفساد وانعدام الأمن، وتسلبت المجرمين على الناس، وانتهاك الحقوق، والقتل والإفساد؛ علم حقيقة ما ذكره أهل العلم آنفاً من المصالح العظيمة في الصبر على طاعة ولاة الأمر، والحرص على وحدة الصف واجتماع الكلمة.

وفي هذا العصر، قد وُعظنا والله بما سمعنا من أدلة الكتاب والسنة، وبما قرأنا من كلام الراسخين في العلم من سلفنا الصالح، وبما رأيناه بأعيننا في الأحداث حولنا وتحقق وقوع الفتن عند غياب الولاة كما أخبرنا، فهل من مُعتبر.

(١) انظر: فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٣٦).

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١ هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦ هـ (٣/ ٢٣١).

(٣) انظر: هيبة ولي الأمر واجب شرعي وضرورة دينية؛ لدغش العجمي (١/ ٤٣).

المبحث الثاني: أهمية البيعة وأثرها في دفع الفتن

أجمع أهل السنة والجماعة على أهمية البيعة، وتنصيب الإمام؛ لما في ذلك من المنافع الدينية والدنيوية التي لا تحصى، ولا يجوز لأحد نكث بيعة الإمام، لما يترتب على ذلك من المفساد العظيمة التي لا يعلمها إلا الله.

قال الشيخ محمد بن عثيمين رحمته الله: " لا يمكن أن تستغني أمة المسلمين في كل العصور من عهد نبي الله إلى يومنا هذا عن إمام، أي: قائد يقودها، حتى الأمم الكافرة لا بد لها من إمام... " إلى أن قال: " فإذا لا بد للأمة الإسلامية - بل وغير الإسلامية - من إمام يقودها ويوجهها وينهاها وإلا لضاعت وأصبحت الأمور فوضى، قال الشاعر:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة ولا سراة إذا جهالهم سادوا^(١)

وقال أيضاً: " فالواجب أن يعتقد الإنسان أن له إماماً وأن له أميراً يدين له بالطاعة في غير معصية الله... " ^(٢).

قال يحيى بن أبي الخير العمراني رحمته الله: " ومذهب أصحاب الحديث، وأكثر أهل العلم إلى أن نصب الإمام واجب، وقال بعض المتكلمين لو تكاف الناس عن الظلم لم يجب نصب الإمام، وهذا خطأ؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا على نصب الإمام " ^(٣).

(١) انظر: شرح السفارينية لابن عثيمين (٦٤٤-٦٦٥).

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين للشيخ ابن عثيمين رحمه الله (٦٥٦/٣).

(٣) انظر: الدرر السنية (٥/٩) وأنظر المصدر نفسه (٩٨/٩-٩٩).

وقال الإمام القرطبي رحمته الله عند قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [سورة البقرة: ٣٠]، "هذه الآية أصل في نصب إمام وخليفة يُسمع له ويطاع لتجتمع به الكلمة، وتنفذ به الأحكام، ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأئمة" (١).

وقال ابن حجر الهيتمي رحمته الله: "اعلم أيضاً أن الصحابة رضوا الله عنهم أجمعوا على أن نصب الإمام بعد انقراض زمن النبوة واجب، بل جعلوه أهم الواجبات حيث اشتغلوا به عن دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم" (٢).

فبوجود الإمام تجتمع الكلمة، وتُقام أحكام الشريعة، فتُصان الأعراض ويُرفع الظلم، ويُنشر العدل، وينتشر الأمن، وتُفرض المنازعات، وتُحمى حوزة البلاد، ويُتَمَع أهل الشر والفساد، إلى غير ذلك من المصالح والمنافع التي لا يمكن قيامها ولا تطبيقها إلا تحت سلطة إمام، سواء أقامها تامة أو فرط في بعضها.

وإلى هذا أشار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بقوله: " لا بد للناس من إمامة برة كانت أو فاجرة ".

قيل له: هذه البرة قد عرفناها فما بال الفاجرة؟

قال: " يؤمن بها السبيل، ويُقام بها الحدود، ويُجاهد بها العدو، ويُقسَم بها الفيء " (٣).

(١) انظر: الجامع لإحكام القرآن (١/٢٦٤).

(٢) انظر: الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقه، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (المتوفى: ٩٧٤ هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي - كامل محمد الخراط، الناشر: مؤسسة الرسالة - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م (١/٢٥).

(٣) انظر: ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (١/٥٤٨) والسياسة الشرعية (ص ٨٣).

ويقول إمام الحرمين الجويني^(١) -رحمه الله-: "ولا يرتاب من معه مسكة من عقل أن الذب عن الحوزة، والنضال دون حفظ البيضة محتوم شرعاً، ولو ترك الناس فوضى لا يجمعهم على الحق جامع ولا يزعهم وازع، ولا يردعهم عن اتباع خطوات الشيطان رادع، مع تفتن الآراء، وتفرق الأهواء؛ لانتشر النظام، وهلك العظام، وتوثبت الطعام^(٢) والعوام، وتحزبت الآراء المتناقضة، وتفرقت الإرادات المتعارضة، وملك الأزدلون سُرة الناس، ونضت المجامع، واتسع الخرق على الراقع، وفشت الخصومات، واستحوذ على أهل الدين ذو العرامات^(٣)، وتبددت الجماعات، ولا حاجة إلى الإطناب بعد حصول البيان، وما يزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن"^(٤).
وذلك لأن الأمن على الأنفس والأموال لا ينتظم إلا بسلطان مطاع^(٥).

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: ((دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة، في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله))^(٦).

(١) هو: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ولد في جوين (من نواحي نيسابور) وتفقه على والده، ورحل إلى بغداد، فمكة حيث جاور أربع سنين يدرس ويفتي، فلقب بإمام الحرمين، توفي سنة ٤٧٨ هـ، له مصنفات كثيرة، منها: غياث الأمم والتهذيب، والبرهان في أصول الفقه، ونهاية المطلب في دراية المذهب، وغيرها، انظر: طبقات الشافعية الكبرى (١٦٥/٥) سلم الوصول إلى طبقات الفحول (٣٠٥/٢)، الأعلام (١٦٠/٤).
(٢) الطعام: هم أراذل الناس وأوغادهم، ويطلق أيضاً على الأحمق، ينظر: القاموس المحيط مادة طغم (١٠٥/٤).
(٣) العرامات: الشدة والقوة، والشراسة، والجهل، والأذى، ينظر: اللسان (٣٩٥/١٢)، والقاموس (١١٠/٤) مادة «عرم».
(٤) انظر: غياث الأمم في التياث الظلم، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨ هـ)، المحقق: عبد العظيم الديب، الناشر: مكتبة إمام الحرمين، الطبعة: الثانية، ١٤٠١ هـ (ص ٢٣-٢٤).
(٥) انظر: هبة ولي الأمر واجب شرعي وضرورة دنيوية؛ للدكتور دغش العجمي (٣٧/١).

(٦) سبق تخريجه.

زاد الإمام أحمد - رحمه الله - في: مسنده: (ولا تنازع الأمر أهله، وإن رأيت أن لك) ^(١)، وعن أبي أمانة الباهلي رحمه الله عن النبي ﷺ أنه قال: «اسمعوا لهم وأطيعوا في عسركم ويسركم، ومنشطكم ومكرهم، وأثرة عليكم، ولا تنازعوا الأمر أهله، وإن كان لكم» ^(٢)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "فقد أمر النبي ﷺ المسلمين بأن يصبروا على الاستئثار عليهم، وأن يطيعوا ولاية أمورهم وإن استأثروا عليهم، وأن لا ينازعوهم الأمر، وكثير ممن خرج على ولاية الأمور أو أكثرهم إنما خرج لينازعهم مع استئثارهم عليه، ولم يصبروا على الاستئثار.

ثم إنه تكون لولي الأمر ذنوب أخرى، فيبقى البعض لاستئثاره يعظم تلك السيئات، ويبقى المقاتل له ظاناً أنه يقاتله لئلا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، ومن أعظم ما حرّكه عليه طلب غرضه: إما ولاية، وإما مال.

كما قال تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْطُوا مَتَّهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ [سورة التوبة: ٥٨].

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم... وذكر منهم: ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلا لدنيا: إن أعطاه منها رضي، وإن منعه سخط» ^(٣).

فإذا اتفق من هذه الجهة شبهة وشهوة، ومن هذه الجهة شهوة وشبهة قامت الفتنة ^(٤).

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم (٢٢٧٣٥) (٤٠٣/٣٧).

(٢) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين برقم (١٥٨٤) (٤٠٣/٢)، والآجري في الشريعة برقم (٦٨) (٣٧٧/١).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٢٣٥٨) (١١٠/٣) باب في الشرب، باب إثم من منع ابن السبيل من الماء، ومسلم برقم (١٠٨) (١٠٣/١) كتاب الإيمان، باب تحريم إسبال الإزار.

(٤) انظر: منهاج السنة (٤/٥٤٠-٥٤١).

وعن عطاء بن يسار أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: ما مِلاك هذا الأمر؟

قال: ((كلمة الإخلاص وهي الفطرة، والصلاة وهي الملة، والسمع والطاعة))^(١).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "إن الإمام يفسد قليلاً، ويصلح الله به كثيراً، وما يصلح به أكثر مما يفسد، فما عمل فيكم من طاعة الله فله الأجر وعليكم الشكر، وما عمل فيكم من معصية الله فعليه الوزر وعليكم الصبر"^(٢).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "نحانا كبراًؤنا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لنا: لا تسبوا أمراءكم، ولا تغشوهم، ولا تعصوهم، واتقوا الله واصبروا، فإن الأمر قريب"^(٣).

ونختم بكلام جميل للعلامة صدر الدين السلمي^(٤) في رسالته: «طاعة السلطان»، بين فيها الحكمة من تأكيد الشارع على وجوب السمع والطاعة للأئمة في غير معصية، وتحذيره الشديد من مخالفة أمرهم كذلك، فقال -رحمه الله-: "وقد رُوينا في الأحاديث الصحاح التي بلغت حد التواتر -أو كادت أن تبلغه-: أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالسمع والطاعة لولي الأمر ومناصحته ومحبته، والدعاء له: ما لو ذكرناه لطال الكلام، لكن اعلم -أرشدك الله وإياي إلى

(١) أخرجه ابن زنجويه في الأموال برقم (٢٩) (ص ٧١)، قال ابن أبي حاتم الرازي: "هذا حديث منكر بهذا الإسناد" انظر: العلل برقم (٢٧٩٥) (٦/٦٠١).

(٢) أخرجه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى برقم (٥٦٥) (ص ٣٤٢)، ضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير برقم (٣٣١٤) (ص ٤٨٦).

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة برقم (١٠١٥) (٢/٤٨٨)، والبيهقي في شعب الإيمان برقم (٧١١٧) (١٠/٢٧)، وجود إسناده الألباني في ظلال الجنة (٢/٤٨٨).

(٤) هو: محمد بن إبراهيم بن إسحاق السلمي المناوي ثم القاهري، الشافعي، صدر الدين، قاض وعالم بالحديث، من أهل القاهرة، ناب في الحكم، وولي إفتاء دار العدل، ثم قضاء الديار، وولي إفتاء دار العدل، ثم قضاء الديار المصرية استقلالاً سنة ٧٩١هـ، وسمع من الميديمي، وابن عبد الهادي وغيرهما، توفي سنة ٨٠٣هـ، وله من التصانيف: كشف المناهج، انظر: الضوء اللامع (٦/٢٤٩) (٥/٢٩٩).

الاتباع وجنبنا الزيغ والابتداع-: أن من قواعد الشريعة المطهرة، والملة الحنيفية المحررة: أن طاعة الأئمة فرض على كل الرعية، وأن طاعة السلطان مقرونة بطاعة الرحمن، وأن طاعة السلطان تؤلف شمل الدين، وتنظم أمر المسلمين، وأن عصيان السلطان يهدم أركان الملة، وأن أرفع منازل السعادة طاعة السلطان، وأن طاعة السلطان عصمة من كل فتنة، ونجاة من كل شبهة، وأن طاعة السلطان عصمة لمن لجأ إليها، وحرز لمن دخل فيها، وبطاعة السلاطين تقام الحدود، وتؤدى الفرائض، وتحقن الدماء، وتأمين السبل، وما أحسن ما قالت العلماء: إن طاعة السلطان هدى لمن استضاء بنورها، وإن الخارج من طاعة السلطان منقطع العصمة، بريء من الذمة، وأن طاعة السلطان حبل الله المتين، ودينه القويم، وجنته الواقية، ومن أسرّ غش السلطان؛ ذلّ وزلّ" (١).

(١) انظر: طاعة السلطان وإغاثة اللهفان؛ لصدر الدين السلمي (ص ٤٥-٤٦).

الخاتمة

الحمد لله الذي يسّر وأعان، فلولا فضله ورحمته لما تحركت يدٌ ولا نطق لسان، والصلاة والسلام على النبي الكريم، الرؤوف بنا الرحيم، وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا.

التحصين الفكري في ضوء القرآن الكريم، كان هذا موضوع الرسالة، وقد بينت في ثناياها وركزت على فتنٍ أربع، رأت أنها أمهات الفتن، لعموم شرورها، وجسيم آفاتهما، وخطورة آثارها على المسلمين في الدين والدنيا والآخرة، فأوضحت الرسالة كيف نحصن الفكر بآيات الله من الشرك والإلحاد والتكفير والفرقة، ثم بينت في باب أخير أثر لزوم البيعة وطاعة ولي الأمر بالمعروف في دفع تلك الفتن وزوالها.

ففي التحصين من الشرك يأتي قول الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [سورة محمد: ١٩]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٥]، وقوله ﷺ في دليل واضح وبيان شافٍ لكل شبهة: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَُ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة الروم: ٤٠]، وغير ذلك من الأدلة الشرعية والعقلية التي بينتها الرسالة والتي تدعو إلى التوحيد وتبين بطلان الشرك، وهذه الأدلة قد ملئ القرآن الكريم بها، فما خلق الله الخلق والكون وأرسل الرسل وأنزل الكتب إلا لتحقيق التوحيد، ولتتم العبادة له وحده لا شريك له، وليحقق الناس أجمعين شهادة " لا إله إلا الله " في قلوبهم، فيعملوا بموجبها ويجتنبوا الشرك والكفر.

وفي التحصين من الإلحاد يأتي قول ربنا ﷺ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [سورة ص: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [سورة النور: ١١٥] فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ [سورة المؤمنون: ١١٥-١١٦].

وقوله ﷺ في آية اقتلعت الإلحاد من جذوره: ﴿أَمْرُ خُلُقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْرُهُمُ الْخَالِفُونَ﴾ [سورة الطور: ٣٥]، إلى غيرها من الآيات العظيمة في القرآن المجيد، وقد ساق القرآن الكريم كما بيّنت الرسالة أدلة تحقق البعث والإيمان باليوم الآخر بطرائق عدة، شرعية وعقلية، من تأملها بتجرد وله ذرة عقل انقاد إلى الإيمان بالله واليوم الآخر ولا بد، وبيّنت الرسالة أيضا الأحوال البائسة للملحدين في الدنيا، والمآل المخزي لهم في الدار الآخرة، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [سورة الحج: ٤٦]، فنسأل الله أن يهدي كل ضال، ونحمده على العافية من ذلك، وعلى الهداية إلى الحق وما كُنَّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رسل ربنا بالحق.

وفي التحصين من التكفير يأتي قول ربنا ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [سورة النساء: ٩٤]، وقوله سبحانه في بيان العقوبة الوخيمة لقتل المؤمن بغير حق: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء: ٩٣]، وقوله تعالى في النهي عن قتل النفس المعصومة: ﴿إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ﴾ [سورة المائدة: ٣٢]، وكل ذلك في التحذير من التكفير بالهوى والجهل، الذي يقود إلى القتل والإفساد

في الأرض، وقد جاءت الآية بعدها ببيان عقوبة المفسدين، وهي من أشد العقوبات التي ذكرت في القرآن الكريم، وفيها والله العبرة والعظة، قال ﷺ: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة المائدة: ٣٣].

وأما في التحصين والتحذير من التنازع والفرقة فالآيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [سورة الأنفال: ٤٦]، وقال سبحانه: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣]، وقال جل في علاه: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [٣١] مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [سورة الروم: ٣١-٣٢]، ومن قلب صفحات التاريخ وجد أن الأمة ما انتصرت قط إلا بعد اجتماع صف ووحدة كلمة وسمع وطاعة بالمعروف، بدءاً من مؤاخاة النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار والمينة من الله تعالى عليه بالتأليف بين قلوبهم، فمانت العاقبة فتح مكة ودخول الناس في دين الله أفواجا، وانتهاءً بسعي صلاح الدين في توحيد صف المسلمين في جيش واحد فكانت العاقبة أن فتح الله على يديه القدس وتطهير المسجد الأقصى من اليهود الغاصبين، وفي المقابل كانت الفرقة والتنازع علامة على الخسارة والذل والهوان، ابتداءً بذهاب الأندلس من المسلمين وانتهاءً بخسارة فلسطين، والشواهد كثيرة.

أخيراً،، في بيان أثر لزوم البيعة والسمع والطاعة لولاة الأمر بالمعروف في دفع الفتن الأربعة المذكورة آنفاً وغيرها، ويكفي في ذلك آية واحدة واضحة شافية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ

فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴿٥٩﴾ [سورة النساء: ٥٩]، وولاية الأمر هم الأمراء والعلماء، فبطاعة العلماء يصلح الدين، وبطاعة الأمراء تصلح الدنيا، وبطاعة وطاعة رسوله تصلح الدنيا والآخرة، بل وتفوز تسعد الأمة والمسلمون وينتصرون على أعدائهم في كل مجال، وكل أمرٍ ذي بال ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ ﴿٥٩﴾ [سورة النور: ٥٢].

فولاية الأمر كما في بلدنا المبارك والحمد لله هم أول من يحارب الشرك والإلحاد، ويدعو إلى التوحيد الخالص، ويث أكابر العلماء في الداخل والخارج ليدعوا إلى دين الله وشهادة أن لا إله إلا الله، وهو أيضا من يضربون بيد من حديد رؤوس التكفيرين والحزبيين الذين يريدون الفساد في الأرض وتزويق شمل المسلمين، لذا كانت طاعتهم بالمعروف قبيها دفع وأمان عظيم من تلك الفتن الكبرى، وغيرها مما هو دونها من الفتن من باب أولى، فالحمد لله على اجتماع الكلمة خلف ولاية أمرنا، وأسأل الله أن يزيدينا والمسلمين اجتماعا وتآلفاً ووحدانية صف.

ختاماً:

الوصية الأولى والوحيدة لهذه الرسالة هي مزيد الاهتمام بتدبر القرآن الكريم خصوصاً، وبيان معاني الآيات الصحيحة من كلام الراسخين في العلم، ونشرها في المسلمين بكل الوسائل، ونشر حلقات التدبر إلى جانب حلقات التحفيظ في كل جامع، ففي فهم القرآن الكريم الفهم الصحيح الذي يرضاه الله أمان وتحصين من فتن الشرك والإلحاد والتكفير والفرقة وغيرها من الفتن كما بينت الرسالة، وإذا انتشر نور القرآن فلن تجد ظلمات الفتن في الأمة مكان. قال سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٥٧﴾ [سورة يونس: ٥٧]، وقال ﷺ: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَنَسِدْهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضِّلْ وَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ [سورة النساء: ١٧٤-١٧٥].

٠٠- بداية الفهارس

الفهارس

١. فهرس الآيات

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
١- سورة الفاتحة			
١	﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	٥	٤٣
٢- سورة البقرة			
٢	﴿الَّذِينَ لَا يَكْتَنِبُ لِرَبِّهِمْ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ^(٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ^(٣)	٣-١	٢٠
٣	﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ ^(٤)	٤	٢٠
٤	﴿صُمْ بُكْرَةً عَلَيْهِمْ فَهَمْ لَا يُرْجِعُونَ﴾ ^(١٨)	١٨	١٦٩
٥	﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾	٢٢	١٥٣، ١٥٢
٦	﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾	٢٧	٢٠٩
٧	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ^(٣٠)	٣٠	٣١٦، ٣١١، ١٨٧
٨	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ^(٣٩)	٣٩	٥٦
٩	﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسُ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ ^(٥٥) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِ مَوْسَىٰ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ^(٥٦)	٥٥-٥٦	١٦٣
١٠	﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادْرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ ^(٧٢) فَقُلْنَا أَصْرَبُوهُ بَعْضُهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ^(٧٣)	٧٢-٧٣	١٦٥، ١٦٤
١١	﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادْرَأْتُمْ فِيهَا﴾	٧٢	١٦٤

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
١٢	﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ﴾	٩٦	١٨١
١٣	﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَلِيلٌ﴾	١١٦	٦٥
١٤	﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾	١٢٦	٣٠٦
١٥	﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْمِئُ قَالَ أَسْمَتُ رَبِّيَ الْعَلِيمِ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنِي إِنْ اللَّهُ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾	١٣٠-١٣٢	٤١
١٦	﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾	١٣٦	٤٢
١٧	﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾	١٤٣	١٩٤، ١٩٣
١٨	﴿وَاللَّهُمُّ إِلَهُ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾	١٦٣-١٦٤	٤٨
١٩	﴿وَاللَّهُمُّ إِلَهُ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾	١٦٣	١٤٦
٢٠	﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا	١٦٤	١٤٦

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
	أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٧٩﴾		
٢١	﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ 	١٧٩	١٨٨
٢٢	﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾	١٨٥	١٩٥
٢٣	﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ 	١٩٠	٢١٣
٢٤	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾	٢٤٣	١٦٥
٢٥	﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾	٢٥١	٣١٣
٢٦	﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ 	٢٥٣	٢٤٧
٢٧	﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾	٢٥٥	٣٥
٢٨	﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾	٢٦٩	٢٠٢
٢٩	﴿لَا يَكُفُّ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾	٢٨٦	١٩٦

٣- سورة آل عمران

٣٠	﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ	٧	٢٧١
----	--	---	-----

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
	فَيَتَّبِعُونَ مَا نَشَاءُ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾		
٣١	﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾	٨	٢٧١ ، ١٩٤
٣٢	﴿إِن مِّثْلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمِثْلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٩﴾﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٠﴾﴾	٥٩ - ٦٠	١٣٩
٣٣	﴿إِن مِّثْلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمِثْلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿١١﴾﴾	٥٩	٧٥ ، ٣٠
٣٤	﴿فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ﴾	٦٠	٣١
٣٥	﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١٢﴾﴾	٦٤	٣٢ ، ٣٠
٣٦	﴿ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا ۚ ءَاخِرُهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٣﴾﴾	٧٢	٢٧٧
٣٧	﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤﴾﴾	٨٥	٤٢
٣٨	﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾	٩٧	١٤٥
٣٩	﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٥﴾﴾	١٠٢	٢٥

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
٤٠	﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٣﴾ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٤﴾﴾	١٠٣-١٠٤	٢٣٢
٤١	﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾	١٠٣	٢١٥، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٦، ٢٨٠، ٣٠٣، ٣٠٩، ٣٢٣
٤٢	﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾	١٠٤-١٠٥	٢٦٨
٤٣	﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٦﴾﴾	١٠٥-١٠٦	٢٨٤
٤٤	﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾	١٠٥	٢٤٢
٤٥	﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾	١٠٦	٢٤٢
٤٦	﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾	١١٠	١٩٣
٤٧	﴿فَدَحَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَيَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾	١٣٧	٢٨٣

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
٤٨	﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِإِلَهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَهُمُ النَّارُ وَيَسْأَلُونَكَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٥١)	١٥١	٨٩
٤٩	﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مَّن بَعْدَ مَا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٥٢)	١٥٢	٢٤١
٥٠	﴿فَمَا رَحِمَهُ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (١٥٣)	١٥٩	٢٦٦
٥١	﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١٦٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (١٦١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِّنْ أَنْصَارٍ﴾ (١٦٢) رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ (١٦٣) رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (١٦٤)	١٩٠-١٩٤	٤٦
٥٢	﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١٦٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا	١٩٠-١٩١	١١٩، ١٦

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
	وَفُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾		

٤- سورة النساء

٥٣	﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾	٢٤	١٦
٥٤	﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾	٢٧	١٣٧
٥٥	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدَّوَثًا وَمُطْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾	٢٩-٣٠	٢١١
٥٦	﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾	٣٥	٢٢١
٥٧	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴿٤٨﴾﴾	٤٨	١٨٢، ٣٤، ١٩
٥٨	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾	٥٩	٢٠٣، ٢٥٧، ٢٦٦، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٩، ٣٢٣
٥٩	﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾	٦٦	٢٩٧
٦٠	﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾	٨٠	٢٤٢، ٢٥٥، ٢٦١
٦١	﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِيَ الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنِيظُونَهُ مِنْهُمْ﴾	٨٣	٢٠٣، ٢٦٤

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
٦٢	﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَ كُمُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ ^(٨٧)	٨٧	١٢٥
٦٣	﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ ^(٨٩)	٨٩	١٣٧
٦٤	﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّثْقٌ أَوْ جَاءَ وَكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ أَوْ يَقْتُلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَاطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتُلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يَقْتُلُوكُمْ وَالْقُوا إِلَيْكُمْ أَلَسَلَمْ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ ^(٩٠)	٩٠	١٨٨
٦٥	﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ ^(٩٣)	٩٣	٣٢٢، ٢٠٥، ١٨٩
٦٦	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْغُوتَ عَرْصَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَعَانٍ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ^(٩٤)	٩٤	٣٢٢، ٢١٢
٦٧	﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ^(١١٤)	١١٤	١٨٥

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
٦٨	﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝١١٥﴾	١١٥	٢٢٥
٦٩	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ۝١١٦﴾	١١٦	٢
٧٠	﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَتَعَدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذَا مِتُّمُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ۝١٢٠﴾	١٤٠	١٣٤
٧١	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ ۖ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ أَنْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۚ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝٧١﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ۝٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝٧٣﴾	١٧١-١٧٣	٧٣
٧٢	﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾	١٧١	١٩٦

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
٧٣	﴿لَنْ يَسْتَكْفِرَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾	١٧٢	١٠٦
٧٤	﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأُنزِلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴿١٧١﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾	١٧٥-١٧٤	٣٢٤
٧٥	﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ﴾	١٧٥	٢٦٧

٥- سورة المائدة

٧٦	﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾	٢	٣٠٢
٧٧	﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴿٧٦﴾﴾	٧	٢٥
٧٨	﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَسُوا حَطًّا مِّمَّا دُكِّرُوا بِهِ فَأَعْرَضْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾	١٤	٢٥٥
٧٩	﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾	١٧	٨٤

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
٨٠	﴿وَأْتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِى سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُوزِلْنِي أَعْيَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِى سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقَدَّرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾	٣٤-٢٧	٢٢٦
٨١	﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا	٣٢	٣٢٢، ١٨٩

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
	قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَتْ أَحْيَا النَّاسِ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾		
٨٢	﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِّنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾	٣٣	١٨٥، ٢٠٨، ٢٩٩، ٣٢٣
٨٣	﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾	٤٤	٢٢٣، ٤١
٨٤	﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾	٥٠	١٨٨
٨٥	﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾	٥٤	٢٦٥
٨٦	﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْقَائِمُونَ ﴿٥٦﴾﴾	٥٦	٢٣٣
٨٧	﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَا وَهُ مِنَ النَّارِ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾	٧٢	١٩
٨٨	﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾	٧٦	١٠٨
٨٩	﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾	٧٧	١٩٦، ٧٤

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
٩٠	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾	٩٥	٢٢٠
٩١	﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامِنَا وَأَشْهَدُ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾	١١١	٤١
٩٢	﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٣﴾﴾	١١٦	١٠٥

٦- سورة الأنعام

٩٣	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾	١	٣٦
٩٤	﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾	١٨	٥٥
٩٥	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظِرْ كَيْفَ نَصْرُفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْذِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾	٤٦	١٠٢
٩٦	﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾	٥٠	١٦
٩٧	﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥١﴾﴾	٥٤	١٨٥
٩٨	﴿* وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا	٥٩	١٤٩

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
	حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطَبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾		
٩٩	﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ نَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَجَبْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾﴾	٦٣	٩٣
١٠٠	﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ﴿٦٥﴾﴾	٦٥	٢٤٥
١٠١	﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾	٦٨	١٣٤
١٠٢	﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحْجُونَنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَنتُمْ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾	٧٩-٨٢	٨٨
١٠٣	﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحْجُونَنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَنتُمْ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ	٨٠-٨٢	٥٥

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
	إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْآمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾		
١٠٤	﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْآمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾	٨٢	٣٠٥
١٠٥	﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾	٨٨	٢٠
١٠٦	﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِبَتِ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَاءَكُمْ	٩٥-١٠٧	٦٤

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
	بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٠٦﴾ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٧﴾ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٩﴾		
١٠٧	﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٦﴾﴾	١٠٢	١٧١، ١٠١
١٠٨	﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴿١٠٧﴾﴾	١٢٥	٩٠
١٠٩	﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴿١٠٨﴾﴾	١٥٣	٢٦٩، ٢٦٤، ٢٣٧، ٢٤ ٢٧٦
١١٠	﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٠٩﴾﴾	١٥٩	٢٧٦، ٢٧٥، ٢٤٢، ٢٥
١١١	﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَى رَبًّا ﴿١١٠﴾﴾	١٦٤	٨٠، ٢٩

٧- سورة الأعراف

١١٢	﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴿١١١﴾﴾	٥٦	١٨٦
١١٣	﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١١٢﴾﴾	٥٧	١٦٦
١١٤	﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١١٣﴾﴾	١٢٦	٤١
١١٥	﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ أَتْنَى عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴿١١٤﴾﴾	١٦٠	٢٩١
١١٦	﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١١٥﴾﴾	١٧٠	١٨٥

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
١١٧	﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٨٠)	١٨٠	٣٨
١١٨	﴿يُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ (١٩١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَالِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَمَا نُنْظِرُونَ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِيَ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾	١٩٨-١٩١	١٠٨
١١٩	﴿يُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ (١٩١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَالِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾	١٩٤-١٩١	٩٨
١٢٠	﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (١٩٩)	١٩٩	٢٦٥

٨- سورة الأنفال

١٢١	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٢٠٠) وَأَطِيعُوا	٢٠٠	٤٦-٤٥
-----	---	-----	-------

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
	اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا تَنَزَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصِيرُوا إِنْ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾		
١٢٢	﴿وَلَا تَنَزَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ ﴿٤٦﴾	٤٦	٢٥، ٢٤١، ٢٤٤، ٢٤٥، ٣٢٣، ٣٠٤، ٢٥٦
١٢٣	﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بَصِيرَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَالْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾	٦٢-٦٣	٢٨٠
١٢٤	﴿وَالْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بِئْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٦٣﴾	٦٣	٢٣٢، ٢٧٩

٩- سورة التوبة

١٢٥	﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾	٢٥	٢٩٦
١٢٦	﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُّرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٣١﴾	٣١	٧٥
١٢٧	﴿فَإِنْ أَعْطُوا مِنْهَا رِضْوَانًا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾	٥٨	٣١٨
١٢٨	﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾	١٠٧	٢٧٧
١٢٩	﴿وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾	١١٥	٢٢٣

١٠- سورة يونس

١٣٠	﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَ كُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٢٠﴾	٣	١٤٨
-----	---	---	-----

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
١٣١	﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾	٨-٧	١٢٧
١٣٢	﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَدْعُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾	١٨	٣٧، ٣٥
١٣٣	﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَإِنِّي نَصْرَفْتُ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ رَيْكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَإِنِّي تَوَفُّكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِيَ إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِيَ لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِيَ إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِيَ إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾	٣٦-٣١	١٠٠
١٣٤	﴿أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ﴾	٣١	١٠١
١٣٥	﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ﴿٣٧﴾﴾	٣٢	١٧، ٣١، ١٠٢، ١٦٨، ٢٤٠

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
١٣٦	﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْثُرُهُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكَمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهَدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾	٥٧	٣٢٤
١٣٧	﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾	٦٢-٦٤	٩١
١٣٨	﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمِعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أْتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنْ الَّذِينَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾	٦٦-٧٠	٥٩
١٣٩	﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أْتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾	٦٨	٣٠

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
١٤٠	﴿مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ (٧٠)	٧٠	٦٠
١٤١	﴿وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٧٢)	٧٢	٤١
١٤٢	﴿وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمُ إِن كُنتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ (٨٤)	٨٤	٤١
١٤٣	﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٠٤) وَأَنْ أَقْرَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٠٥) وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ (١٠٦) وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (١٠٧)	١٠٧-١٠٤	١٠٢
١٤٤	﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ (١٠٦)	١٠٦	٢٥٠، ٣٥
١٤٥	﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّٰ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ (١٠٨)	١٠٨	١٠٤

١١- سورة هود

١٤٦	﴿كِتَابٌ أَحْكَمَتْ ءَايَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (١)	١	٥٤
-----	---	---	----

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
١٤٧	﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ^(١٠٦)	٦	١٤٩
١٤٨	﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ ^(١٠٧) وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ ^(١٠٨)	١١٦-١١٧	٢٩١
١٤٩	﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ ^(١٠٩) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ^(١١٠)	١١٨-١١٩	٢٤٦، ٢٣٦
١٥٠	﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ^(١١١)	١٢٣	٤٣

١٢- سورة يوسف

١٥١	﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ ^(١١٢)	١٠١	٤١
١٥٢	﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ^(١١٣)	١٠٨	١٨١
١٥٣	﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ^(١١٤)	١١١	٢٨٣

١٣- سورة الرعد

١٥٤	﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُؤْفَقُونَ﴾ ^(١١٥)	٢	١٥١، ١٤٩
١٥٥	﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَتَتَّخِذُونَ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ	١٦	١٦٩، ٢٩

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
	يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾		
١٥٦	﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَن هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْعَيْثَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا أَبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾	٢٤-١٩	٥١
١٥٧	﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يوصَلَ ﴿١١﴾﴾	٢١	٢٦٦
١٥٨	﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿١٥﴾﴾	٢٥	٢١١، ٢٠٩

١٤- سورة إبراهيم

١٥٩	﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾	٧	٢٧٠
١٦٠	﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾	٨	١٤٥
١٦١	﴿إِنِّي اللَّهُ شَكُّ﴾	١٠	٨٠، ٢٩
١٦٢	﴿وَمَا تَذَكَّرُ مِن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٥﴾﴾	٣٤	٢٨

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
١٦٣	﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (٤٣)	٣٥	٤٣
١٦٤	﴿هَذَا بَلَغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذْكُرُوا الْأَلْبَابَ﴾ (٥٢)	٥٢	٥٣

١٥- سورة الحجر

١٦٥	﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِ﴾ (١٦)	١٦	١٥٢
١٦٦	﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرِزْقَيْنَ ﴿١٨﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿١٩﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ فَاَنزِلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ (٢٢)	١٩-٢٢	١٥٠

١٦- سورة النحل

١٦٧	﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ (٤)	٤	١٥٥
١٦٨	﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (٣٦)	٣٦	٤٠
١٦٩	﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ يَمُوتَ بَلَى وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَاذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ (٤٠-٣٨)	٣٨-٤٠	١٦٩
١٧٠	﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَاذِبِينَ﴾ (٣٩)	٣٩	١٧٠
١٧١	﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٤٣)	٤٣	٢١٠
١٧٢	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْبَيْمِينِ وَالشَّمَالِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ (٤٨) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا	٤٨-٥٠	٦٧

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
	فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُشْكِرُونَ ﴿١٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٢٠﴾		
١٧٣	﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَخِدُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَآرَهُبُونَ ﴿٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَرِحْتُمْ بِهَا وَإِذَا ضَرُّهُ أَضْرَبَ قَالَ إِيَّاهُ يُجْعَلُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فِرَيقٌ مِّنكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾	٥٥-٥١	٩٦
١٧٤	﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾	٧٨	١٥٦
١٧٥	﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾	٨٠	١٥٦
١٧٦	﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾	٨١	١٥٦
١٧٧	﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾	٨٣	١٥٦
١٧٨	﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾	٩١	٣١٢
١٧٩	﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾	٩٧	٩٠

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
١٨٠	﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا نَصِفُ أَلْسِنَتَكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ (١٦)	١١٦	٢٠١
١٨١	﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدَلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾	١٢٥	٢٣٩

١٧- سورة الإسراء

١٨٢	﴿فَجَاسُوا خَلَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ (٥)	٥	٢٩٧
١٨٣	﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾	٩	٢٨٨
١٨٤	﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (١٩) كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (٢٠) أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (٢١)	٢١-١٨	١٣١
١٨٥	﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ (١٨)	١٨	٥٢
١٨٦	﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (٢٤)	٢٤-٢٣	٢٠٩
١٨٧	﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾	٢٣	٢٦٦
١٨٨	﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَآتَبَعُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ (٢٥) سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا (٢٦) نُسَبِّحُ لَهُ	٤٤-٤٢	٦٣

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
	الْسَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿١١﴾		
١٨٩	﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿١١﴾﴾	٤٤	٦٦
١٩٠	﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفَاتًا إِنْنا لَمَبْعُونُ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿١٩﴾ * قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٢٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٢١﴾﴾	٥١-٤٩	١٦٢
١٩١	﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾	٥١	١١٥
١٩٢	﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾	٥٣	٢٦٥
١٩٣	﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ رَعَيْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْيِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾	٥٧-٥٦	١٠٦
١٩٤	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾	٥٧	١٠٧
١٩٥	﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهًُا فَلَمَّا بَجَحْتُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾	٦٦-٦٧	٩١

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
١٩٦	﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾	٦٨-٦٩	٩١
١٩٧	﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾	٧٠	١١٤
١٩٨	﴿وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ ﴿٧١﴾﴾	٨٢	٢٦٥
١٩٩	﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْآذْقَانِ سُجَّدًا ﴿٧٢﴾﴾	١٠٧	٣٢

١٨- سورة الكهف

٢٠٠	﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾﴾	١٠-١١	١٦٥
٢٠١	﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿١٢﴾﴾	٢٨	١١٦

١٩- سورة مريم

٢٠٢	﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣١﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٢﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾	٣٤-٣٦	٧٦
٢٠٣	﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴿٣٤﴾﴾	٦٠	١٨٥
٢٠٤	﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مِئْتُ لَسَوْفَ أَخْرُجُ حَيًّا ﴿٣٥﴾ أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْتُهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٣٦﴾﴾	٦٦-٦٧	١٦٢

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
٢٠٥	﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ۖ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ ^(٨٢)	٨١-٨٢	٨٣
٢٠٦	﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۚ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۚ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ ۚ وَخُجِرَ الْجِبَالُ هَذَا ۚ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۚ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۚ إِنَّ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۚ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۚ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا﴾ ^(٨٩)	٨٨-٩٥	٦١
٢٠٧	﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۚ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۚ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ ۚ وَخُجِرَ الْجِبَالُ هَذَا ۚ﴾ ^(٨٩)	٨٨-٩٠	٣٠
٢٠٨	﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ ^(٩٣)	٩٣	١٠٦

٢٠- سورة طه

٢٠٩	﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ ^(٩٤)	٤٤	١٨٠
٢١٠	﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾	٥٣	١٥٣
٢١١	﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ ^(١١٩)	١٠٩	٣٥
٢١٢	﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ ^(١٢٢) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ۚ﴾ ^(١٢٢) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ۚ﴾ ^(١٢٣) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِرْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ۚ﴾ ^(١٢٧)	١٢٤-١٢٧	١٣١

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
٢١٣	﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ (١١٢)	١٢٤	١٦٩

٢١- سورة الأنبياء

٢١٤	﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ (١١٨)	١٨	٢
٢١٥	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (١٢٥)	٢٥	٤٠، ٧١، ٢٧٢، ٣٢١
٢١٦	﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾	٢٨	٣٥
٢١٧	﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ (١٣٢)	٣٢	١٥٢
٢١٨	﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَيْبَرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ (١٣٨)	٥٨	٩٩
٢١٩	﴿وَعَلَّمْنَاهُ صِنْعَةَ لُبُوسٍ لَكُمْ لِنُخَصِّنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ (١٤٠)	٨٠	١٥
٢٢٠	﴿وَإِذَا النُّوجُ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٤٧)	٨٧	٨٩
٢٢١	﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (١٤٩)	٩١	٧٥
٢٢٢	﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (١٥٢)	٩٢	٢٧٦
٢٢٣	﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (١٥٤)	١٠٤	١١٥

٢٢- سورة الحج

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
٢٢٤	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُتَوَفَّى وَمِنْكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾	٧-٥	١٢٢
٢٢٥	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ﴾	٥	١١٥
٢٢٦	﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ ﴿٨﴾ ثَانِي عَظِيمٍ لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾﴾	١٠-٦	١٤٤
٢٢٧	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن	١٨	٦٧

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
	يُهِنُّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾		
٢٢٨	﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾	٢٥	٢٢٥
٢٢٩	﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (٤٦)	٤٦	٣٢٢
٢٣٠	﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾	٦٥	١٥١
٢٣١	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٧٤)	٧٣-٧٤	٩٨، ٨٦
٢٣٢	﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ (٧٣)	٧٣	٣٠
٢٣٣	﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾	٧٤	٨٧
٢٣٤	﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾	٧٨	٢٦٧، ١٩٥

٢٣- سورة المؤمنون

٢٣٥	﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (٥٢)	٥٢	٢٨٩
٢٣٦	﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (٥٣)	٥٣	٢٨٩، ٢٤٢
٢٣٧	﴿قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذْنَا لَمَبْعُوثُونَ﴾ (٨٢)	٨٢	١١٥

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
٢٣٨	﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَلَيْهِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾	٩١-٩٢	٨١
٢٣٩	﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾	٩١	٣٠
٢٤٠	﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَلَّى اللَّهُ الْمَلِئُكَ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾	١١٥-١١٦	٣٢٢
٢٤١	﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾	١١٥	١٥٩، ١١٧

٢٤- سورة النور

٢٤٢	﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴿٤٠﴾﴾	٤٠	١٦٩
٢٤٣	﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾	٥٢	٣٢٤
٢٤٤	﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴿٥٤﴾﴾	٥٤	٢٩٠، ٢٥٦، ٢٤٢
٢٤٥	﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾	٦٣	٢٩٠، ٢٧٤، ١٨٤

٢٥- سورة الفرقان

٢٤٦	﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾	٣	١٠٩، ٩٨، ٣٧
-----	--	---	-------------

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
٢٤٧	﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَبَّتْنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَوَيْلَ لِي لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ فُلَانًا حَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾	٢٧-٢٩	٢١٠، ١٩٨
٢٤٨	﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٠﴾﴾	٤٤	١٦٩، ١١٤
٢٤٩	﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٣١﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٣٢﴾﴾	٦٨-٦٩	٢٠٦
٢٥٠	﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٣٣﴾﴾	٦٨	١٨٨
٢٥١	﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٣٤﴾﴾	٧٠	٢٠٦

٢٦- سورة الشعراء

٢٥٢	﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾	٢١٥	٢٦٥
-----	--	-----	-----

٢٧- سورة النمل

٢٥٣	﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ؕ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ؕ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهُ بَلْ هُمْ فَوْرٌ يُعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ؕ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهُ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّنْ	٥٩-٦٤	٦٦
-----	--	-------	----

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
	يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُم خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّيْلٍ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمْ يَتَذَكَّرُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْفُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾		
٢٥٤	﴿أَمْ يَجْعَلُ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾	٦١	١٥٤
٢٥٥	﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾	٦٥	٣٨
٢٥٦	﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُضُّ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾	٧٦	٢٨٤

٢٨- سورة القصص

٢٥٧	﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْلِمُنْ عَلَى الطَّيْنِ فَأَجْعَلْ لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَأَسْتَكْبَرُ هُوَ وَجُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾	٤٠-٣٨	٣٣
٢٥٨	﴿يَتَأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾	٣٨	٣٣
٢٥٩	﴿وَاتَّبَعَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَتَّبِعِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾	٧٧	١٨١
٢٦٠	﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾	٨١	٢٩٧

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
٢٦١	﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	٨٨	٧٧

٢٩- سورة العنكبوت

٢٦٢	﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوِلُكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن تَلْوِينٍ﴾	٢٥	٨٣
٢٦٣	﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضِرُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾	٤١-٤٣	٨٥
٢٦٤	﴿وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رَزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِیَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ وَلِيَسْتَمْنَعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾	٦٠-٦٦	٩٧

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
٢٦٥	﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾	٦٥	٩٣، ٨٩

٣٠- سورة الروم

٢٦٦	﴿يَعْمَلُونَ ظَهْرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾	٧	١٤٧، ٥٣
٢٦٧	﴿فَسَبَّحَنَّا اللَّهَ حِينَ نُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًا وَحِينَ يُظَاهِرُونَ ﴿٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿٩﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿١٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقُ الْبَشَرِ وَخَلْقُ الْوَحْيِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنْأَمُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿١٥﴾ وَلَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَنِينٌ ﴿١٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٧﴾ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ	٢٩-١٧	١٧٢

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
	هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَ هُمْ يَغْيِرُونَ عَلَيْهِمْ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٢٩﴾		
٢٦٨	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾	٢٥	١٥١
٢٦٩	﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾	٢٧	١١٥
٢٧٠	﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ قَرَعُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾	٣١-٣٢	٢٣٦، ٢٧٢، ٢٥٥، ٢٨٧، ٢٨٩، ٣٠٣، ٣٠٥، ٣٢٣
٢٧١	﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾	٣٢	٢٤
٢٧٢	﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾	٤٠	٢٨، ٢٩، ٨٠، ٣٢١
٢٧٣	﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّشْرِكِينَ ﴿٣٤﴾﴾	٤٢	٢٨٣

٣١- سورة لقمان

٢٧٤	﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ يَنبَغَ بِكُمْ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾	١٠-١١	٣٠
٢٧٥	﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾	١٣	١٩، ٣٦، ٥٥، ٨٨، ٣٠٦
٢٧٦	﴿إِنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَلَدِكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾	١٤	٢٠٩، ٢٦٦
٢٧٧	﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾	١٥	٢١٠

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
٢٧٨	﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾	٢٠	١٤٤
٢٧٩	﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَجُّ كَاطِلٍ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾	٣٢	٩٢

٣٢-سورة السجدة

٢٨٠	﴿أَمَنَ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾﴾	١٨	١٦١
-----	--	----	-----

٣٣-سورة الأحزاب

٢٨١	﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴿٦﴾﴾	٦	٢٢١
٢٨٢	﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكُفْرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾	٦٤-٦٥	٥٧
٢٨٣	﴿يَوْمَ نُقَلِّبُ وُجُوهَهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيِّنَا أَطْعَنَا اللَّهُ وَأَطْعَنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطْعَمْنَا سَادَتَنَا وَكُتُبَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾	٦٦-٦٨	١٩٩

٣٤-سورة سبأ

٢٨٤	﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾﴾	٣	١٤٨
٢٨٥	﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّبِيلَ سَبْرًا لِّبَالِي وَأَيَّامًا ءَامِينَ ﴿١٨﴾﴾	١٨-١٩	٢٨٢

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
	أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾		
٢٨٦	﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٣﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَن أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٤﴾﴾	٢٣-٢٢	١٠٩، ٣٥

٣٥- سورة فاطر

٢٨٧	﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾	٢	١٠٣
٢٨٨	﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرْكُمْ وَلَا يُبَشِّرُكُمْ مِثْلُ خَيْرٍ ﴿١٤﴾ * يَتَأَيَّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾	١٤-١٦	١٠٩
٢٨٩	﴿* يَتَأَيَّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾	١٥-١٦	٩٦
٢٩٠	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ ءَاتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ بَلْ إِنَّ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٢٠﴾﴾	٤٠	٨٣، ٨٢
٢٩١	﴿* إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٢١﴾﴾	٤١	١٥١

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
---	-----------	-----	------------

٣٦-سورة يس

٢٩٢	﴿وَلْتَأْخُذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ﴾ ٧٤ ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحَضَّرُونَ﴾ ٧٥	٧٤-٧٥	١١٠
٢٩٣	﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ ٧٨ ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ ٧٩	٧٨-٧٩	١٦١
٢٩٤	﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ٨٠	٨٠	١١٥
٢٩٥	﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ ٨١	٨١	١٢٤

٣٧-سورة الصافات

٢٩٦	﴿إِنَّا زَيْنًا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَكِبِ﴾ ٦١	٦١	١٥٢
٢٩٧	﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ ٦٢	٦٢	٩٩
٢٩٨	﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْجُسُونَ﴾ ٦٣ ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ٦٤	٦٣-٦٤	٩٨

٣٨-سورة ص

٢٩٩	﴿أَجْعَلِ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ مُجَابٌ﴾ ٦٥	٦٥	١٠٠
٣٠٠	﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ ٦٦	٦٦	٣١١
٣٠١	﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ ٦٧ ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ ٦٨ ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَسْتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ ٦٩	٦٧-٦٨	١٢٧

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
٣٠٢	﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾	٢٧-٢٨	١٢٣
٣٠٣	﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾﴾	٢٧	٣٢٢، ١١٨، ٤٨
٣٠٤	﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾	٢٨	١٦١، ١١٨
٣٠٥	﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾﴾	٢٩	٥٤

٣٩- سورة الزمر

٣٠٦	﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٤﴾﴾	٣-١	٤١
٣٠٧	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٤﴾﴾	٣-٢	٣٤
٣٠٨	﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ	٤-٣	٧١

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
	يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَخْطَفْنِي مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾		
٣٠٩	﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَانزَلَ لَكُمْ مِنْ الْأَنْعَامِ ثَمِينَةَ أَنْزَجَ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٥﴾﴾	٦	١٥٦
٣١٠	﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾	٩	٢٠١
٣١١	﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطُّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾	١٧-١٨	٤٩
٣١٢	﴿وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾	١٨	٤٩
٣١٣	﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٢٨﴾﴾	٣٨	١٠١، ١٠٧
٣١٤	﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ﴿٢٩﴾﴾	٤٤	٣٥
٣١٥	﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٥﴾﴾	٦٥	٢٠، ٧١

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
٣١٦	﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾	٦٧	٦٥

٤٠- سورة غافر

٣١٧	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٦٨﴾ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَئِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾	٥٦-٥٧	١٢٤
٣١٨	﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَئِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾﴾	٥٧	١٢٥
٣١٩	﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَئِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧١﴾﴾	٥٩	١٢٤
٣٢٠	﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا ﴿٧٢﴾﴾	٦٤	١٥٤

٤١- سورة فصلت

٣٢١	﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٧٣﴾﴾	١٢	١٥٢
٣٢٢	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْيَلُّ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِتْيَاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٧٤﴾ فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي	٣٧-٤٣	١٢٠

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
	أَحْيَاهَا لَمْحَى الْمَوْقِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَكَاثِبُونَ عَزِيزٌ ﴿٣٨﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطُلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٣٩﴾ مَا يَقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّنَا لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٠﴾		
٣٢٣	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً إِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ أَهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمْحَى الْمَوْقِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٦﴾﴾	٣٩	١٦٦، ١٢١
٣٢٤	﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾	٤٤	١١٣
٣٢٥	﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٠﴾﴾	٤٦	٢٨

٤٢ - سورة الشورى

٣٢٦	﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾	١٣	٢٤٢
٣٢٧	﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْيًا بَيْنَهُمْ﴾	١٤	٢٧١
٣٢٨	﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ	١٧-١٨	١١٨

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
	﴿١٨﴾ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ		
٣٢٩	﴿١٩﴾ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ	٢٠	١٣٠

٤٣- سورة الزخرف

٣٣٠	﴿٢٠﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٢١﴾	٥٤	٣٣
٣٣١	﴿٢٢﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٣﴾	٥٩	٧٥
٣٣٢	﴿٢٤﴾ أَلَا خَلَاءُ يَوْمَئِذٍ يَعْضُفُ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٢٥﴾	٦٧	١٩٨

٤٥- سورة الجاثية

٣٣٣	﴿٢٦﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢٧﴾	٢١	١٦١
٣٣٤	﴿٢٨﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نُنْظَرُ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِينَ ﴿٢٩﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣١﴾	٣٢-٣٤	١٢٩

٤٦- سورة الأحقاف

٣٣٥	﴿٣٢﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ اتَّبِعْنِي يَكْتُوبْ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرِقْ مِّنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٣﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ	٦-٤	١١٠
-----	--	-----	-----

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
	الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦١﴾		
٣٣٦	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَّرِقَ مِنِّ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤١﴾﴾	٤	٨٢
٣٣٧	﴿وَمَن أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَن لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ ﴿٥٠﴾﴾	٥	٩٥ ، ٨٣
٣٣٨	﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦١﴾﴾	٦	٨٣
٣٣٩	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ بِقَدِيرٍ عَلَى أَن يَخْلُقَ الْمَوْتِ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٦﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٦﴾﴾	٣٤-٣٣	١٢٤

٤٧- سورة محمد

٣٤٠	﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾	١٩	٣٢١
٣٤١	﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانُ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾	٢٤-٢٢	١٨٥

٤٨- سورة الفتح

٣٤٢	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾	١٠	٣١١
٣٤٣	﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾	١٨	٣١١

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
٣٤٤	﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾	٢٩	٢٦٥

٤٩- سورة الحجرات

٣٤٥	﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاتَةً فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾	٩	١٨٢
٣٤٦	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾	١٠	٢٦٥، ٣٠٣
٣٤٧	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾	١١-١٢	٢٦٦
٣٤٨	﴿إِن أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْدَرُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾	١٣	٢٩٧

٥٠- سورة ق

٣٤٩	﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَاْفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ لَّءَاذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾﴾	٦-١	١٢٣
٣٥٠	﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾﴾	٦	١٥٢

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
٣٥١	﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَهَا﴾	٧	١٥٣
٣٥٢	﴿وَالنَّحْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رَزَقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾	١١-١٠	١٢٣

٥١- سورة الذاريات

٣٥٣	﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾﴾	٧	١٥٢
٣٥٤	﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾	٤٧	١٥١
٣٥٥	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾	٥٦	٧١ ، ٣٤

٥٢- سورة الطور

٣٥٦	﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ أَصَلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾	١٤-١٦	١٧٠
٣٥٧	﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عَنْدهُمْ خزائن رزق السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾	٣٥-٣٧	١٥٥
٣٥٨	﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾	٣٥-٣٦	٥٣
٣٥٩	﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾	٣٥	١١٣ ، ١٥٤ ، ٣٢٢

٥٣- سورة النجم

٣٦٠	﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾	٣٠	١٤٧
-----	--------------------------------------	----	-----

٥٥- سورة الرحمن

٣٦١	﴿وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾﴾	١٠	١٥٣
٣٦٢	﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿١٩﴾﴾	٢٩	١٠٢

٥٦- سورة الواقعة

٣٦٣	﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُ فَلَوْلَا نُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ ءَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ	٥٧-٦٢	١١٤
-----	---	-------	-----

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
	الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰ أَنْ بُدِّلَ امْتِلَاكُكُمْ وَنُنشِئْكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾		

٥٧- سورة الحديد

٣٦٤	﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾	٢٧	١٨١
-----	--	----	-----

٥٨- سورة المجادلة

٣٦٥	﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	٢٢	٢٦٧، ٢٣٧، ٢٦٧
-----	--	----	---------------

٥٩- سورة الحشر

٣٦٦	﴿وظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾	٢	١٥
٣٦٧	﴿وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ﴾	٣	٢٩٦
٣٦٨	﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾	٧	٢٥٦، ٢٤٢
٣٦٩	﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحْجَبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾	٩	٢٩٦
٣٧٠	﴿لَا يَقْتُلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَىٰ مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ ﴿١٤﴾﴾	١٤	١٦، ١٥
٣٧١	﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾	٢٠	١٦١

٦٠- سورة الممتحنة

٣٧٢	﴿لَا يَنْهَكُكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِينِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾	٨	٢٩٧
٣٧٣	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَاعِنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُسْرِكَنَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾	١٢	٣١١

٦١- سورة الصف

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
٣٧٤	﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَدِّتُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرْصُوصٍ﴾	٤	٢٨٦
٦٣- سورة المنافقون			
٣٧٥	﴿لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾	٧	٢٧٧
٦٤- سورة التغابن			
٣٧٦	﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾	٧	١٢٦
٦٥- سورة الطلاق			
٣٧٧	﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَهَا﴾	٧	١٩٦
٦٦- سورة التحريم			
٣٧٨	﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾	١٢	٧٥ ، ١٥
٦٧- سورة الملك			
٣٧٩	﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرْتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾	٤-٣	١٥٢
٣٨٠	﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ﴾	٣	٨٢
٣٨١	﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ﴾	٥	١٥٢
٣٨٢	﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾	١٤	١٩٦
٣٨٣	﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾	١٥	١٥٣
٣٨٤	﴿أَمَنْ هَذَا الَّذِي يَزُفُّكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾	٢١	١٠١
٣٨٥	﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾	٢٢	١٦٩
٣٨٦	﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾	٢٣	١٠٢

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
٣٨٧	﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءَامَنَّا بِهِ ؕ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾	٢٩	٤٣

٦٨- سورة القلم

٣٨٨	﴿فَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾	٣٥-٣٦	١٢٣
-----	--	-------	-----

٧٠- سورة المعارج

٣٨٩	﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْلَى ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى ﴿١٦﴾ تَدْعُوا مِّنْ أَذْبَرَ وَتَوَلَّى ﴿١٧﴾﴾	١٥-١٧	١٩٠
-----	---	-------	-----

٧١- سورة نوح

٣٩٠	﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾	١٣-١٤	١٥٦
٣٩١	﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾﴾	١٩	١٥٣
٣٩٢	﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٣٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٣٤﴾﴾	٢٣-٢٤	٧٤

٧٢- سورة الجن

٣٩٣	﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾	١٨	٣٥
-----	--	----	----

٧٣- سورة المزمل

٣٩٤	﴿رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾	٩	٤٣
-----	--	---	----

٧٤- سورة المدثر

٣٩٥	﴿إِنَّهُ فَكَرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾﴾	١٨	١٦
-----	---------------------------------	----	----

٧٥- سورة القيامة

٣٩٦	﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَن يُجْمَعَ عِظَامُهُ ﴿٢﴾ بَلَى قَدَرِين عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾﴾	٣-٨	١١٦
٣٩٧	﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَمَةِ ﴿١٠﴾ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿١١﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿١٢﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿١٣﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ إِنَّنِ الْمَفْرُوءُ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١٥﴾﴾	٦-١١	١١٧

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
٣٩٨	﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِّنْ مَّيِّ يُمْنٍ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾	٤٠-٣٦	١١٦
٣٩٩	﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾	٣٦	١٦٠
٤٠٠	﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾	٤٠	١٢١، ١١٥

٧٨-سورة النبأ

٤٠١	﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾﴾	٦	١٥٣
-----	---	---	-----

٧٩-سورة النازعات

٤٠٢	﴿فَحْشَرَفْنَا دَىٰ ﴿١٢﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿١١﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿١٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَنِ يَخْشَىٰ ﴿١٦﴾﴾	٢٦-٢٣	٣٣
٤٠٣	﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿١١﴾﴾	٢٤	٣٣
٤٠٤	﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿١٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَنِ يَخْشَىٰ ﴿١٦﴾﴾	٢٦-٢٥	٣٣
٤٠٥	﴿إِنَّمَا أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءَ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيَهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنعِمَ كُرُّ ﴿٣٣﴾﴾	٣٣-٢٧	١٢٥
٤٠٦	﴿إِنَّمَا أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءَ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيَهَا ﴿٢٨﴾﴾	٢٨-٢٧	١٥٢
٤٠٧	﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾	٤١-٤٠	٩٠

٨٠-سورة عبس

٤٠٨	﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعَبَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلَبًا ﴿٣٠﴾﴾	٣٠-٢٧	١٠١
-----	--	-------	-----

م	طرف الآية	رقم	رقم الصفحة
٨٣- سورة المطففين			
٤٠٩	﴿أَلَا يَنْظُرُ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾	٦-٤	١٩٠
٨٨- سورة الغاشية			
٤١٠	﴿وَالِى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٥﴾﴾	٢٠	١٥٣
٩١- سورة الشمس			
٤١١	﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَدَهَا ﴿٥﴾﴾	٥	١٥٢
٩٨- سورة البينة			
٤١٢	﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾	٥-٤	٤١
٤١٣	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾	٦	٥٧
١١٢- سورة الإخلاص			
٤١٤	﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾	٤-١	٧٨

٢- فهرس الأحاديث

م	طرف الحديث	الصفحة
١	«...أسماء رجال صالحين من قوم نوح»	٧٤
٢	«...وكلمة حق عند سلطان جائر»	٢٦٢
٣	«أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم!»	٢٣٩
٤	«أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم، دعوها فإنها مُنتنة»	٢٥٧
٥	«أخموا ظهورنا، فإن رأيتُمونا نُقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتُمونا غنمنا فلا تشركونا»	٢٨٥
٦	«أخرجوا بسم الله، قاتلوا في سبيل الله من كفر بالله، لا تغدروا ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع»	٢١٤
٧	«إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم»	٣١٠
٨	«أرم فداك أبي وأمي»	٢٧٧
٩	«اسمع وأطع وإن كان عبداً مُجذع الأطراف»	٢٥٠
١٠	«اسمعوا لهم وأطيعوا في عسركم ويسركم، ومنشطكم ومكرهكم، وأثرة عليكم، ولا تنازعوا الأمر أهله، وإن كان لكم»	٣١٨
١١	«اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة»	١٨٤
١٢	«اسمعوا وأطيعوا، وإن أمر عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة»	٢٥٨
١٣	«اغزوا بسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً»	٢١٤
١٤	«اقرأوا القرآن ما ائتلف عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا»	٢٤٢
١٥	«اقرأوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فيه فقوموا»	٢٥١
١٦	«اكتب يا علي: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله»	٢٢١
١٧	«ألا تباعوني على الإسلام»	٣٠٩
١٨	«ألم أزوجك؟ ألم أكرمك؟ ألم أسخر لك الخيل والإبل، وأدرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى، يا رب، فيقول: أفظننت أنك مُلاقي؟ فيقول: لا، فيقول الله تعالى: فإني أنساك كما نسيتني»	١٢٩
١٩	«أما يا علي، اللهم إني أعلم أني رسول الله، أما يا علي، واكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله»	٢٢١
٢٠	«أمركم بثلاث وأنهاكم عن ثلاث، أمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وتسمعوا وتطيعوا لمن ولّاه الله أمركم، وأنهاكم عن قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»	٢٤٤
٢١	«إن إبليس يضغ عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئاً، قال: ثم	٢٤٨

م	طرف الحديث	الصفحة
	يحيى أحدُهم فيقول: ما تركته حتى فرقتُ بينه وبين امرأته قال: فيُدينه منه ويقول: نعم أنت»	
٢٢	«إن الذين يُسر ولن يُشادَ الذين أحد إلا غلبه»	١٩٥
٢٣	«إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنزع من شيء إلا شانه»	١٧٩
٢٤	«إن الله تعالى لا يجمع أمتي على ضلالة، ويدُ الله على الجماعة»	٢٤٤
٢٥	«إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»	٢٠٢
٢٦	«إن الله يُحب العبد التقي الغنيّ الخفي»	٢٧٧
٢٧	«إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»	٢٦٠
٢٨	«إن المنبت لا أرضاً قطع»	١٩٦
٢٩	«أن النبي ﷺ كان إذا قدم من سفر فأبصر درجات المدينة أوضع ناقته»	٢٩٨
٣٠	«إن تفرقكم في هذه الشُعابِ والأوديةِ إنما ذلكم من الشيطان»	٢٥٢
٣١	«أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ يُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، وَكَانَ الرَّجُلُ يَتَقَالُهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّمَا لَتَعْدِلُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ»	٧٨
٣٢	«إن قومًا كانوا أهل ضعف ومسكنة، قاتلهم أهل تجبر وعداء، فأظهر الله أهل الضعف عليهم، فعمدوا إلى عدوهم فاستعملوهم وسلطوهم فأسخطوا الله عليهم إلى يوم يلقونه»	٢١٥
٣٣	«إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس»	١٨٠
٣٤	«إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول والقدر»	١٧٩
٣٥	«إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله - ﷻ -!»	١٧٦
٣٦	«انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك من حُمُر النعم»	١٩٤
٣٧	«إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت»	٢٩٨
٣٨	«إنما الطاعة في المعروف»	٢٥٩
٣٩	«إنما يُعنتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين»	١٩٥
٤٠	«إني خرجتُ لأخبركم بليلةِ القدر، وإنه تلاخى فلانٌ وفلانٌ فرُفعت»	٢٤٥
٤١	«إني لأعلم كلمة لا يقولها أحد عند موته إلا كانت نوراً لصحيفته، وإن جسده وروحه ليجدان لها روحاً عند الموت»	٩٠
٤٢	«أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين	٢٢٦

م	طرف الحديث	الصفحة
	الراشدين، تمسكوا بها وعصوا عليها بالتواجد، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»	
٤٣	«أوفوا ببيعة الأول فالأول، وأعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم»	٢٥٩
٤٤	«أينما امرئ قال لأخيه يا كافر فقد باء بما أحدهما إن كان كما قال وإلا رجعت إليه»	٢٣
٤٥	«بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم -أو نقول- بالحق حيثما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم»	١٨٣
٤٦	«بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة، في منشطنا ومكرهنا، وأثرة علينا، وألا ننازع الأمر أهله»	٢٦
٤٧	«بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ»	١٩٥
٤٨	«البيعة عبارة عن المعاهدة والمعاهدة، كأن كل واحد منهما باع ما عنده من صاحبه، وأعطاه خالصة نفسه، وطاعته، ودخيلة أمره»	٢٥
٤٩	«تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً كتاب الله وسنة نبيه»	٢٦١
٥٠	«ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم... وذكر منهم: ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلا لدنيا: إن أعطاه منها رضي، وإن منعه سخط»	٣١٨
٥١	«ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة وهي الجماعة»	٢٣٣
٥٢	«جلد ظهرك وأخذ مالك»	١٨٤
٥٣	«الجماعة رحمة، والفرقة عذاب»	٢٤٥
٥٤	«خُدَّاءُ الْأَسْنَانِ، سَفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيْمَانَهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنْ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»	٢١٦
٥٥	«خُلُوهُ، لِيُصَلَّ أَحَدُكُمْ نَشَاطُهُ فَإِذَا كَسَلَ أَوْ فُتِرَ قَعْدَ»	١٧٧
٥٦	«خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فَقَرَأَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ حَتَّى خَتَمَهَا»	٧٨
٥٧	«دَعَوْهَا فَإِنَّمَا مُنْتَنَةٌ»	٢٨٨
٥٨	«الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»	٣٠١
٥٩	«السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»	٢٥٨
٦٠	«السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية»	٣٠١
٦١	«سمعت النبي يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمَّا خُلُقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمَّهُمُ الْخُلُقُونَ﴾ ٣٥ أَمَّا خُلُقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ٣٦ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُضَيِّطُونَ﴾ ٣٧ [سورة الطور: ٣٥-٣٧] كاد قلبي أن يطير»	١٥٥

م	طرف الحديث	الصفحة
٦٢	«سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة»	٢٠٧
٦٣	«سليكم بعدي ولادة، فيليكم البر بربه والفاجر بفجوره، فاسمعوا لهم وأطيعوا في كل ما وافق الحق واصلوا وراءهم فإن أحسنوا فلكم ولهم وإن أساءوا فلكم وعليهم»	٢٥٨
٦٤	«شر القتلى تحت أديم السماء»	١٨٧
٦٥	«شر قتلى قُتلوا تحت أديم السماء»	٢٠٨
٦٦	«صُبُّوا على بول الأعراي سداً من الماء»	١٧٩
٦٧	«طلب العلم فريضة على كل مسلم»	٢٠١
٦٨	«عليك السمع والطاعة، في عُسرِكَ ويُسرِكَ، وَمَنشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ، وأثرة عليك»	٢٥٩
٦٩	«عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة؛ فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد»	٢٤٨
٧٠	«عليكم بالسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي»	٣١٢
٧١	«فاجتمعوا على طعامكم، واذكروا اسم الله عليه يُبارك لكم فيه»	٢٥٢
٧٢	«فإذا سألتهم الله فسلوه الفردوس؛ فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة»	٢٩٤
٧٣	«فإن الله لا يمل حتى تملوا»	١٧٧
٧٤	«فإن المُنْبِتَ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى»	١٩٦
٧٥	«فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم»	٢٨٣
٧٦	«فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية»	٢٥٠
٧٧	«فإنه من يعيش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعصوا عليها بالنواجز»	٢٣٤
٧٨	«فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة»	١٨٧
٧٩	«فصم صيام داود -ﷺ- ولا تزد عليه»	١٧٨
٨٠	«فضل العلم خير من فضل العبادة»	٢٠١
٨١	«فلا تفعل، صم وأفطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً وإن لزورك عليك حقاً، وإن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام»	١٧٨
٨٢	«فلعلكم تفرقون؟»	٢٥٢
٨٣	«فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»	٢٠٠
٨٤	«فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم»	٢٦٥
٨٥	«فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذِينَ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذِينَ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذِينَ حَتَّى يَصْطَلِحَا»	٢٥٢

م	طرف الحديث	الصفحة
٨٦	«قال الله: كذَّبني ابن آدم، ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، أمَّا تكذيبه إياي أن يقول: إني لن أعيده كما بدأته، وأمَّا شتمه إياي أن يقول: اتَّخذ الله ولداً وأنا الصمد الذي لم ألد ولم أُولد، ولم يكن لي كفواً أحدٌ»	١٧٠
٨٧	«كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي وسيكون خلفاء فيكثرون»	٢٥٩
٨٨	«كلاب أهل النار»	٢٠٨
٨٩	«كَلِمَاتُ مُحْسِنٍ، وَلَا تَخْتَلِفُوا؛ فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا»	٢٨٤
٩٠	«كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم»	٩٦
٩١	«كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»	١٤٠
٩٢	«لا تختلفوا فتختلف قلوبكم»	٢٤٨، ٢٤٢
٩٣	«لا تختلفوا؛ فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا»	٢٤٧
٩٤	«لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»	٢٠٥
٩٥	«لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ فإنما أنا عبد؛ فقولوا: عبد الله ورسوله»	٧٤
٩٦	«لا تقطعوا على الأعراي بولته»	١٧٩
٩٧	«لا تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من أمي بالمشركين، وحتى تعبد فنام من أمي الأوثان»	٣٦
٩٨	«لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني؛ والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»	٢٣
٩٩	«لا، ما أقاموا فيكم الصلاة»	١٨٣
١٠٠	«لَتَسُوِّنَّ صُفُوفَكُمْ أَوْ لِيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وَجُوهِكُمْ»	٢٥٢
١٠١	«لنزول الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم»	١٨٩
١٠٢	«لم أقل شيئاً من ذلك»	١٠٥
١٠٣	«لن يُشَادَ الدين أحد إلا غلبه»	١٩٦
١٠٤	«اللهم إني أعوذ بك من أن أشرك بك شيئاً أعلمه، وأستغفرك لما لا أعلمه»	٤٤
١٠٥	«اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون»	٧٧
١٠٦	«لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتبكوا في دم مؤمن لأكبههم الله في النار»	١٩٠
١٠٧	«ليأتين على أمي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، وإن بني إسرائيل تفرقت اثنتين وسبعين ملة، وتفرق أمي على ثلاث وسبعين، كلهم في النار إلا واحدة، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي»	٢٤٣
١٠٨	«ليس كما تظنون؛ إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِبْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة لقمان: ١٣]»	٨٨
١٠٩	«لئن أنا أدركتهم لأقتلهم قتل عاد»	١٨٧

م	طرف الحديث	الصفحة
١١٠	«ما أنا عليه وأصحابي»	٢٣٤
١١١	«ما بال أقوام قالوا كذا وكذا، لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني»	١٧٨
١١٢	«ما بال دعوى الجاهلية! دعوها فإنها ممتنة»	٢٥٣
١١٣	«ما لي أراكم عزين»	٢٥١
١١٤	«ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة، إلا قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليك بالجماعة؛ فإنما يأكل الذنب القاصية»	٢٥١
١١٥	«ما هذا الجبل؟»	١٧٧
١١٦	«مثلُ الجليس الصالح والجليس السوء كخامِلِ المسكِ ونافخِ الكبر؛ فخامِلُ المسكِ إما أن يُجذِبَكَ وإما أن تبتاعَ منه وإما أن تجدَ منه ريحاً طيبةً، ونافخُ الكبر إما أن يُحرِقَ ثيابَكَ وإما أن تجدَ ريحاً خبيثةً»	١٩٩
١١٧	«مثلُ الجليس الصالح والسوء، كخامِلِ المسكِ ونافخِ الكبر، فخامِلُ المسكِ، إما أن يُجذِبَكَ، وإما أن تبتاعَ منه، وإما أن تجدَ منه ريحاً طيبةً؛ ونافخُ الكبر، إما أن يُحرِقَ ثيابَكَ، وإما أن تجدَ ريحاً خبيثةً»	١٣٦
١١٨	«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد»	٢٧٦
١١٩	«مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»	٣٠٣
١٢٠	«المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»	٢٠٠
١٢١	«مُروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين»	١٤٠
١٢٢	«من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يُبده علانية، ولكن يأخذ بيده فيخلوا به فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أذى الذي عليه»	٢٦٢
١٢٣	«من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا»	٣٠٧
١٢٤	«من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني»	٢٥٩
١٢٥	«من خلع يداً من طاعة الله، لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»	٢٥١
١٢٦	«من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»	٢٥٩
١٢٧	«من دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جئاء جهنم»	٢٣٩
١٢٨	«من دعا رجلاً بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه»	٢٣
١٢٩	«من رأى من أمره شيئاً فكرهه فليصبر، فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً فيموت إلا مات ميتة جاهلية»	٢٥٩
١٣٠	«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»	٢٥٠

م	طرف الحديث	الصفحة
١٣١	«من كره من أميره شيئاً فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية»	٢٤٩
١٣٢	«من هذه؟»	١٧٧
١٣٣	«من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»	٢٠٢
١٣٤	«مه! عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا»	١٧٧
١٣٥	«المؤمن للمؤمن كالبيان يشد بعضه بعضاً»	٢٧٦
١٣٦	«نعم يمينك الله تعالى، ثم يبعثك، ثم يحشرك إلى النار»	١٦١
١٣٧	«هذا سبيل الله»	٢٣٧
١٣٨	«هذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ قوله ﷺ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٣].»	٢٣٧
١٣٩	«هلك المتنطعون»	١٩٦
١٤٠	«هم شر الخلق -أو من أشر الخلق- يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق»	٣٠٤
١٤١	«وإن صلى وصام، فادعوا بدعوة الله التي سماكم بها ربكم المسلمين والمؤمنين عباد الله»	٢٣٩
١٤٢	«وإنه من يعيش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعصوا عليها بالنواجز، وإياكم ومحدثات الأمور»	٢٥٦
١٤٣	«ولا ظهراً أبقي»	١٩٦
١٤٤	«ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله، اسمعوا له وأطيعوا»	٢٥٨
١٤٥	«وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً»	١٦٣
١٤٦	«ويحك من يعدل إن لم أعدل»	١٧٦
١٤٧	«يا ابن آدم لو لقيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لقيت بك بقرابها مغفرة ولا أبالي»	١٨٢
١٤٨	«يا عبادي إنكم لن تب لغوا ضري فتضروني ولن تب لغوا نفعي فتنتفعوني، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً ولا أبالي فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان منهم مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر»	١٤٥
١٤٩	«يا عبدالله ألم أخبر أنك تصوم النهار، وتقوم الليل»	١٧٨
١٥٠	«يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق الله؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله، ولينته»	١٣٧

م	طرف الحديث	الصفحة
١٥١	«يُخرج من ضئضى هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم، يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية»	١٧٦
١٥٢	«يُخرجون على حين فُرقة من الناس»	٢٤٩
١٥٣	«يسيراً ولا تُعسراً، وبشراً ولا تُنفراً، وتطاوعاً ولا تختليفاً»	٢٥١
١٥٤	«يمجد الرب نفسه: أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا العزيز، أنا الكريم» فرجف به المنبر حتى قلنا: ليخرن به «	٦٥
١٥٥	«يُنصب لكل غادر لواء يوم القيامة»	٢٣٥

٠٣- فهرس الآثار:

م	طرف الأثر	الصفحة
١	((إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع، وإن كان عبداً مجذع الأطراف))	٢٥٨، ٢٦٠
٢	((أن رجلاً سأل جابر بن عبد الله رضي الله عنه : هل كنتم تدعون أحداً من أهل القبلة مشركاً؟ قال: معاذ الله، ففرع لذلك قال: هل كنتم تدعون أحداً منهم كافراً؟ قال: لا))	٢٣
٣	((إنكم لعلى ملة هي أهدي من ملة محمد صلى الله عليه وسلم أو مفتتحوا باب ضلالة، قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير، قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه))	٢٣٥
٤	((إنما تُنْقَضُ عُرَى الإسلام عُروة عُروة؛ إذا نشأ في الإسلام من لا يعرفُ الجاهلية))	٤٤
٥	((دخلتُ على عثمان يوم الدار فقلت: جئتُ لأنصرك وقد طاب الضرب يا أمير المؤمنين، فقال: يا أبا هريرة، أيسرك أن تقتل الناس جميعاً وإياي معهم؟ قلت: لا، قال فإنك إن قتلت رجلاً واحداً فكأثماً قتلت الناس جميعاً، فرجعت فلم أُقاتل))	٢٢٨
٦	((دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعناه فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة، في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله))	٣١٧
٧	((سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم أن يصلى في منى ركعتين لا غير لكل صلاة رباعية))	٢٤٦
٨	((كاد قلبي أن يطير))	٥٣
٩	((كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني))	٤٤
١٠	((كلمة الإخلاص وهي الفطرة، والصلاة وهي الملة، والسمع والطاعة))	٣١٩
١١	((هم شرار الخلق انطلقوا إلى آيات أنزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين))	٢٠٦
١٢	((وجدت امرأة في بعض مغازي النبي صلى الله عليه وسلم مقتولة، فأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل النساء والصبيان))	٢١٤
١٣	((يا هذا، الخلاف شر، الخلاف شر، الخلاف شر))	٢٤٧

٤٠ - فهرس الأعلام:

م	العلم	الصفحة
١	ابن أبي العز	٢٢
٢	ابن أبي حاتم	١٥٦
٣	ابن القيم	٢٩٤، ١٩٩، ١٤٠، ٧٤
٤	ابن الوزير	١٥١
٥	ابن تيمية	١٥٤، ١٤٧، ٩١، ٤١، ٢١٨، ٢٠٦، ١٥٥، ٣٠٥، ٢٩٠، ٢٤٩، ٣١٨
٦	ابن جريج	١٦٤
٧	ابن جرير	٢٧٠، ١٩٤
٨	ابن حجر	٣١٦، ٢٩٨
٩	ابن رجب	٢٠٢
١٠	ابن زيد	٤٩
١١	ابن عثيمين	٢٦٣، ٢٣٧، ١٤٨، ٣١٤
١٢	ابن كثير	١٠١، ٨٨، ٥٨، ٣٣، ١٦٥، ١٦٤، ١٢٧، ١٨٦
١٣	ابن وهب	٤٩
١٤	أبو الحسن علي بن علاء الدين علي بن أبي عبد الله محمد بن شرف الدين أبي البركات محمد بن عز الدين أبي	٢٢
١٥	أبو الخير	٣١٥
١٦	أبو أمانة	٣١٨
١٧	أبو أمانة الباهلي	٣١٨
١٨	أبو بكر	٢٤٤

م	العلم	الصفحة
١٩	أبو بكر محمد بن الوليد بن بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري	٣١٣
٢٠	أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي	٢٣
٢١	أبو حاتم	١٥٦
٢٢	أبو حنيفة	٢٣٧، ١٤٧
٢٣	أبو ذرّ	٢٦٠، ٢٥٨، ٥٠
٢٤	أبو سعيد	٣١٠، ٣٠٤، ٧٨
٢٥	أبو عبيد القاسم بن سلامّ الهروي الأزدي الخزاعي	٢٢٢
٢٦	أم الحصين بنت إسحاق الأحمية	٢٥٨
٢٧	أيوب السختياني	٢١٨
٢٨	البخاري	١٥٥، ١٣٦، ٧٨ ٢٣٥، ٢٢٣، ١٨٠ ٢٧٤
٢٩	البدوي	١٩
٣٠	بريدة بن الحبيب بن عبد الله بن الحارث الأسلمي	٢١٤
٣١	البصري	٢٥٧، ٢٠٣
٣٢	بكر بن عبد الله بن محمد بن أبوزيد	٢٣٨
٣٣	توماس	١٦٨
٣٤	الثوري	٢٣٧
٣٥	جابر بن سمرة	٢٥١
٣٦	جابر بن عبد الله	٢٣
٣٧	جبير بن مطعم	١٥٥، ٥٣
٣٨	جرير	٢٧٠، ١٩٤
٣٩	الحارث بن الحارث الأشعري	٢٣٩
٤٠	حافظ بن أحمد حكيمي	١١٨
٤١	الرازي	١٥٥
٤٢	زيد بن عمرو	٥٠

م	العلم	الصفحة
٤٣	سارية	٢٣٤ ، ٢٢٦
٤٤	السدي	١٦١
٤٥	السعدي	٣٩ ، ٣١ ، ٢٨ ، ٢١ ٨٤ ، ٧٦ ، ٧٢ ، ٦٦ ١٢٥ ، ١١٠ ، ٩٦ ، ٨٦ ١٣٥ ، ١٣٧ ، خطأ! الإشارة المرجعية غير معروفة. ، ١٤٣ ، ١٤٣ ١٤٩ ، ١٥٧ ، ٢٠٤ ٢٠٥ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ٢٧٦ ، ٢٨٠
٤٦	سعيد بن جبير	٢٢٨
٤٧	سعيد بن جبير بن هشام	٢٢٨
٤٨	سفيان الثوري	٢٣٧
٤٩	سلمان الفارسي	٥٠
٥٠	الشعبي	٢٣٣ ، ٢١٨
٥١	الشنقيطي	١٢٨ ، ١١٥ ، ٨٠ ، ٥٤
٥٢	صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ	٢٣٩
٥٣	صالح بن فوزان الفوزان	٢٤٠
٥٤	صلاح الدين	٣٢٣ ، ٢٨٦ ، ٢١٨
٥٥	الطبري	٢٣٢ ، ٦٣ ، ٥٨ ، ٤٨
٥٦	عاص بن وائل	١٦١
٥٧	عاصم بن عبد الله بن إبراهيم القريوتي	٢١٥
٥٨	عامر بن سعد	٢٧٧
٥٩	عبادة بن الصامت	٣١٧ ، ٢٥٨
٦٠	عبد الرحمن بن حسن	٣١٢
٦١	عبد الرزاق بن عبد المحسن بن حمد العباد البدر	١٩٩

م	العلم	الصفحة
٦٢	عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل ابن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود	٢٧٠
٦٣	عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني	٩٤
٦٤	عبد الله بن خباب بن الأرت	٢٢٥
٦٥	عبد الله بن عدي	٢٩٧
٦٦	عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني	٣١٧
٦٧	عبد العزيز بن باز	١٣٣
٦٨	عبدالرزاق جمال الدين	١١٦
٦٩	عبدالرزاق عفيفي عطية	٢٥
٧٠	عبدالله بن علي الصّعدي القصيمي	١٣٦
٧١	عبدالله بن محمد الغنيمان	٢٤٨
٧٢	عبدالمحسن بن محمد بن عبد الرحمن آل قاسم	٢٤٧
٧٣	العرياض بن سارية	٢٣٤، ٢٢٦
٧٤	عروة بن الزبير	١٦١
٧٥	عطاء الخراساني	١٦٤
٧٦	عطاء بن أبي رباح	٢١٢
٧٧	عطاء بن يسار	٣١٩
٧٨	عطية بن سعد بن جنادة العوفي	٢٢٨
٧٩	عكرمة بن أبي جهل	٩٢
٨٠	عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر	٦٠
٨١	عمرو بن الجموح	٩٩
٨٢	عمرو بن معد يكرب	٩٢
٨٣	عمرو بن شعيب	١٤٠
٨٤	الفخر الرازي	١٥٥
٨٥	القرطبي	٣١٦، ٣١١، ١٥٩
٨٦	مجاهد بن جبر	٣٩
٨٧	محمد الأمين الشنقيطي	٢٩

م	العلم	الصفحة
٨٨	محمد البشير بن محمد بن عمر الإبراهيمي	٢٧٨
٨٩	محمد بن إبراهيم آل الشيخ	٢٦٣
٩٠	محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف الشيخ	٢٦٣
٩١	معبد الجهني	٢٣٤
٩٢	مقاتل بن حيان	٢١٤
٩٣	هشام بن عبد الملك	٢٧٢
٩٤	الهيثمي	٣١٦
٩٥	الواحدي	٢٩٦
٩٦	يحيى بن يعمر	٢٣٤
٩٧	يزيد بن معاوية	٢٣٥

المصادر

- ١- آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، جمع وتقديم: نجله الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٩٩٧
- ٢- أحكام القرآن، أبو محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم المعروف بابن الفرس الأندلسي (المتوفى: ٥٩٧ هـ)، تحقيق الجزء الأول: د، طه بن علي بو سريح، تحقيق الجزء الثاني: د، منجية بنت الهادي النفري السواحي، تحقيق الجزء الثالث: صلاح الدين بو عفيف، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
- ٣- اختصار علوم الحديث، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة: الثانية
- ٤- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت
- ٥- أسد الغابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت، عام النشر: ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م
- ٦- أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، سنة النشر: ١٤١٥هـ-١٩٩٤ م
- ٧- أصول الفقه، محمد الخضري بك، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، (١٣٨٩هـ-١٩٦٩م).
- ٨- أصول الفقه، محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٧٦٣هـ)، حققه وعلق عليه وقدم له: الدكتور فهد بن محمد السدحان، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- ٩- أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة، سعود بن عبد العزيز الخلف، الطبعة: ١٤٢٠هـ-١٤٢١هـ
- ١٠- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان، عام النشر: ١٤١٥ هـ-١٩٩٥م
- ١١- إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م

- ١٢- إعلام الموقعين عن رب العالمين، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)، قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، شارك في التحرير: أبو عمر أحمد عبد الله أحمد، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.
- ١٣- إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ-١٩٩١ م
- ١٤- إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية
- ١٥- إكمال الإكمال، (تكملة لكتاب الإكمال لابن ماكولا)، محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع، أبو بكر، معين الدين، ابن نقطة الحنبلي البغدادي (المتوفى: ٦٢٩ هـ)، المحقق: د. عبد القيوم عبد ريب النبي، الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ]]
- ١٦- الآثار، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبة الأنصاري (المتوفى: ١٨٢ هـ)، المحقق: أبو الوفا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت
- ١٧- الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفى: ٦٣١ هـ)، المحقق: عبد الرزاق عفيفي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان
- ١٨- الإخوان، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١ هـ)، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ-١٩٨٨
- ١٩- الآداب، للبيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجدي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨ هـ)، اعتنى به وعلق عليه: أبو عبد الله السعيد المندوه، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨ م
- ٢٠- الأدب المفرد، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦ هـ)، تحقيق: علي عبد الباسط مزيد، وعلي عبد المقصود رضوان، الناشر: مكتبة الخانجي - مصر، الطبعة: الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
- ٢١- الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦ هـ)، حققه وقابله على أصوله: سمير بن أمين الزهيري، مستفيدا من تخریجات وتعليقات العلامة الشيخ المحدث: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ-١٩٩٨ م
- ٢٢- الأدب، لابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥ هـ)، المحقق: د. محمد رضا القهوجي، الناشر: دار البشائر الإسلامية، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ-١٩٩٩ م

- ٢٣- الاستذكار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١-٢٠٠٠.
- ٢٤- الاستقامة، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣.
- ٢٥- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجليل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ-١٩٩٢ م.
- ٢٦- الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ.
- ٢٧- الاعتقاد، أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد (المتوفى: ٥٢٦هـ)، المحقق: محمد بن عبد الرحمن الخميس، الناشر: دار أطلس الخضراء، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ-٢٠٠٢.
- ٢٨- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الناشر: دارالعلم للملایین، الطبعة: الخامسة عشر - أيار - مايو ٢٠٠٢م].
- ٢٩- الإكمال في ذكر من له رواية في مسند الإمام أحمد من الرجال سوى من ذكر في تهذيب الكمال، شمس الدين أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني الدمشقي الشافعي (المتوفى: ٧٦٥هـ)، حققه ووثقه: د عبد المعطي أمين قلعجي، الناشر: منشورات جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي - باكستان (يطبع لأول مرة عن نسختين خطيتين مع استدراقات الحافظ ابن حجر عليه)
- ٣٠- الإكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، سعد الملك، أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر بن مأكولا (المتوفى: ٤٧٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١١هـ- ١٩٩٠م]
- ٣١- الأمثال، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)، المحقق: الدكتور عبد المجيد قطامش، الناشر: دار المأمون للتراث، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ هـ-١٩٨٠ م.
- ٣٢- الأمثال، زيد بن عبد الله بن مسعود بن رفاع، أبو الخير الهاشمي (المتوفى: بعد ٤٠٠هـ)، الناشر: دار سعد الدين، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.
- ٣٣- الأموال، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)، المحقق: خليل محمد هراس، الناشر: دار الفكر. - بيروت.
- ٣٤- الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (المتوفى: ٣١٩هـ)، تحقيق: أبو حماد صغير أحمد بن محمد حنيف، الناشر: دار طيبة - الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى - ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥ م.

٣٥- الأولياء، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، المحقق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة: الأولى،

١٤١٣

٣٦- الإيمان، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الثانية، ١٩٨٣م

٣٧- الإيمان، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الرابعة - ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، تحقيق: خراج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني

٣٨- الإيمان، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحارثي الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، الطبعة: الخامسة، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م

٣٩- الإيمان، لابن منده، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده العبدي (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ [

٤٠- الإيمان "ومعالمه، وسننه، واستكمالها، ودرجاته"، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى:

٢٢٤هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م

٤١- الإيمان "ومعالمه، وسننه، واستكمالها، ودرجاته"، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى:

٢٢٤هـ)، المحقق: محمد نصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ-

٢٠٠٠م

٤٢- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كنير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ-١٩٩٧ م، سنة النشر: ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م

٤٣- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كنير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٠٨، هـ-١٩٨٨ م.

٤٤- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت

٤٥- البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)، المحقق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، الناشر:

دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض-السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م

٤٦- البر والصلة، (عن ابن المبارك وغيره)، أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن حرب السلمى المروزي (المتوفى: ٢٤٦هـ)، المحقق: د. محمد سعيد بخاري، الناشر: دار الوطن - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٩

- ٤٧- البر والصلة، لابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق وتعليق وتقديم: عادل عبد الموجود، علي معوض، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م
- ٤٨- البلدان، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني المعروف بابن الفقيه (ت ٣٦٥)، المحقق: يوسف الهادي، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م
- ٤٩- التاريخ الكبير، المعروف بتاريخ ابن أبي خيثمة، أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: صلاح بن فححي هلال، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م
- ٥٠- التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، ووضع حواشيها: الشيخ محمود محمد خليل، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن، وهو الكتاب المقصود عند إطلاق الاسم.
- ٥١- التحرير والتنوير، = تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ
- ٥٢- التحرير والتنوير = تفسير ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، ط ١: ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م.
- ٥٣- الترغيب والترهيب، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: ٥٣٥هـ)، المحقق: أيمن بن صالح بن شعبان، الناشر: دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الأولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م]
- ٥٤- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة.
- ٥٥- التوحيد، (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الأول)، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التيمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، المحقق: عبد العزيز بن عبد الرحمن السعيد وغيره، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- ٥٦- التوحيد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٣ هـ.
- ٥٧- التوحيد، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقق: د. فتح الله خليف، الناشر: دار الجامعات المصرية - الإسكندرية.
- ٥٨- التوحيد لله عز وجل، لعبد الغني بن عبد الواحد المقدسي، عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الجماعيلي الدمشقي الحنبلي، أبو محمد، تقي الدين (المتوفى: ٦٠٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: مصعب بن عطا الله الحايك، الناشر: دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

- ٥٩- التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهبان، الناشر: مكتبة الرشد - السعودية - الرياض، الطبعة: الخامسة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م
- ٦٠- الجاسوس على القاموس، أحمد فارس أفندي، صاحب الجوائب، مطبعة الجوائب - قسطنطينية، سنة النشر ١٢٩٩ هـ
- ٦١- الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
- ٦٢- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: د. محمود الطحان، الناشر: مكتبة المعارف - الرياض.
- ٦٣- الجامع لعلوم الإمام أحمد - الفقه، الإمام: أبو عبد الله أحمد بن حنبل، خالد الرباط، سيد عزت عيد [بمشاركة الباحثين بدار الفلاح]، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم - جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م (هذا القسم هو الأجزاء ٥ - ١٣ من الكتاب)
- ٦٤- الجامع، (منشور كملحق بمصنف عبد الرزاق)، معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاها، أبو عروة البصري، نزيل اليمن (المتوفى: ١٥٣هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ.
- ٦٥- الجامع، أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي (المتوفى: ١٩٧هـ)، المحقق: الدكتور رفعت فوزي عبد المطلب - الدكتور علي عبد الباسط مزيد، الناشر: دار الوفاء، الطبعة: الأولى ١٤٢٥ هـ-٢٠٠٥ م
- ٦٦- الجمعة، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، المحقق: أبو هاجر محمد السعيد زغلول، الناشر: مكتبة التراث الإسلامي، الطبعة: (بدون)
- ٦٧- الجهاد، لابن أبي عاصم، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)، المحقق: مساعد بن سليمان الراشد الجميد، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩
- ٦٨- الجهاد، لابن المبارك، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المروزي (المتوفى: ١٨١هـ)، حققه وقدم له وعلق عليه: د. نزيه حماد، الناشر: الدار التونسية - تونس، تاريخ النشر: ١٩٧٢م
- ٦٩- الخطب المنبرية، (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الثاني عشر)، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، المحقق: صالح بن عبد الرحمن الأطرم، محمد بن عبد الرزاق الدويش، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.

- ٧٠- الدرة المضئية في القراءات الثلاث المتممة للعشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)، المحقق: محمد تميم الزعبي، الناشر: دار الهدى، الطبعة: الثانية، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م
- ٧١- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، علماء نجد الأعلام، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة: السادسة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م
- ٧٢- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: مراقبة محمد عبد المعيد ضان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر اباد/ الهند، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م
- ٧٣- الديات، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)، الناشر: إدارة القرآن والعلوم الإسلامية - كراتشي
- ٧٤- الرسالة التبوكية، أو زاد المهاجر إلى ربه، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: د. محمد جميل غازي، الناشر: مكتبة المدني - جدة
- ٧٥- الرسالة، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلب القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، المحقق: أحمد شاكر، الناشر: مكتبة الحلبي، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٨ هـ - ١٩٤٠ م
- ٧٦- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، سنة النشر: (١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م).
- ٧٧- الزهد، أبو السري هناد بن السري بن مصعب بن أبي بكر بن شبر بن صعفوق بن عمرو بن زرة بن عدس بن زيد التميمي الدارمي الكوفي (المتوفى: ٢٤٣هـ)، المحقق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦
- ٧٨- الزهد، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)، المحقق: عبد العلي عبد الحميد حامد، الناشر: دار الريان للتراث - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨
- ٧٩- الزهد، أبو سعيد أسد بن موسى بن إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الأموي القرشي الملقب بأسد السنة (المتوفى: ٢١٢هـ)، المحقق: أبو اسحق الحويني الأثري، الناشر: مكتبة التوعية الإسلامية لإحياء التراث الإسلامي، مكتبة الوعي الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م
- ٨٠- الزهد، أبو سفيان وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي بن فرس بن سفيان بن الحارث بن عمرو ابن عبيد بن رؤاس الرؤاسي (المتوفى: ١٩٧هـ)، حققه وقدم له وخرج أحاديثه وآثاره: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، الناشر: مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

- ٨١- السراج الوهاج على متن المنهاج، العلامة محمد الزهري الغمراوي (المتوفى: بعد ١٣٣٧هـ)، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت
- ٨٢- السنة، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال البغدادي الحنبلي (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: د. عطية الزهراني، الناشر: دار الراية - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.
- ٨٣- السنة، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠
- ٨٤- السنة، أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي (المتوفى: ٢٩٠هـ)، المحقق: د. محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، الناشر: دار ابن القيم - الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م
- ٨٥- السنة، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي (المتوفى: ٢٩٤هـ)، المحقق: سالم أحمد السلفي، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨
- ٨٦- السنة، لأبي بكر أحمد بن عمرو، المعروف بابن أبي عاصم (ت ٢٨٧هـ)، المحقق: باسم بن فيصل الجوابرة، الناشر: دار الصميعي - الرياض، ط ١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- ٨٧- السنة (ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة بقلم: محمد ناصر الدين الألباني)، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م
- ٨٨- السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلي، أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م
- ٨٩- السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجدي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م
- ٩٠- السياسة الشرعية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.
- ٩١- السيرة النبوية، (من البداية والنهاية لابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، عام النشر: ١٣٩٥هـ-١٩٧٦م
- ٩٢- الشريعة، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري البغدادي (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميحي، الناشر: دار الوطن - الرياض، السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م

٩٣- الصلاة، أبو نعيم الفضل بن عمرو بن حماد بن زهير بن درهم القرشي التيمي بالولاء الملائي، المعروف بابن دكين (المتوفى: ٢١٩هـ)، المحقق: صلاح بن عايض الشلاحى، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م]

٩٤- الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (المتوفى: ٩٧٤هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي - كامل محمد الخراط، الناشر: مؤسسة الرسالة - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م

٩٥- الصيام، أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض الفريابي (المتوفى: ٣٠١هـ)، المحقق: عبد الوكيل الندوي، الناشر: الدار السلفية - بومباي، الطبعة: الأولى، ١٤١٢

٩٦- الضعفاء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، المحقق: فاروق حمادة، الناشر: دار الثقافة - الدار البيضاء، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ - ١٩٨٤

٩٧- الضوء اللامع المبين عن مناهج المحدثين، أحمد محرم الشيخ ناجي، الناشر: -، الطبعة: الخامسة

٩٨- الطبقات الكبرى، = لوافح الأنوار في طبقات الأخيار، عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي، نسبه إلى محمد ابن الحنفية، الشعرائي، أبو محمد (المتوفى: ٩٧٣هـ)، الناشر: مكتبة محمد المليجي الكتبي وأخيه، مصر، عام النشر: ١٣١٥هـ

٩٩- الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م

١٠٠- الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٦٨م

١٠١- الطهارة، (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الثالث)، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، المحقق: صالح بن عبد الرحمن الأطرم، محمد بن عبد الرزاق الدويش، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٠٢- العلل، علي بن عبد الله بن جعفر السعدي بالولاء المدني، البصري، أبو الحسن (المتوفى: ٢٣٤هـ)، المحقق: محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٨٠

١٠٣- العلم، أبو خيثمة زهير بن حرب النسائي (المتوفى: ٢٣٤هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ - ١٩٨٣

١٠٤- العلم، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، المحقق: صلاح الدين محمود، الناشر: مكتبة نور الهدى

١٠٥- العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال

- ١٠٦- الغرباء، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري البغدادي (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: بدر البدر، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣
- ١٠٧- الفتاوى الكبرى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، دراسة وتحقيق: حسين محمد مخلوف، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
- ١٠٨- الفتن، أبو عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي (المتوفى: ٢٢٨هـ)، المحقق: سمير أمين الزهيري، الناشر: مكتبة التوحيد - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٢
- ١٠٩- الفتن، أبو علي حنبل بن إسحاق بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، المحقق: عامر حسن صبري، الناشر: دار البشائر الإسلامية - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م
- ١١٠- الفتن، لأبي عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي (ت ٢٢٨هـ)، المحقق: سمير أمين الزهيري، الناشر: مكتبة التوحيد - القاهرة، ط ١، ١٤١٢هـ.
- ١١١- الفرق، أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان الجشمي السجستاني (المتوفى: ٢٤٨هـ)، المحقق: حاتم صالح الضامن، الناشر: مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد ٣٧، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م
- ١١٢- الفوائد، (الغيلانيات)، أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبدويه البغدادي الشافعي البزاز (المتوفى: ٣٥٤هـ)، حققه: حلمي كامل أسعد عبد الهادي، قدم له وراجعاه وعلق عليه: أبو عبدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن الجوزي - السعودية، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م
- ١١٣- الفوائد، أبو القاسم تمام بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن الجنيد البجلي الرازي ثم الدمشقي (المتوفى: ٤١٤هـ)، المحقق: حمدي عبد المجيد السلفي، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٢
- ١١٤- الفوائد، أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن محمد بن أيوب بن أزداد البغدادي المعروف بـ ابن شاهين (المتوفى: ٣٨٥هـ)، تحقيق: بدر البدر، الناشر: دار ابن الأثير - الكويت (ضمن مجموع فيه من مصنفات ابن شاهين)، الطبعة: الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- ١١٥- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م
- ١١٦- القبور، لابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، المحقق: طارق محمد سكلوع العمود، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م
- ١١٧- القدر، أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض الفريابي (المتوفى: ٣٠١هـ)، المحقق: عبد الله بن حمد المنصور، الناشر: أضواء السلف - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م

- ١١٨- القدر وما ورد في ذلك من الآثار، أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي (المتوفى: ١٩٧هـ)، المحقق: د. عبد العزيز عبد الرحمن العثيم، الناشر: دار السلطان - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ
- ١١٩- القضاء لسريج بن يونس، أبو الحارث سريج بن يونس بن إبراهيم البغدادي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: الدكتور عامر حسن صبري، الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م
- ١٢٠- الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م
- ١٢١- الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م
- ١٢٢- الكلم الطيب، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٩٧٧م
- ١٢٣- الكلم الطيب، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، حققه، وخرج أحاديثه، وقدم له وعلق عليه: الدكتور السيد الجميلي، الناشر: دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ-١٩٧٨م
- ١٢٤- اللغة، جوزيف فندريس Joseph Vendryes (المتوفى: ١٣٨٠هـ)، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٠م
- ١٢٥- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاري (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ
- ١٢٦- المدخل، أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج (المتوفى: ٧٣٧هـ)، الناشر: دار التراث، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ
- ١٢٧- المستدرك على الصحيحين للحاكم (٤٦٦/٢) (٣٦٠٦)، النهاية فيغريب الحديث والأثر (ص/٣٤). []
- ١٢٨- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠م
- ١٢٩- المستطرف في كل فن مستطرف، شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ

- ١٣٠- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ١٣١- المسند، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلب القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، صححت هذه النسخة: على النسخة المطبوعة في مطبعة بولاق الأميرية والنسخة المطبوعة في بلاد الهند، عام النشر: ١٤٠٠هـ
- ١٣٢- المسند، لعبد الله بن المبارك المروزي (ت ١٨١هـ)، المحقق: صبحي البدري السامرائي، الناشر: مكتبة المعارف - الرياض، ط ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ١٣٣- المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي - الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣
- ١٣٤- المصنف، لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن خواسي العبسي (ت ٢٣٥هـ)، المحقق: حمد بن عبد الله الجمعة ومحمد بن إبراهيم اللحيان، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، ط ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- ١٣٥- المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواسي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩
- ١٣٦- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: (١٧) رسالة علمية قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود، تنسيق: د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري، الناشر: دار العاصمة، دار الغيث - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ
- ١٣٧- المعارف، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، تحقيق: ثروت عكاشة، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٩٩٢م
- ١٣٨- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة
- ١٣٩- المعجم، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ)، المحقق: إرشاد الحق الأثري، الناشر: إدارة العلوم الأثرية - فيصل آباد، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧
- ١٤٠- المعجم، لابن المقرئ، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان الأصبهاني الخازن، المشهور بابن المقرئ (المتوفى: ٣٨١هـ)، تحقيق: أبي عبد الرحمن عادل بن سعد، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، شركة الرياض للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م
- ١٤١- المغازي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ)، تحقيق: مارسدن جونس، الناشر: دار الأعلمي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٩/١٩٨٩.

- ١٤٢ - المغرب، ناصر بن عبد السيد أبي المكارم ابن علي، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المطرزي (المتوفى: ٦١٠هـ)،
الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ
- ١٤٣ - المغني، لابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي
الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر: مكتبة القاهرة، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر:
١٣٨٨هـ-١٩٦٨م
- ١٤٤ - المؤلف والمختلف، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي
الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ)، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة:
الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م
- ١٤٥ - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط
ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠هـ
- ١٤٦ - النبوات، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، المطبعة السلفية - القاهرة، ١٣٨٦.
- ١٤٧ - الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، المحقق: أحمد الأرناؤوط
وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ١٤٨ - الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي
(المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى،
١٤١٥هـ
- ١٤٩ - الوسيط في المذهب، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، المحقق: أحمد محمود إبراهيم،
محمد محمد تامر، الناشر: دار السلام - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧
- ١٥٠ - الوفيات، (معجم زمني للصحابة وأعلام المحدثين والفقهاء والمؤلفين)، أبو العباس أحمد بن حسن بن الخطيب
الشهير بابن قنفذ القسنطيني (المتوفى: ٨١٠هـ)، المحقق: عادل نويهض، الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة:
الرابعة، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م
- ١٥١ - أم القرى، عبد الرحمن بن أحمد بن مسعود الكواكبي يلقب بالسيد الفراقي (المتوفى: ١٣٢٠هـ)، الناشر: دار الرائد
العربي - لبنان - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م
- ١٥٢ - إنباء الغمر بأبناء العمر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)،
المحقق: د حسن حبشي، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، عام النشر:
١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م
- ١٥٣ - إثبات الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن
علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين اليميني (المتوفى: ٨٤٠هـ)، الناشر: دار الكتب
العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٨٧م

- ١٥٤ - بغداد، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور (المتوفى: ٢٨٠هـ)، المحقق: السيد عزت العطار الحسيني، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة، مصر، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م
- ١٥٥ - بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام، علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي، أبو الحسن ابن القطان (المتوفى: ٦٢٨هـ)، المحقق: د. الحسين آيت سعيد، الناشر: دار طيبة - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م
- ١٥٦ - بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ
- ١٥٧ - بيان التوحيد الذي بعث الله به الرسل جميعا وبعث به خاتمهم محمدا عليه السلام، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد إدارة الطبع والترجمة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.]
- ١٥٨ - تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- ١٥٩ - تاريخ إربل، المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإربلي، المعروف بابن المستوفي (المتوفى: ٦٣٧هـ)، المحقق: سامي بن سيد خماس الصقار، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق، عام النشر: ١٩٨٠م
- ١٦٠ - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م
- ١٦١ - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: عمر عبد السلام التدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ-١٩٩٣م
- ١٦٢ - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: المكتبة التوفيقية
- ١٦٣ - تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ-١٩٩٥م
- ١٦٤ - تاريخ دنيسر، الطبيب أبو حفص عمر بن الخضر بن اللمش (٥٧٤هـ-٦٤٠هـ؟)، المحقق: إبراهيم صالح، الناشر: دار البشائر، الطبعة: الأولى ١٤١٣ هـ-١٩٩٢ م

- ١٦٥- تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- ١٦٦- تفسير ابن كثير، = تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٩هـ]
- ١٦٧- تفسير أبي السعود، = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت
- ١٦٨- تفسير البغوي، = معالم التنزيل في تفسير القرآن، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م]
- ١٦٩- تفسير الخازن، = لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥هـ.
- ١٧٠- تفسير السعدي، = تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- ١٧١- تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- ١٧٢- تفسير الفاتحة والبقرة، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ
- ١٧٣- تفسير القرآن العظيم، (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٩هـ
- ١٧٤- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م

- ١٧٥- تفسير القرآن، (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهي، الناشر: دار ابن حزم - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م
- ١٧٦- تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م
- ١٧٧- تفسير القرآن، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (المتوفى: ٣١٩هـ)، قدم له الأستاذ الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي، حققه وعلق عليه الدكتور: سعد بن محمد السعد، دار النشر: دار المآثر - المدينة النبوية، الطبعة: الأولى ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢م
- ١٧٨- تفسير القرآن، لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ١٧٩- تفسير القرآن، للعز بن عبد السلام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، (وهو اختصار لتفسير الماوردي) المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهي، الناشر: دار ابن حزم - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.
- ١٨٠- تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- ١٨١- تفسير مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: ١٠٤هـ)، المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م
- ١٨٢- تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، يطلب من: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ١٨٣- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزني (المتوفى: ٧٤٢هـ)، المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠.
- ١٨٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية الرياض، الطبعة: الثانية: (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).

- ١٨٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)،
المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- ١٨٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر
الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ-
٢٠٠١م.
- ١٨٧- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مطبعة المدني، القاهرة
- ١٨٨- حجة الوداع، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، المحقق:
أبو صهيب الكرمي، الناشر: بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٩٩٨
- ١٨٩- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران
الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م، ثم صورتها عدة دور منها،
١ - دار الكتاب العربي - بيروت، ٢ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٣ - دار الكتب العلمية - بيروت
(طبعة ١٤٠٩هـ بدون تحقيق)
- ١٩٠- خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، المحقق: حققه وخرج أحاديثه: حسين إسماعيل الجمل، الناشر: مؤسسة الرسالة - لبنان - بيروت، الطبعة:
الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م
- ١٩١- درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي
القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر:
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١١ هـ-١٩٩١م
- ١٩٢- دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب سلفية لا وهابية، أحمد بن عبد العزيز بن عبد الله الحصين، الناشر: فهرسة
مكتبة الملك فهد الوطنية، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م
- ١٩٣- ذخيرة الحفاظ، (منالكامل لابن عدي)، أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي بن أحمد المقدسي الشيباني، المعروف
بابن القيسراني (المتوفى: ٥٠٧هـ)، المحقق: د. عبد الرحمن الفريوائي، الناشر: دار السلف - الرياض، الطبعة: الأولى،
١٤١٦ هـ-١٩٩٦م]
- ١٩٤- ذم الفرقة والاختلاف في الكتاب والسنة، عبد الله بن محمد الغنيمان، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة،
الطبعة: السنة السابعة عشرة (العدد الخامس والستون، السادس والستون) محرم - جماد الآخرة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م
- ١٩٥- رياض الصالحين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي -
بيروت، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني

- ١٩٦- رياض الصالحين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تعليق وتحقيق: الدكتور ماهر ياسين الفحل رئيس قسم الحديث - كلية العلوم الإسلامية - جامعة الأنبار (وقد جعل تحقيقه للكتاب مجانا فجزاه الله خيرا)، الناشر: دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م
- ١٩٧- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ
- ١٩٨- زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م
- ١٩٩- زاد المهاجر إلى ربه، أو الرسالة التبوكية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: د. محمد جميل غازي، الناشر: مكتبة المدني - جدة
- ٢٠٠- زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار النشر: دار الفكر العربي
- ٢٠١- سراج الملوك، أبو بكر محمد بن محمد ابن الوليد الفهري الطرطوشي المالكي (المتوفى: ٥٢٠هـ)، الناشر: من أوائل المطبوعات العربية - مصر، تاريخ النشر: ١٢٨٩هـ، ١٨٧٢ م
- ٢٠٢- سلم الوصول إلى طبقات الفحول، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بـ (كاتب جلبي) وبـ (حاجي خليفة) (ت: ١٠٦٧ هـ)، المحقق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إرسیکا، إستانبول - تركيا، عام النشر: ٢٠١٠ م.
- ٢٠٣- سمات المؤمنين في الفتن وتقلب الأحوال، صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، الناشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات
- ٢٠٤- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م
- ٢٠٥- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الحديث - القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م
- ٢٠٦- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد بن عمر سالم مخلوف (ت: ١٣٦٠هـ)، علق عليه: عبد الحميد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط ١: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- ٢٠٧- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ)، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

- ٢٠٨- شرح الصدور في تحريم رفع القبور، محمد بن إسماعيل الصنعاني، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، المحقق: عبد المحسن بن حمد العباد البدر، الناشر: مطبعة سفير، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ
- ٢٠٩- شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرع الصالحى الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: العاشرة، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م
- ٢١٠- شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرع الصالحى الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة (عن مطبوعة المكتب الإسلامي)، الطبعة: الطبعة المصرية الأولى، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م
- ٢١١- شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرع الصالحى الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ
- ٢١٢- شرح صحيح البخاري، لابن بطلال، ابن بطل أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م
- ٢١٣- شرح عقيدة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، (وطبع الكتاب باسم: شرح رسالة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب)، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
- ٢١٤- صحيح أبي داود الأم، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت أجزاء، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م
- ٢١٥- صحيح البخاري، = الجامعالمسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ]
- ٢١٦- صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي
- ٢١٧- صحيح مسلم، (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، الناشر: دار الجيل - بيروت (مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في استانبول سنة ١٣٣٤هـ).
- ٢١٨- ضعيف الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: المجددة والمزيدة والمنقحة

- ٢١٩- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلوة، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.
- ٢٢٠- طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهيبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة (المتوفى: ٨٥١هـ)، المحقق: د. الحافظ عبد العليم خان، دار النشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ.
- ٢٢١- طبقات الفقهاء، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (المتوفى: ٤٧٦هـ)، هذبه: محمد بن مكرم ابن منظور (المتوفى: ٧١١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٩٧٠.
- ٢٢٢- طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي من علماء القرن الحادي عشر (المتوفى: ق ١١هـ)، المحقق: سليمان بن صالح الحزري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ٢٢٣- طبقات المفسرين، للداوودي، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (المتوفى: ٩٤٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر.
- ٢٢٤- طبقات المفسرين العشرين، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: علي محمد عمر، الناشر: مكتبة وهبة - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٦.
- ٢٢٥- طوق النجاة، مجدي الهلالي، الناشر: دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، الطبعة: الثامنة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ٢٢٦- عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، الناشر: مكتبة دار الزمان، الطبعة: الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٢٢٧- غريب الحديث، إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق [١٩٨ - ٢٨٥]، المحقق: د. سليمان إبراهيم محمد العايد، الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥.
- ٢٢٨- غياث الأمم في التياث الظلم، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـ)، المحقق: عبد العظيم الديب، الناشر: مكتبة إمام الحرمين، الطبعة: الثانية، ١٤٠١هـ.
- ٢٢٩- فتاوى نور على الدرب، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، جمعها: الدكتور محمد بن سعد الشويعر، قدم لها: عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ.
- ٢٣٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، تحقيق: ١ - محمود بن شعبان بن عبد المقصود، ٢ - مجدي بن عبد الخالق الشافعي، ٣ - إبراهيم بن إسماعيل القاضي، ٤ - السيد عزت المرسي، ٥ - محمد بن عوض المنقوش، ٦ - صلاح بن سالم المصري، ٧ - علاء بن مصطفى بن همام، ٨ - صبري بن عبد الخالق الشافعي، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية، الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

- ٢٣١- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز
- ٢٣٢- فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعه وقدم له وراجعته: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م
- ٢٣٣- فتح القدير، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام (المتوفى: ٨٦١هـ)، الناشر: دار الفكر، الطبعة: بدون طبعه وبدون تاريخ، بأعلى الصفحة كتاب الهداية للمرغيناني يليه - مفصلاً بفصل - «فتح القدير» للكمال بن الهمام وتكملته «نتائج الأفكار» لقاضي زاده.
- ٢٣٤- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دارالكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤هـ]
- ٢٣٥- فتوح الشام، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م
- ٢٣٦- فضائل الصحابة، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥
- ٢٣٧- فضائل الصحابة، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: د. وصي الله محمد عباس، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ - ١٩٨٣
- ٢٣٨- فضائل القرآن، (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الخامس)، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، المحقق: عبد العزيز بن زيد الرومي، وصالح بن محمد الحسين، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- ٢٣٩- فضائل القرآن، أبو العباس جعفر بن محمد بن المعتز بن محمد بن المستغفر بن الفتح بن إدريس المستغفري، النسفي (المتوفى: ٤٣٢هـ)، المحقق: أحمد بن فارس السلولم، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨ م
- ٢٤٠- فوات الوفيات، محمد بن شاعر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاعر بن هارون بن شاعر الملقب بصلاح الدين (المتوفى: ٧٦٤هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى، الجزء: ١ - ١٩٧٣، الجزء: ٢، ٣، ٤ - ١٩٧٤.
- ٢٤١- فيض القدير، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين، الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

- ٢٤٢- كتاب الإيمان "ومعالمه، وسننه، واستكمالها، ودرجاته"، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)، المحقق: محمد نصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م
- ٢٤٣- كتاب التوحيد، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت ٣١١هـ)، المحقق: سمير بن أمين الزهيري، الناشر: دارالمغني - الرياض، ط ٢، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.]
- ٢٤٤- كشف الكربة في وصف أهل الغربية، (وهو مطبوع ضمنمجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي)، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م]
- ٢٤٥- كيف نفهم التوحيد، محمد بن أحمد باشميل (المتوفى: ١٤٢٦هـ)، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ
- ٢٤٦- لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن، المعروف بالحازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥هـ.
- ٢٤٧- لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، المحقق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار النشر: دار المعارف، القاهرة.
- ٢٤٨- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤هـ
- ٢٤٩- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيتمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
- ٢٥٠- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيتمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت - ١٤١٢هـ.
- ٢٥١- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيتمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، بتحرير الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٢٥٢- مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

- ٢٥٣- مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي،
البغدادى، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: أبو مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، الناشر: الفاروق
الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة: ج ١، ٢/ الثانية، ١٤٢٤ هـ- ٢٠٠٣ م، ج ٣/ الأولى، ١٤٢٤ هـ- ٢٠٠٣ م، ج
٤/ الأولى، ١٤٢٥ هـ- ٢٠٠٤.
- ٢٥٤- مجموعة الرسائل والمسائل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، علق
عليه: السيد محمد رشيد رضا، الناشر: لجنة التراث العربي
- ٢٥٥- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد
باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ
- ٢٥٦- مختصر تفسير ابن كثير، (اختصار وتحقيق) محمد علي الصابوني، الناشر: دار القرآن الكريم، بيروت - لبنان،
الطبعة: السابعة، ١٤٠٢ هـ- ١٩٨١ م
- ٢٥٧- مذكرة التوحيد، عبد الرزاق عفيفي (المتوفى: ١٤١٥هـ)، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة
والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.
- ٢٥٨- مسند الشاميين، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)،
المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ - ١٩٨٤
- ٢٥٩- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى: ١٣٧٧هـ)،
المحقق: عمر بن محمود أبو عمر، الناشر: دار ابن القيم - الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ- ١٩٩٠ م
- ٢٦٠- معالم التنزيل في تفسير القرآن، = تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى:
٥١٠هـ)، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الناشر:
دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧ م
- ٢٦١- معالم التنزيل في تفسير القرآن، = تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء
البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى،
١٤٢٠ هـ
- ٢٦٢- معاني القرآن، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (المتوفى: ٣٣٨هـ)، المحقق: محمد علي الصابوني، الناشر:
جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩
- ٢٦٣- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ)، المحقق: أحمد يوسف
النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، الطبعة: الأولى
- ٢٦٤- معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، عادل نويهض قدم له: مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ
حسن خالد، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان، ط ١: ١٤٠٩ هـ- ١٩٨٨ م.

- ٢٦٥- معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، عادل نويهض، تقديم: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيخ حسن خالد، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.
- ٢٦٦- معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (المتوفى: ١٤٠٨ هـ)، الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت
- ٢٦٧- معرفة الصحابة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠ هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م
- ٢٦٨- معرفة الصحابة، لابن منده، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده العبدي (المتوفى: ٣٩٥ هـ)، حققه وقدم له وعلق عليه: الأستاذ الدكتور/ عامر حسن صبري، الناشر: مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م
- ٢٦٩- مفاتيح الغيب، = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦ هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ
- ٢٧٠- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٩١ هـ - ٧٥١ هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، راجعه: مُحَمَّدُ أَجْمَلُ الإصْلَاحِي، سليمان بن عبد الله العمير، الناشر: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ.
- ٢٧١- منازل السائرين، أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي (المتوفى: ٤٨١ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، سنة النشر:
- ٢٧٢- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ)، المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م
- ٢٧٣- منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، د. حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م
- ٢٧٤- موطأ مالك، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩ هـ)، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، عام النشر: ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م
- ٢٧٥- موطأ مالك، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩ هـ)، المحقق: بشار عواد معروف - محمود خليل، الناشر: مؤسسة الرسالة، سنة النشر: ١٤١٢ هـ
- ٢٧٦- نيل الأوطار، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠ هـ)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، الناشر: دار الحديث، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

جدول المحتويات

المقدمة.....	٢
التمهيد.....	١٥
المطلب الأول: تعريف التحصين الفكري مفرداً ومركباً.....	١٥
المطلب الثاني: التعريف بمصطلحات الرسالة.....	١٩
التحصين الفكري في القرآن الكريم من الشرك.....	٢٧
الفصل الأول: تحذير القرآن الكريم من الشرك وبيان سوء عاقبة أهله.....	٢٧
المبحث الأول.....	٢٨
تحذير القرآن الكريم من الشرك بأنواعه.....	٢٨
المبحث الثاني.....	٤٠
دعوة الرسل إلى توحيد الله والتحذير من الشرك.....	٤٠
المبحث الثالث.....	٤٦
أولوا الألباب هم أبعد الناس عن الشرك مع خوفهم من الوقوع فيه.....	٤٦
المبحث الرابع.....	٥٥
الحكم على المشركين بالخلود في نار جهنم.....	٥٥
المبحث الخامس.....	٥٩
الحكم بعدم فلاح من أشرك بالله تعالى.....	٥٩
الفصل الثاني: الوقاية من الوقوع في الشرك، والاعتبار بمآلات المشركين في القرآن الكريم، وفيه ستة مباحث:.....	٦٢
المبحث الأول.....	٦٣
خضوع الكون كله لله ﷻ.....	٦٣

المبحث الثاني	٧١
الأدلة الشرعية في القرآن الكريم على التوحيد وبطلان الشرك	٧١
المبحث الثالث	٨٠
الأدلة العقلية في القرآن الكريم على التوحيد وبطلان الشرك	٨٠
المبحث الرابع	٨٨
أثر تحقيق التوحيد في النجاة من الشدائد	٨٨
المبحث الخامس	٩٦
افتقار المخلوقين إلى الله تعالى، وغناه عنهم من كل وجه	٩٦
المبحث السادس	١٠٥
براءة من عبْد من دون الله يوم القيامة ممن أشرك به	١٠٥
التحصين الفكري في القرآن الكريم من الإلحاد،	١١١
الفصل الأول: تحذير القرآن الكريم من الإلحاد وبيان سوء عاقبة الملحدين، وفيه ثلاثة	
مباحث:	١١٢
المبحث الأول: أساليب القرآن في التحذير من الإلحاد:	١١٣
المبحث الثاني: تدبير الله تعالى للأمر ورجوعها إليه سبحانه:	١٢٠
المبحث الثالث: سوء عاقبة الملحدين في الدنيا والآخرة:	١٢٧
الفصل الثاني: الوقاية من الفكر الإلحادي وعلاجه في القرآن الكريم:	١٣٢
المبحث الأول: الوقاية من الفكر الإلحادي على مستوى الفرد والأمة في ضوء القرآن	
الكريم:	١٣٣
المبحث الثاني: الأدلة النقلية والعقلية على إثبات وجود الله تعالى في ضوء القرآن	
الكريم:	١٤٤

المبحث الرابع: الاعتبار بحال الملحددين ومآلهم:	١٦٨
الفصل الأول: تحذير القرآن الكريم من الغلو والإفساد في الأرض	١٧٥
المبحث الأول: التحذير من الغلو في الدين	١٧٦
المبحث الثاني: النهي عن الإفساد في الأرض	١٨٥
المبحث الثالث: الوعيد الشديد لمن قتل الأنفس المعصومة	١٨٧
الفصل الثاني: الوقاية من التكفير وبيان سوء عاقبته وعلاجه في القرآن الكريم	١٩١
المبحث الأول: الوقاية من التكفير وفكر الخوارج	١٩٢
المطلب الأول: الحث على الوسطية والابتعاد عن الغلو	١٩٣
المطلب الثاني: التحذير من صحبة السوء	١٩٨
المطلب الثالث: الحث على طلب العلم ولزوم العلماء	٢٠١
المبحث الثاني: سوء عاقبة التكفير والقتل بغير حق في الدنيا والآخرة	٢٠٥
المبحث الثالث: الشفاء من التكفير وفكر الخوارج على مستوى الفرد والجماعة. ...	٢٠٩
المبحث الرابع: الاعتبار بمآل الخوارج وأهل التكفير في الماضي والحاضر	٢١٨
الباب الرابع	٢٣٠
التحصين الفكري في القرآن الكريم من الفرقة والاختلاف	٢٣٠
الفصل الأول: عناية القرآن الكريم بالاجتماع وتحذيره من الفرقة والاختلاف	٢٣١
المبحث الأول: الأمر بالجماعة ولزومها في القرآن الكريم	٢٣٢
المبحث الثاني: تحذير القرآن الكريم من الفرقة والاختلاف وبيان سوء عاقبتهما	٢٤١
الفصل الثاني: الوقاية من الفرقة والاختلاف وعلاج ذلك في القرآن الكريم	٢٥٤
المبحث الأول: سبل الوقاية من الفرقة والاختلاف في القرآن الكريم	٢٥٥

المبحث الثاني: التنفير من مشابجة أهل الفرقة والاختلاف في القرآن الكريم	٢٧٢
المبحث الثالث: الثناء والحث على وحدة الصف واجتماع الكلمة والاعتصام بالله تعالى في القرآن الكريم	٢٧٩
المبحث الرابع: العبرة والعظة من مآل أهل الفرقة والاختلاف	٢٨٣
الباب الخامس	٢٩٢
الوطنية ولنزوم البيعة في القرآن الكريم وأثرهما في دفع الفتن	٢٩٢
الفصل الأول : الوطنية في القرآن الكريم مفهومها وحقوقها	٢٩٣
المبحث الأول: مفهوم الوطنية في القرآن	٢٩٥
المبحث الثاني: حقوق الوطنية وأثرها في دفع الفتن	٣٠٠
الفصل الثاني: أهمية البيعة في القرآن الكريم والأخذ بلوانزمها وبيان آثارها،	٣٠٨
المبحث الأول: البيعة في القرآن الكريم ولوازمها.	٣٠٩
المبحث الثاني: أهمية البيعة وأثرها في دفع الفتن	٣١٥
الخاتمة	٣٢١
الفهارس	٣٢٥
١- فهرس الآيات	٣٢٦
٢- فهرس الأحاديث	٣٨٠
٣- فهرس الآثار:	٣٨٨
٤- فهرس الأعلام:	٣٨٩
المصادر	٣٩٤